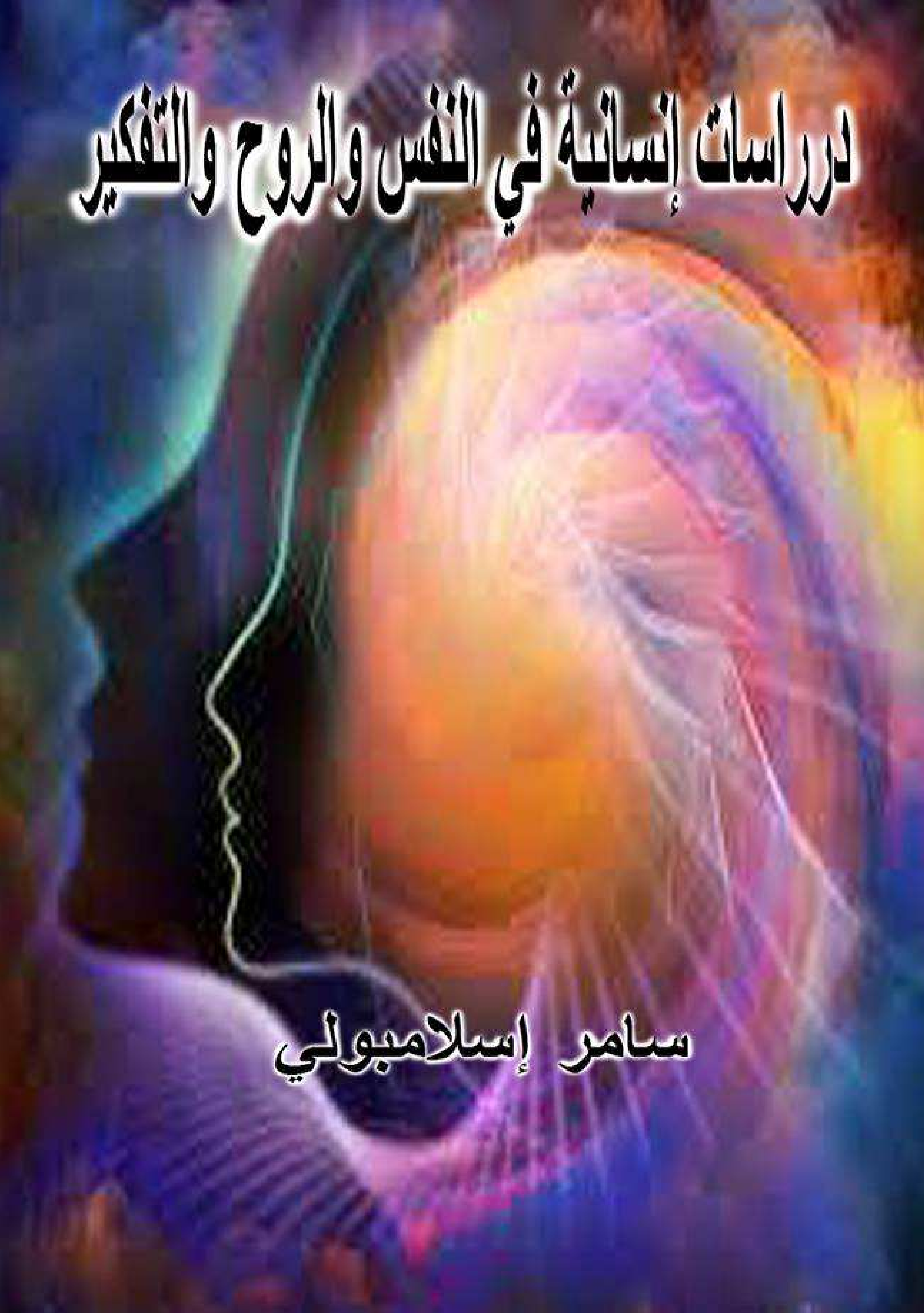


درراسات إنسانية في النفس والروح والتفكير
سامر إسلامبولي

الكتاب: دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير
التّأليف: سامر إسلامبولي
الجداول والتنضيد : عبد الله إسلامبولي
الرسوم والغلاف: سيرين سهيل الفاتح
عنوان المؤلف
البريد الإلكتروني:
s.islambouli@gmail.coms
مصر - القاهرة
موبايل: 00201141025253

دراسات نهضوية

دراسة إنسانية

في

الرّوح والنّفس والتّفكير

سامر إسلامبولي

تقديم الأستاذين

المفكر الإنساني
جودت سعيد

المفكر الإنساني
ندرة اليازجي

الإهداء

إلى أصحاب النفوس الطاهرة، الذين يهدفون الفاعلية، ويمارسون التفكير، ويُسَيِّرُون أنفسهم بالروح، ويرتقون بالمحبة والسلام.

أقدم لهم هذا البحث

تواصلاً،....

وتفاعلاً،....

ومحبة.

سامر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنَّـا خَلَقْنَـاكُم مِّـن ذَكَـرٍ وَأُنثَـى وَجَعَلْنَـاكُمْ شُـعُوباً وَقَبَائِـلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }

(الحجرات 13)

العلم والأخلاق أساس للنهضة والعمران

تعايش - تماسك - نهضة

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

تقديم الأســتاذ جودت سعيد

الحمـد لله، وسـلام على عبـاده الـذين اصـطفى، والآمـرين بالقسـط مـن النّـاس، وبعد.

قرأت عدداً من مؤلفات الكاتب (سامر إسلامبولي) في مواضيع عدة:

1ـ تحرير العقل من النّقل. 2ـ دراسة نقدية(الآحاد، الإجماع، النسخ)

3ـ ظاهرة النّص القرآني. 4ـ القرآن بين اللُّغة والواقع.

ومن خلال قراءتي له، ولآخرين معاصرين، لاحظت أنَّ العالم الإسلامي يتململ، ويواجه تكيفاً مع التّاريخ ومراجعة للذّات؛ وكأننا صرنا نفهم قول الرّسول: (كلٌّ حجيجُ نفسِهِ)؛ وبدأنا نتفهم ما زاد الله في خلقه، ممَّا يمكن أن يصل إليه الإنسان، الذي أُسند إليه مهمة الخلافة في الأرض؛ ليقضي على الفساد وسفك الدّماء.

وفي القـرآن آيـات؛ وآيـات، تـصدم قـدرة الإنـسان علـى الفهـم، مثـل فكـرة المـسؤولية، المترتبـة علـى الخلافـة في الأرض، وأن هـذه المـسؤولية اجتماعيـة في الدّنيا، وفردية في الآخرة.

ولقد عانيت أنا أيضاً، ما يعانيه الأجيال من العالم الإسلامي، في التّنبه إلى مفاهيم القرآن، من أنَّ الإنسان لن يُقبل منه إذا رجع إلى ربه؛ وقال: إنه أطاع سادته، وكبراءه في الدّنيا، وهذه فكرة عسيرة على الإنسان الذي لا يزال يعيش في رحم الآباء؛ بينما نجد القرآن يَدين الذين يتشبثون بما وجدوا عليه آباءهم، وأنَّ الآباء عقبة أمام قدرة الإنسان على الفهم، واستخدام ما منحه الله من القدرة على كشف السّنن، وتسخير ما في السّماوات وما في الأرض جميعاً منه، بما فيه الإنسان ذاته.

فكما تقوم الأخلاق على التّساوي في الجذب والطّرد ، تقوم المجتمعات أيضاً على فكرة المساواة بين البشر ؛ على كلمة السّواء . {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران 64)، وعلى أنَّ العلاقة مع الآباء قائمة على أساس{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (البقرة 134) وأن نتخير منهم أحسن ما عملوا ، ونتجاوز عن سيئاتهم .

وقد مرَّ العالم الإسلامي ، بمرحلة السّكون ، والجمود ، والسّبات الشّتوي الطّويل ، نسبياً ، حيث قام فقهاء العالم الإسلامي ، في اختزال القرآن ، وسيرة الرّسول ، على قدر فقههم ، وما على الذين جاؤوا من بعدهم إلا أن يأخذوا ويطبقوا ما استنبطه الفقهاء .

فاستراحوا لذلك ، من عبء البحث والتّفكير الصّعب ، ولكنَّ ؛ ما وهب الله للإنسان من حب الاستطلاع ، لا يمكن أن يموت إلى الأبد ، قد يتحدى جيل أو جيلان ، على إغلاق الأسماع ، والأبصار ، والتّشبث بما وجدوا عليه آباءهم ، ولكن الأجيال اللاحقة ، وإن كانوا ما بعد الجيل السّابع ، أو العاشر ، أو المئة ، سيستيقظون ؛ لأنَّ تاريخ المجتمعات البشرية يدلنا على أنَّ الأيام مداولة بين النّاس ، وعلم الله في الإنسان ، أنه سيقضي على تهمة الفساد في الأرض ، وسفك الدّماء ، والقَبول بكلمة السّواء ، وأن لا يكون أحدٌ فوق المساءلة والمحاسبة .

وطالما تقلبتُ اللّيالي الطّوال ، وجافيتُ الجنوب عن المضاجع ، أفكر في مشكلة العالم الإسلامي ، وثمَّ الكثير من شباب العالم الإسلامي يقلبون وجوههم في سماء عالمهم .

إن البقاء في رحم الأمهات ، لا يُعمِّر الكون بالحياة ، وكذلك البقاء في رحم الآباء ، فكرياً ، لا يزيد من تحقيق علم الله في الإنسان الخليفة ، وحامل الأمانة ، التي لم يتمكن أحد من خلقه على حملها ، غير الإنسان .

الكتابات مفيدة، ولكن كما قال الرّسول: (أو ليست اليهود والنّصارى بأيديهم التّوراة والإنجيل، ولا ينتفعون ممّا فيهما بشيء).

وكذلك الأمة التي تحمل القرآن، والقرآن يقول لنا: إن الإنسان يمكن أن يفقد القدرة على الفهم ويُصاب بالإغلاق{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً } (الكهف 103- 104) { وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً }(الكهف 57).

فكأنَّ الكتب والأحداث، تفقد القدرة على إيقاظ النّاس، ولكنَّ القرآن، يذكر شيئاً آخر على بعث القدرة على التّفكير، والمراجعة، وإعادة النّظر في مُسلماته، فمثلاً، يقول القرآن: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (السجدة 21)، ويقول: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ } (يونس 96 - 97).

ولم أنتبه إلى هذا إلاّ مؤخراً، ومثله قوله تعالى: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} (الشمس 8)، حيث أنَّ كل فجور له عاقبة سيئة، تُؤدِّي ضرورة إلى اتقائها، فالخطأ يدل على الصّواب، وكل مرة يَقُلّ الفجور؛ وتزداد التّقوى، مثل قوله تعالى: { كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ }الرعد17

هكذا يتراكم ما ينفع النّاس، ويزيد في الخلق ما يشاء، ويخلق ما لا تعلمون، وتراكم العلم بما ينفع النّاس ويضرهم، أوصل البشرية إلى أن خَتَم الله الرّسالات والكتب، وأمر بالسّير في الأرض،{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ } (العنكبوت 20)، لأن آيات الآفاق والأنفس، ستشهد على صدق الزّيادة في الخلق{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } (فصلت 53)، وقد

ابتكر النّاس الدّيمقراطية ضد المؤمنين بالأديان ، ووصلوا إلى أن ألغوا حكم الإعدام ، وسيصل البشر إلى مساعدة المخطئين، إلى إعادة تأهيلهم بمعرفة (كيف بدأ الخلق) ، وأنَّ النّاس يخرجون من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً .

وكما يُلقح الأطفال ضد الشّلل العضوي، علينا أن نعلم الأطفال (كيف بدأ الخلق)، وأن يعلموا كيف زاد علم الإنسان، وليست ميزة الإنسان في قوة عضلاته، بل في جهازه العصبي، القادر على النّظر في السّماوات و في الأرض.

هذا هو اللّقاح، ضد الشّلل الفكري عند الإنسان، هو التّفكير في السّنن التي تحكم المادَّة والحياة، وقدرة خليفة الله، الإنسان، حامل الأمانة، الجهاز العصبي، القابل للتّزكية والتّدسية {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا } (الشمس 9ـ 10) ، وستتغلب التّزكية على التّدسية، وسيتغلب نور الله وروحه في الإنسان على الظّلام : {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ } (البقرة 257).

والله تعالى حين يقول: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } (البقرة 256)، قد فتح الباب لأديان لانهائية، وفي الوقت نفسه، فتح الباب للوُصُول إلى دين واحد ، يُظهره على الدِّين كله، حيث سيصيرِ الدِّين علماً ، وكل شيء يصير علماً يصير عالمياً ، وسوف يأتي من هو أقدر منا ، على التّمكن في تغيير ما بالأنفس؛ لأن تغيير ما بالأنفس وظيفة إنسانية، وقانون الزّبد لا يرحم أحداً ، { كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ } (الرعد 17). وهكذا يتحول الخارق إلى السّننية، والجهل إلى العلم، أمامك فرص لتحويل الجهل إلى علم، والفجور إلى التّقوى، يا أخ (سامر إسلامبولي).

والعالم لم يبتدئ من عندنا ، ولن ينتهي عندنا ، وإنَّ هذا الإنسان، سيحقق علم الله فيه؛ بالقضاء على الفساد ، وسفك الدّماء ، وابن آدم الذي كان أسلوب حله

للمشكلات، هو { قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ } (المائدة 27) قابَلَهُ أخوه بقوله {لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } (المائدة 28).

إن الذي أكرمني بهذا الجهاز العصبي، الذي أتميز به، يُلزمني أن لا ألجأ إلى الجهاز العضلي؛ لحل المشكلات.

لهذا كان لا إكراه في الدِّين، ولن أعود إلى استخدام الجهاز العضلي، وإلى شريعة الغاب، فالدّواب أقوى منا بالجهاز العضلي، ولكن الكون مسخر لنا بالجهاز العصبي، فهذا هو النّصر المبين، وبهذا كرَّم اللهُ الإنسانَ وقال: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدم } (الإسراء 70).

وهذا القرآن لا تنقضي عجائبه، ويقدم لكل عصر ما ينقذ به كرامته، التي كرَّمه بها ربُّ العالمين، الرّحمن الرّحيم، الذي نسأله أن يهدينا الصّراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضّالين.

اكتب. يا أخ (سامر إسلامبولي)، ولا تخفْ من الخطأ؛ لأنه سيذهب جفاء، وكل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التّوابون، وما تكتبه من صواب، نافع، سيمكث في الأرض، وأنت في غنى عن دعم أحد، إذا كنت في هجرة إلى ربك.

الأستاذ: جودت سعيد

دمشق.... بئر عجم

28 / جمادى الآخرة /1426/هـ.

2005/8/12م

تقديم الأستاذ ندرة اليازجي

صديقي سامر...

قرأت كتبك الأربعة الأولى، التي حملت العناوين التّالية:

1 ـ تحرير العقل من النّقل. 2 ـ ظاهرة النّص القرآني (تاريخ ومعاصرة)

3 ـ القرآن بين اللُّغة والواقع. 4 ـ المرأة (مفاهيم ينبغي أن تصحح).

قرأتها باهتمام بالغ، وانتباه رصين ومركّز، ولما كنت أسعى إلى فهم ما يُكتب، بعقل واع، ومنطقي، ووجداني، وأهدف إلى معرفة الغاية التي توخيتها، كباحث، ومؤلف، فقد عاينت هذه الغاية ببصيرتي، وهي تتحقق في دعوتك، إلى تأسيس بنية نفسية متآلفة في وظائفها العديدة، أو في بنية عقلية، منفتحة، تشير إلى توق قوي لمعرفة الحقائق، التي على الرّغم من تنوعاتها وتمايز تعبيراتها، إنَّما تجتمع أو تلتقي على نحو تآلف أو تكامل في حقيقة واحدة، تتجلى، وهي تكشف عن ذاتها، في وحدة الأصل، والأساس الرّوحي، وفي تنوع الإضاءات الفكرية، والعقائدية المبدئية، وفي تعدد المقولات المعرفية.

سررت وأنا أقرأ كتابك الأخير (دراسة إنسانية) الذي أقدم له ببضع كلمات متواضعة، تُعبر عن إعجابي وتقديري لفكرك الواضح، وخلقك الرّفيع، وإنسانيتك المتوافقة، والمنسجمة مع المبدأ الرّوحي السّامي.

وبالفعل، رأيتك تدعو جميع النّاس إلى التّفاهم والمشاركة، ونبذ الخلافات، وتجاوز سوء الفهم، لسبب أصيل؛ هو أنَّ المبادئ كلها إشعاعات تصدر من حقيقة واحدة.

وفي هذا المنظور، تأملت عناوين المؤلفات العديدة، المذكورة في فهرس كتابك، إذ وجدتُ فيها مصادرَ هامَّة، جعلت منها مراجع للموضوع الأساسي؛ لتبلغ بروعة ما جاء فيها من نظريات ومقولات وبحوث وأفكار، إلى الغاية النّبيلة، التي سعيتَ، أو هدفتَ، إلى تحقيقها في كتابك.

وفي الوقت ذاته، رأيتك تنبه القارئ، أو توجهه على نحو مُباشر، أو غير مُباشر، إلى الاطلاع عليها، أو إلى قراءة مثيلاتها؛ لكي يؤسس قضاياه، وأحكامه المنطقية، أو النّفسية، أو الرّوحية، على عقل يتألق في شخصية متماسكة، تتجاوز الانفعال،

وتتميز بانفتاح واسع، يشير إلى الاعتراف بمبادئ الآخرين، والقَبول بها، على نحو مطلق أو نسبي، وإلى إحداث تأليف بين المبدأ الإلهي، الذي تعتنقه وتعتز به، بحق، وبين تنوعات المبادئ والأفكار والمقولات، رأيتك، تدعو إلى المعرفة المدعومة باليقين الرّوحي.

من جانبي، أسمح لنفسي أن أعلن المبدأ التّالي: إن المعرفة تتكامل في تنوعات التّعبير الفكرية، المنطقية، والمتناسقة بإحكام، وتنسجم في نهاياتها القصوى، مع المبدأ الرّوحي الأزلي، الذي يدعو إلى التّكامل والتّوافق، في نطاق هذا المبدأ الأزلي، الماثل في حقيقة سامية شاملة.

هذا، لأنَّ الحقيقة الواحدة كما ترى! وكما يرى العديد من أبناء البشر المستنيرين، تنبث في تنوعات الحقائق لتلتقيَ أخيراً، أو من جديد في الجوهر الرّوحي الواحد اللا منقسم.

أدركت أنك تحاول في سعيك الجدي، والمثابر عبر مؤلفاتك إلى الاعتراف الضّمني بآراء وأفكار الآخرين، المستنيرين بالقضايا المبدئية، التي تحدث عنها، وتبناها، عدد كبير من الباحثين، وبالمثل، رأيتك تجمع هذه القضايا، والطّروحات الفكرية، والنّفسية، والعقائدية، التي اعترفت بها، بعد اطلاعك بوعي على مضامينها، وجعلتَها تنطوي تحت كنف الحقيقة الواحدة، السّامية، التي تخللت منذ البدء العقول، والنّفوس، على نحو إشعاع يتجه إلى الضّياء الرّوحي الذي ينيرها.

إنك يا صديقي، مفكر، تتميز بعقل منفتح، وقلب محب للإنسانية جمعاء.

الأستاذ: ندرة اليازجي

5/ 12/ 2005 م

دمشق - سورية

بِسْمِ اللهِ

مُقدِّمة المؤلف

تُعدُّ مسألة الاهتمام بدراسة النّفس، والرّوح، والجسم، والتّفكير، من أقدم المسائل التي زامنت ظُهُور الإنسان الواعي في الحياة الاجتماعية؛ ذلك لأن هذه المسائل، ملازمة لوُجُود الإنسان وحياته.

ولما كان الموت، هو الباعث لدراسة الحياة، وما بعدها، فقد تساءل الإنسان عن وُجُوده في هذا العالم، وعن مصيره، فوصل من خلال ذلك إلى مسألة النّفس، وعلاقتها بالجسم، وبدأ في عملية التّأمل وتداعي الأفكار، وهذه التّأملات والتّداعيات، كانت تظهر مجتمعة في فيلسوف، يعبر عن هذه التّساؤلات بصُورة عقلية، وهكذا تتوالى التّأملات، والأفكار، من مجتمع إلى آخر من خلال فلاسفته، كُلٌّ يُدلي بدلوه، ويساهم في بناء هذا الصّرح الفكري الفلسفي، الذي يقترب من الحقيقة تارةً، ويبتعد تارةً أخرى، ومع تعقيد الحياة الاجتماعية، والتّطور العلمي، ظهرت مدارس واتّجاهات مختلفة، تناولت دراسة النّفس والرّوح، والموت والحياة، وظاهرة التّفكير، والسُّلُوك الإنساني، وبناء الشّخصية، كل حسب اهتمامه، ومن وجهة نظره، يعترض بعضهم على بعض أحياناً، و ينكرون رأي الآخر أحياناً، و يقتربون في وجهات النّظر أحياناً أخرى، وهكذا ظهرت الاختصاصات، في هذه العُلُوم الإنسانية، وتوسعتْ، حتَّى صار تحت الاختصاص العام، اختصاصات أدق منه.

وهذه العُلُوم الإنسانية، حملتها، وساهمت بها الأمم، كُلّ حسب مقدرتها على حمل مشعل العلم والمعرفة، حتَّى وصل إلى الغرب، فحمله، ومازال كذلك بفضل رعايته، وعنايته لهذا المشعل، فصارت الأمم الأخرى تابعة له.

والملاحظ، أنَّ المجتمعات السّابقة، كانت لها الأولوية في دراسة هذه الأبحاث، وحاضرة بصُورة دائمة، في أي بحث يتعلق بهذه المواضيع، نحو أرسطو، وأفلاطون، والفارابي، وابن سينا، وغيرهم، أمَّا من يأتي بعدهم، فهو إما شارحاً لآرائهم، أو مختصراً لبعضها، إلى أن بدأت الثورة العلمية المادِّيَّة، وسيطرت على عقول المفكرين، وبدؤوا يدرسون هذه العُلُوم الإنسانية، متأثرين بالعُلُوم المادِّيَّة، وأخضعوا الإنسان لمعايير المادَّة، فظهرت مدارس نفسية، وسُلُوكية، تفسر الإنسان تفسيراً مادِّياً، وتضاربت الآراء الحديثة مع بعضها، فما يثبته زيد؛ ينقضه عمرو، ناهيك عن تضاربها مع المدارس القديمة، وهكذا استمر التّخبط في هذه العُلُوم الإنسانية، ممَّا دفع بعض علماء الشّرق، إلى سحب الصفة العلمية عن هذه العُلُوم، وعدَّها من الآراء والخواطر الظّنية، التي لا تخضع لنظام أو قانون.

وقد أدَّى هذا العمل من قبل هؤلاء، إلى الابتعاد عن التّعامل مع الإنسان ونفسه وسُلُوكه، والمجتمع بصُورة علمية، الأمر الذي أدَّى بدوره إلى ابتعاده عن دراسة هذه العُلُوم، لقد ضاعوا، وأضاعوا الأمة معهم !!.

واستمر الغرب في دراسة هذه العُلُوم الإنسانية، من حيث هو علم، له نظامه وقوانينه، يُعَدِّل ويطور به، ويستعمله في بناء المجتمع، وتربية الأجيال، فأسَّس المراكز والمُؤسَّسات، وصرف الملايين من الأموال على التّجارب، ولمعرفة مصداقية هذه المعلومات، عن النّفس والتّفكير والذّكاء، واستطاع أن ينمي ذلك عند الإنسان والمجتمع، واستطاع أن يعالج كثيراً من الأمراض النّفسية بصُورة علمية، بعد أن كان يُنظر إليها سابقاً بأنها مَسٌّ من الشّياطين الشبحية.

وتخلّص الغربيون من مفهومٍ، مفاده أنَّ الإنسان يرث مفاهيمه وسُلُوكه من أبويه بصُورة جينية، وبلغوا في أبحاثهم إلى عدِّ الإنسان ابن بيئته الاجتماعية، وعدُّوه ابن التّربية والتّعليم، وبالإضافة إلى ذلك سادت المفاهيم، التي تساهم إلى حد كبير في نهضة المجتمع، من منطلق أن فاعلية تربية الإنسان، بصُورة فاعلة، هي

الخطوة الأولى نحو بناء المجتمع النّاهض، الذي يَعدُّ الإنسان كائناً اجتماعياً ؛ لكونه اللّبنة الأولى في جسم المجتمع.

ما زال المجتمع العربي والإسلامي بالفعل رهيناً لنتاج الغرب، فهو ينتظر دراساته وأبحاثه ليعمل بها ؛ و ليستهلكها بصُورة مشوهة، تبلغ حد الاستبداد والاستعباد الثقافي والسّياسي.

وعلى الرّغم من كون هذه العُلُوم الإنسانية، تتصل بالإنسان بصُورة لازمة، وتهمه جدَّاً على صعيد نفسه، وأسرته، ومجتمعه؛ لكن الاختصاصيين يحتكرونها لصالحهم، ويحرمون الأمة من الاستفادة منها .

تُعدُّ دراسة الرّوح والنّفس والتّفكير، مسائل يصح أن نطلق عليها (السّهل الممتنع) ؛ فهي مسائل ملازمة للإنسان، ويدرك وُجُودها في كيانه، وبقدر ما تلازمه؛ تبقى بالقدر ذاته بعيدة المنال؛ ويُردُّ ذلك إلى عدم خضوع دراسة هذه المسائل للتّجربة المخبرية كالمادَّة.

وبالإضافة إلى ذلك، لا تتميز نتائج هذه الدّراسة بصفة القطعية بصُورة مُباشرة؛ لأنها لا تصلح لتعميمها على الجنس الإنساني كله، في هذا السّياق، تعد مصادر الفهم القديمة منها ، والحديثة، والتي عدها الإنسان مرجعاً له، دون مستوى البحث في حقيقة هذه المسائل، هذا لأن قصر حياة الإنسان، لا تسمح له بتتبع عواقب دراسة هذه الأمور ونتائجها ؛ وهذا ما يدفعنا إلى ضرورة وُجُود مصدر علمي، موثوق، يشمل الأبعاد الكُلِّيَّة، التي تتأسس عليها أبعاد الإنسان الرّوحية، والنّفسية، والاجتماعية، منذ البداية إلى النّهاية.

ولما كان هذا العلم تدرُّجياً، وتراكمياً، فإن المعرفة، لا تتوافر فيه على نحو حقيقي؛ فكان لا بُدَّ من وُجُود مصدر شمولي، يحيط بالإنسان، والكون، والحياة، منذ البدء إلى المنتهى.

وليست هذه الجهة إلا الخالق المدبر، الذي أنزل مادَّة الوحي، على رسله حتَّى اكتملت نزولاً بالنّص القرآني الجامع؛ فقد حوى كل ما نزل سابقاً، ممَّا له صفة الاستمرار والصّلاحية، وأعرض عن ما كان خاصاً بالزّمان والمكان.

فالنّص القرآني، قد احتوى نظريات معرفية متعلقة بالإنسان، والكون، والحياة، وعلاقتهم ببعضهم بعضاً، وبما قبلهم وما بعدهم، وبذلك يكون قد أوجد القاعدة الكُلِّيّة، التي يبني الإنسان فكره عليها، وأوجد الأجوبة على الأسئلة الفطرية الثّلاث (كيف، لماذا، أين) ؟ بصُورة منسجمة مع الفطرة ومبرهن عليها، من خلال قيام العقل بمطابقتها على الواقع، وبتحقيقها للتّوازن والاطمئنان حين التّطبيق.

كما أنَّ القرآن، قد ذكر الخطوط الكُلِّيَّة، والمفصلية لخلق الإنسان، من حيث هو جسم ونفس وروح، إلى غير ذلك من المسائل الكُلِّيَّة، المتعلقة بالوُجُود آفاقاً وأنفساً.

وهكذا يجب اعتماد النّص القرآني، مرجعاً، ومصدراً علمياً أساسياً، بجانب الواقع، بحيث أنهما لا يفترقان أبداً؛ وذلك لوحدة المنشأ، ووحدة الموضوع؛ فالقرآن وحي، والواقع خلق، والتّطابق بينهما واجب إيماني وضرورة علمية.

إن النّص القرآني منظومة علمية عامَّة، تحتوي منظومات خاصَّة، مثله كمثل منظومة الكون ومنظوماته الخاصَّة، والعلاقة بين المنظومات، علاقة ترابطية انسجامية تكاملية في الوظائف، وهذا النّظام العام، يساعد الباحث على الدّراسة لمعرفة الجزء ووظيفته، ومثل ذلك، كمثل اللّوحة التّركيبية المؤلفة من آلاف القطع الصّغيرة؛ فأول عمل يقوم الإنسان به؛ وضع الإطار العام لهذه اللّوحة، حتَّى يضبط حركة الأجزاء، ويستطيع أن يضع كل قطعة في مكانها، فعندما يمسك بيده قطعة من اللّوحة غير واضحة المعالم، ولم يستطع أن يحدد موضوعها تماماً، ويقع في حيرة من أمره؛ فما عليه إلى أن يجرب وضعها في المنظومة التي تقبلها!، فإن قبلتها وتلاءم المنظر؛ واكتمل؛ تكون القطعة هي المناسبة في مكانها الصّواب، ولا يُلْتَفَت

إلى عدم وضوح معالمها وحدها؛ فالواقع حكم على صواب الاختيار، وهو أصدق من كل حيرة أو شك؛ فإذا ترابط الجزء واكتمل مع منظومته، فهو قطعاً ينتمي إليها، وهو في المكان الصّواب.

وهذه العملية الكُلِّيَّة القائمة على المنظومات، تساعدنا في عملية تحديد هوية الأجزاء الأخرى، التي لم نصل إليها بعد، ويأخذ البحث عنها صفة الجدية والعلم، وينتفي عنه صفة العشوائية والاحتمالية؛ لأننا مسبقاً، نعرف صفات الجزء الذي نبحث عنه، وعند دراسة موضوع قرآني، يجب دراسته من حيث هو منظومة متكاملة مترابطة متعلقة بالمنظومة العامَّة، ومتوافقة مع المنظومات الأخرى (اللّوحة التّركيبية) فكل جزء يربط ما قبله، وما بعده، بصُورة متكاملة، لا ينقض أحدهما الآخر، بل يدل عليه مسبقاً، ويجعل الباحث يتنبأ به.

وعند عدم القدرة، على معرفة تفسير نص قرآني، أو تأويله، يجب الرّجوع إلى المنظومة التي ينتمي إليها، وفهم المنظومات الأخرى، للوُصُول لبناء فهم كلي من المنظومة، وتعبئة محل هذا الجزء، بما تُمليه علينا المنظومة، ولا يصح بناء مفهوم من الجزء أبداً، لأنه غير واضح المعالم، ولا يتم عمله في الواقع، إلا بانتمائه إلى منظومته.

فالحكم على النّص الجزئي؛ إنَّما هو للواقع، والمنظومات القرآنية، ويؤول النّص حسب أوجهه اللسانية مع اجتناب العبث والاعتباطية في دلالة الحرف أو الكلمة، واجتناب ما سُمي خطأً بالترادف للكلمات لأنه إذا اختلف المبنى اختلف المعنى ضرورة، واجتناب استخدام المجاز في دراسة النص القرآني لأنه حق وصدق، والانتباه لاستخدام الضمائر في النص من مفرد وجمع ومتكلم وغائب، وليس من الضرورة أن يرجع الضمير لأقرب مذكور قبله، ونصعد في مستوى فهمه إلى مستوى المنظومات، وإذا تم التّوافق، والانسجام، بين الجزء ومنظومته، لا يصح طرح أسئلة إشكالية، متعلقة بالجزء فقط، دون منظومته؛ لأنَّ الجزء لا معنى له إلا

بانضمامه إلى المجموعة، فإذا وضعنا الجزء في مكانه من المجموعة، نكون قد حققنا المطلوب، ووصلنا إلى الصّورة الكُلِّيَّة، وبدأت تتضح معالم الصّورة عموماً، ومن ثم لا قيمة للتّساؤلات، والإشكاليات اللا متناهية، المتعلقة بالجزء بعد تركيب المنظومة وانسجامها.

فَقَبُول المنظومة للجزء، هو برهان بحد ذاته، على صواب مكانه ودوره، ولو لم يتم البرهنة المُباشرة على الجزء؛ فإن ذلك متروك للدّراسات المستمرة، عبر الزّمكان للمجتمعات الإنسانية، التي سوف تثبت صواب تفسير أو تأويل هذا النّص بصُورة مُباشرة من خلال الآفاق والأنفس.

فمن هذا المنطلق؛ نطالب علماء الفلسفة، والنّفس، والمجتمع، والتّاريخ، الباحثين عن الحقيقة؛ أن يعتمدوا النّص القرآني، كونه مصدراً علمياً، بجانب الواقع تماماً، مستخدمين في دراسته، أدق الأدوات المعرفية، التي وصل إليها العلم.

إنَّ اعتماد القرآن مصدراً علمياً، يُعطي الباحث سَبقاً علمياً؛ لأنه يضع الباحث على أرض صلبة من القواعد العلمية، ويوجه تفكيره ويُصوبه، كلما ضاع عن الحقيقة، وذلك من خلال إعطائه مفاصل للبحث، وعلامات؛ يَستدل بها خلال سيره في رحلة البحث عن الحقيقة.

أخي القارئ

يُعدّ البحث الذي بين يديك،محاولةً لكسر القيود؛ التي كبلت مفاهيم الرّوح والنّفس، وعملية التّفكير، وتحريرها من الاحتكار التّخصصي، وإنزالها إلى مستوى الأمة، لتتفاعل معها بصُورة مُباشرة، ولنزع الخوف من قلوب الأمة، وإرجاع الثقة بنفسها، وبقدرتها على الفهم، والتّدبر، والتّعقل؛ وذلك من خلال وصل الأمة بكتاب ربها، مُباشرةً، دون وسيط؛ سوى العلم والتّفكير.

وتعمدت في بحثي، أن لا أدخل في تفاصيل الموضوع وجزئياته، وتركت ذلك لمن أراد التّوسع بحثاً ودراسة، فمن خلال استحضار المنظومات، والقواعد، يتمكن من فهم ما يشاء من ذلك، ويضعه في مكانه المناسب.

إن هدفي من *هذا البحث؛ هو بناء الإنسان، الحر، الفعال، الشّجاع، الذي لا يقول: نعم*. عندما *يجب أن يقول: لا، ولا يخشى التّراث؛ مهما تراكم وتقادم، ولا يخشى المناصب العلمية، أو الاجتماعية؛ لأنَّ المنصب شيء، والعلم شيء آخر*.

من جانبي، لا أزعم أني أصبت في كل ما ذكرت، ولا أعطي صفة القطعية لما أظن أني أصبت فيه، فحسبي أني حاولت، وبذلت جهدي في ذلك، ويكفيني أن أفيد القارئ، وأحفز عنده قوة البحث، والدّراسة، والحوار، *ليتفاعل تعقلاً، ويصل إلى الفاعلية تفكيراً*.

وأتوجه بالشكر للأستاذين المحترمين؛ لتفضلهما بقراءة البحث، والقيام بتقديمه للقارئ الكريم.

{ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (الرّعد11)

دمشق

2005 م

كلمة لابد منها

قمت بإضافة بعض التعديلات ، والتوسع في عرض أمور أخرى نتيجة محاورات وأسئلة من بعض الأخوة الكرام ، إضافة لتفاعل مجموعة من المثقفين في المحاضرات التي ألقيتها في هذا الشأن مّما أثرى البحث ورفع مستواه إلى أقرب درجة من الصواب ، وما زال الباب مفتوحاً للحوار والدراسة والتعديل والزيادة والنقصان .

أُلفت نظر القارئ إلى ضرورة قراءة كتابي " علميّة اللسان العربي وعالميّتُه" مع هذا البحث كي يعلم القارئ المنهج اللساني الذي استخدمته في دراسة النصوص القرآنية ، والذي يقوم ابتداء على إثبات علمية نشأة اللسان العربي ، وهذا يقتضي ضرورة أن الأصوات العربية (الأبجدية) لها دلالات فيزيائية بذاتها التي يلزم منها القاعدة التي تقول : إذا اختلف المبنى اختلف المعنى ضرورة ، وتعلقها بمحل الخطاب على وجه الحقيقة لا المجاز .

والله الموفق ، وهو الهادي إلى سبيل الرشاد ، ونحن المهتدون بفضل من الله .

المؤلف

سورية – دمشق

5/ 12/ 2009 م

الفصل الأول

1 ـ الرّوح في اللسان والواقع.
2 ـ الرّوح في القرآن.
3 ـ الكائن البشري الرّحمادي الحيوي.
4 ـ الإنسان الكائن الرّوحي.
5 ـ النّفس.
6 ـ مفهوم الجن
7 - صفات النّفس (المجلدات الموجودة في نظام النّفس).

الرّوح في اللسان والواقع

إنَّ كلمة الرُّوح قد فُسرت بصُورة غيبية ضبابية، وأحيطت بهالة من الغموض والسّرية، نحو قولهم: إن الرّوح هي سر الحياة؛ وإن الإنسان عندما يموت تخرج روحه... الخ، وما شابه ذلك من الأفكار البعيدة عن الصّواب، والمخالفة للواقع، فالرّوح أمر قابل للدّراسة، مثل أي أمر يتعلق بالإنسان، فما هي الرّوح ؟

إن كلمة (روح) من (رح) ودلالة أحْرف كلمة (رح) هي:

ر: صوت يدل على التّكرار.

ح: صوت يدل على سعة وتّأرجح شّديد منضبط.

فإذا اجتمع الحرفان مع بعضهما شكّلا دلالة حسب ترتيبهما حيث تكون كل صُورة ضد الأخرى مبنى ومعنى (رح - حر).

فكلمة (حر) تدل على الانطلاق من التّأرجح، والسّعة إلى حالة التّكرار لهذه العملية ليشكّلا مع بعضهما دلالة واحدة تستخدم في الحياة الاجتماعية، أي تتم عملية استخدام الظّاهرة الفيزيائية لدلالة أصوات الأحرف الموجودة بصُورة مجردة عن الدّلالات الاجتماعية في الواقع، ونقلها إلى الاستخدام الواعي للإنسان في حياته الفاعلة؛ لتماثل الحدث، أو السُّلُوك مع دلالة أصوات الأحرف، ويتم ذلك بصُور لا متناهية بسبب وُجُود أصل ثابت تجريدي ممثل بدلالة أصوات الأحرف، ووُجُود فرع متغير متنامي مُرتبط بحركة الإنسان في الواقع، وهذه الحركة في تصاعد وتنام وتراكم مستمر؛ ما يدل على استمرار ولادة صُور جديدة لاستخدام الكلمات وفق المحور الثّابت (دلالة صوت الأحرف فيزيائياً).

إنَّ عملية إدراك الرّبط، والعلاقة، بين الدّلالة الصّوتية للكلمة في الواقع، ودلالتها الاجتماعية أمر لا يدرك بهذه السّهولة، فهو يحتاج إلى عمق في التّفكير، وإلى تجريد الكلمة من دلالتها الاجتماعية التي لازمتها ثقافياً، وقد ساهمت

المعاجم، والقواميس اللُّغوية، في ترسيخها ؛ ممَّا أدَّى إلى غياب الدّلالة الأصلية للكلمة، وانتشرت بصُور استخدامها اجتماعياً وثقافياً، وهذا الأمر ساهم إلى حد كبير، في ترسيخ الثّقافة السّلفية في المجتمعات المعاصرة ؛ لأنهم قيدوا أنفسهم باستخدام الدّلالات الثّقافية والاجتماعية، التي كانت سائدة في المجتمعات السّابقة، وبهذا العمل جعلوا اللسان قالباً جامداً، وكون اللسان هو حقل، ومجال، وميدان التّفكير، انتقلت عملية القولبة، والجمود إلى التّفكير، فصار تفكيراً اجترار يّاً لثقافة السّلف[1].

إذن، لنحاول أن ندرك الآن، العلاقة بين الدّلالة الصّوتية لكلمة (حر) واستخدامها من قبل الإنسان بصُورة ثقافية واجتماعية.

نحن نطلق على الجو إذا سخن هواؤه، بصُورة شديدة أنه جو حار، لاحظ كيف تحققت الظّاهرة الفيزيائية لهذه الصّفة، في الواقع.

أولاً : نلاحظ أنَّ الهواء (غاز) يتمدد بالسّخونة، وهذا دلالة السّعة لصوت حرف (ح)، وهذه السّعة والتّمدد للغاز (الهواء) نلاحظ أنها في عملية تأرجح شديدة، حركة ذهاب وإياب، تسببها السّخونة المستمرة للهواء، وهذا أيضاً دلالة صوت حرف (ح) في الواقع.

ونلاحظ أن عملية السّعة، والتّمدد، والتّأرجح الشّديد للهواء السّاخن، تتم في الواقع بصُورة مكررة، تُعيد نفسها، وهذا دلالة صوت حرف (ر)، أما دُخُول حرف (آ) الذي يسمونه (لام ألف)، وهو غير الهمزة، فقد أضاف لعملية السّعة، والتّأرجح صفة الامتداد والاستقامة، وتحقق ذلك بطول الوقت، والامتداد لسخونة الجو، بخلاف ما لو قلنا : الجوُّ حرٌّ.

---

[1] راجع كتابي (علمية اللِّسان العربي وعالميته).

فلعلي بهذا الشّرح، استطعت أن أجعل القارئ يعلم، ولو بصُورة نسبية، العلاقة بين دلالة صوت الأحرف فيزيائياً، ودلالتها في الاستخدام المعيشي، وكيف حصل ذلك الاستخدام من قبل العرب بصُورة فطرية تفاعلية.

فكانت أصواتهم صُورةً صوتية حالية، أو وظيفية للحدث، كما هو تماماً في الواقع، سواء أكان ذلك بصُورة كُلِّيَّة، أم جزئية للحدث، وبهذا التّفاعل الفطري للعرب في الواقع، وصلوا إلى ولادة أساس اللسان الأصل الثنائي، الذي أخذ صفة المحور الثّابت، وتبعه الأصل الثلاثي نتيجة ولادة المجتمع، وبعد ذلك انبنى اللسان بصُورة تراكمية، زمكانية، حسب المستوى العلمي لكل مجتمع، ومازال هذا البناء مستمر؛ لأنه يمثل الجانب المتغير الصّاعد المتنامي، على محور الثّابت، وهذه الصّفة للسان، هي ذات الصّفة للواقع، كونه محلاً لها كمدلولات، واللسان بمثابة مرآة للواقع.

وبالعودة إلى كلمة (حر) نلاحظ الاستخدام الاجتماعي لها، بقولنا: حَرَّ الرّجلُ الطّعام؛ إذا قام بعمل مؤرجح منضبط (ذهاب وإياب) مكرر، وذلك يدل على تقليب الطّعام بصُورة عشوائية.

ونقول أيضا: حَرَّ عمروٌ زيداً، إذا قام عمروٌ بسُلُوك نتج عنه اضطراب وغضب في نفس زيد.

ومن هذا الوجه، تظهر لنا دلالة (حرى) التي أضيف لها الألف التي تدل على الامتداد، والاستقامة، لتوجه عملية التّأرجح المكرر، نحو وجهة محددة، وإذا أضفنا حرف (ت) إلى أولها تصير (تحرى) حركة خفيفة مندفعة، مؤرجحة، مكررة، بامتداد واستقامة.

وهذه دلالة الكلمة اجتماعياً، عندما نقول: تحرى الرّجلُ الأمر؛ إذا قام بعملية البحث والتّقصي عن أمر محدد، ونُطلق على الرّجل الذي يمارس هذا الفعل اسم (التّحري).

ومن هذا الوجه ظهرت كلمة (حُرِّيَّة) التي تدل على مُمارسة دون قهر، منبثقة من السّعة، والتّأرجح بين الأمور، وهذه دلالة صوت حرف (ح) وعملية التّنقل بينها ذهاباً وإياباً، وهذا يمثل دائرة الاحتمالات الممكنة والمتاحة للإنسان، ليقوم بعملية الاختيار، وهذا دلالة صوت حرف (ر) وأتى بعده حرف (ي) ليعطي عملية الاختيار جهداً خفيفاً، ممتداً نحو أمر معين، ويأتي حرف (ت) ليكمل عملية الجهد، بدفع خفيف، متوقف عند أحد الاحتمالات المعروضة.

نلاحظ أن كلمة (حُرِّيَّة) عندما انتهت بحرف (ت) الذي يدل صوته على دفع خفيف متوقف، لم تُلزم الإنسان باختياره إلى الأبد؛ وإنَّما له أن يُعيد هذه العملية الاختيارية متى شاء، بخلاف ما لو انتهت كلمة (حر) بحرف (ق) وصارت (حرق) الذي يدل صوته على قطع أو وقف شديد، ويكون قد أنهى عملية الاختيار، ونفى عنها صفة المراجعة، وتغيير الرّأي، وتصادم ذلك مع واقع الإنسان، إذ هو نفس وفطرة، وصار اللسان اعتباطياً، وعشوائياً، لا يمثل الواقع على حقيقته.

أما كلمة (رح) فهي ضد كلمة (حر) مبنى ومعنى؛ أي أن ظاهرة دلالة صوت الحرفين، قد تغير ترتيبهما في الواقع بصُورة عكسية؛ فكلمة (حر) بدأت بعملية التّأرجح، وانتهت بعملية التّكرار، بينما نلاحظ أن كلمة (رح) بدأت من حيث انتهت كلمة (حر) وهي التّكرار، وانتهت بحالة التّأرجح؛ فأتى الاستخدام الاجتماعي لكلمة (رح) حسب تحققها في الواقع فيزيائياً.

لنر ذلك من خلال إسقاطها على محلها، من الخطاب الإنساني:

نقول: رحم الأم؛ وذلك لتحقق عملية التّكرار، والتّأرجح والسّعة، والجمع فيه فيزيائياً، وظهر ذلك اجتماعياً من خلال عملية تكرار الحفظ، والعناية بالجنين، وسعته له، وجمعه في داخله، الذي هو دلالة صوت حرف (م).

ونقول: رحى الطّاحونة، للحجر المستدير، الذي يستخدم في طحن الحبوب.

لاحظ دلالة صوت حرف (ر) على التّكرار، كيف هي ظاهرة في حركة حجر الطّاحونة، ولاحظ دلالة صوت حرف (ح) الذي يعطيها صفة التأرجح، وصفة الإعادة إلى نقطة البداية، وهكذا تتضامن عملية التّكرار والتّأرجح، فيأتي صوت حرف (ى) ليعطي هذه العملية، قصداً محدداً.

ونقول: مكان رحب، للمكان المتسع المتجمع، لأن دلالة صوت حرف (ب) هي تجمع مستقر، لاحظ تحقق دلالة صوت حرف (ر) وذلك في عملية تكرار بسط المكان، وأتى صوت حرف (ح) ليدل على سعة المكان، وتأرجح الحركة فيه نتيجة البسط والسّعة، وأتت دلالة صوت حرف (ب) ليدل على تجمع مستقر للمكان؛ ومن هذا الوجه نقول للضّيف: على الرّحب والسّعة، ونقول أيضاً: مرحباً.

وإذا وضعنا حرف (و) بين حرفي كلمة (رح)، تصير (روح)، ويزيد في دلالتها حسب دلالة صوت حرف (و) وتموضعه في الكلمة، وصوت حرف (و) يدل على امتداد منضم؛ فتصير دلالة كلمة (روح) هي تكرار وامتداد منضم مؤرجح.

ونقول: روح الشّجرة؛ بمعنى مجموعة الأمور المكررة، المنضمة على ذاتها، وممتدة لتعود من جديد إلى نقطة البداية، دون تخلف، أو تغير (تأرجح).

ونجد هذا المعنى متحققاً بصفة القوانين، التي تحكم الشّجرة، فهي التي تتكرر وتنضم إلى بعضها، وتعود إلى بدايتها، وهكذا تأخذ صفة التّكرار المنضم المؤرجح.
ونقول: روح الإنسان، وهي أيضاً بمعنى القوانين التي تحكم حياة الإنسان، وهي نظام الحياة.

فالرّوح، كلمة تدل على الأمور المتكررة، المنضمة لبعضها، وممتدة ومتأرجحة في حركتها بصورة منضبطة، وهذه دلالتها فيزيائياً، وتحقق ذلك في استخدامها الاجتماعي، عندما أطلقناها على الأشياء، فنقول: روح الشّجرة، روح الإنسان... الخ، وقصد العرب بذلك، مجموعة الأمور التي تحكم حركة الشّيء، بصُورة دائمة لا تتخلف أبداً (النّظام).

ونقول: روح النّص، ونقصد به مآل النّص ومقصده، والباعث عليه.

وهذه دلالة كلمة (روح) تماماً، من حيث تحقق صفة الاستمرار، والتّكرار لدلالات النّص، وضمها إلى بعضها لتشكيل صُورة كُلِّيَّة عن الأمر، وإسقاطه على محل الخطاب؛ للوُصُول إلى المآل والمقصد منه، الذي يتجه النّص في حركته نحوه؛ لتحقيقه على أرض الواقع، حيث كان هو الباعث ابتداءً، أي الذي ينظم عملية استمرار انضمام أجزاء النّص و سيرها إلى بعضها لتشكل الصّورة الكُلِّيَّة للنّص.

و يُلاحَظ من دلالة كلمة (روح النّص) أن ذلك غير ظاهر بالألفاظ والأجزاء، وإنَّما هو أمر مخفي يضبط حركة دلالات النّص، حيث يصير هو الطّاقة الرّوحية للنّص، وإذا سُلب من النّص روحه، انتفت صفة الفاعلية عن النّص، وصار نصاً عقيماً.

أما كلمة الرّوح في الواقع، فهي لا تخرج عن دلالتها اللسانية؛ لأنَّ اللسان هو صُورة صوتية، أو وظيفية للواقع؛ فلو نظرنا إلى الذَّرة، لوجدناها قائمة على حركة مستمرة، مكررة، منضمة إلى بعضها، محققة حالة الدّعة، والبسط، والتّأرجح، تقوم بوظيفتها مُرتبطة مع غيرها؛ لتحقيق غاية، وهذا واضح من خلال بنية الذرة، كنواة وإلكترون وبروتون.

وما ينطبق على الذرة، يشمل الوُجُود كله من الذرة إلى المجرة، إذ الذرة هي لبنة الكون الأولى، فماذا يعني هذا الكلام؟

إنه يعني أنَّ الذرة لها روح، وروحها هي النّظام الذي يحكمها، ويسيطر عليها، ويوجهها نحو غاية معينة، وكذلك المجرة لها روح، وهي النّظام الذي يحكم المجرة، من أجزائها إلى كلياتها، والعلاقة القائمة بينهم.

فالكون من الذرة إلى المجرة، له روح تحكمه، يسير بحسبها، لا يملك أن ينفك عنها، فهي ملازمة له، وهي الجانب المخفي في بنية الكون.

إذاً، الكون مؤلف من جانب مادِّي حسي، وآخر روحي سنني يُسيطر على الجانب المادِّي، {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ

يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ }الأعراف54 حيث صارا كلاهما كائناً واحدا ، روح ومادّة (رحمادي)[1].

وفي هذا الكون الرّحمادي، ومن رحمه، وُلدت الكائنات الحية على سُلَّمِ التّطور، فحملت هذه الكائنات الحية، صفات الكون الرّحمادي المتنامي، واكتسبت صفة ميزتها عن أصلها، هي صفة الحياة؛ لأنَّ الكون مؤلف من كائنات ميتة في الأصل.

فما هي هذه الصّفة التي اكتسبتها هذه الكائنات؛ فصارت بها كائنات حية؟

أول أمر ينبغي إثباته، هو أنَّ الموت سابق عن الحياة، أي الوُجُود التّرابي سابق عن وُجُود الكائن الحي، وهذا معلوم من نهاية الكائنات الحية، لأنَّ النّهاية هي البداية، فنهاية الكائن الحي هي التّراب، ممَّا يدل على أن بدايته من التّراب؛ قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ... } (الحج 5).وقال: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ } (الرّوم 19).

فالكائنات الحية، أُخْرِجَتْ من الكائن الميت ابتداءً، الذي هو التّراب، وتعود هذه الكائنات الحية إلى الكائن الميت (التّراب).

وقال أيضاً: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } (الملك 2).

فقد بدأ الخالق ـ سبحانه ـ بذكر خلق الموت أولاً؛ ليدل على أنَّ الحياة، هي أمر لاحق بعد الموت، ويصير في الواقع على الصّورة التّالية:

موت (التّراب) ثم الحياة الدّنيا، ثم موت (التّراب) مرحلة الانتظار، ثم الحياة الآخرة (تزويج النّفوس للأجسام).

قال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (البقرة 28.)

فما هو الموت ؟

---

(1) مصطلح اقتبسته من كتاب صديقي الدكتور عبد اللطيف حموش (قصة الإنسان) ط دار الفكر.

تعريف المـوت والحياة

الموت في اللسان: فقدان قوة فاعلية الشّيء .

ولمعرفة الفرق بين المـوت، والحياة، لابُـدَّ مـن إسـقاط ذلـك على الواقـع ومـشاهدة الفرق بينهما .

قال تعالى : {وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ } (يس 33)

الأرض الميتة: هي التّربة القاحلة الجدباء ، التي لا نبْت فيها ، ولا أثـر لوُجُود أي كائن حي في داخلها ، فإذا نـزل الماء عليها ، اهتـزت وربـت وأنبتـت مـن كـل زوج بهيج .

قال تعالى : {وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ } (النحل 65). فعنـدما ينـزل المـاء ، الـذي هـو أصـل الحيـاة كمـا قـال تعـالى : {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } (الأنبياء 30).

على التّربة، تتفاعل التّربـة مع الماء والـضّوء والحـرارة والرّطوبـة، فتـصير مُهيـأة لأن تحتضن صُور الحياة في رحمها ، ويخرج منها الكائنات الحية من نبات، وغيره .

إذاً ؛ الأرض الميتة، هي التربة الساكنة على نظامها الرّحمادي، الحركي، الثّنائي، فتكون الأرض الحية، هي التربة الفاعلة، والمنتجة للكائنات الحية .

وبذلك نصل إلى تعريف الموت، والحياة .

الموت: هو فقدان الفاعلية والإنتاج .

الحياة: هي امتلاك صفة الفاعلية ، والإنتاج بصُورة ذاتية .

وبناء على معرفة كل مـن المـوت، والحيـاة نـصل إلى تفـسير مجموعـة مـن الآيـات القرآنية:

1- {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (آل عمران 185)، كلمـة (ذوق) تدل على تناول بعض الشّيء لاختباره .

فيكون المقصد من النّص، أن تموت كل نفس، لفترة زمنية، طالت أو قصرت، فليس الموت صفة ًدائمة ًللنّفس، وإنَّما هو صفة تَذَوُّقية (مؤقتة)، وكذلك ليس الموت نهاية الحياة بالنّسبة للإنسان، بل هو مرحلة انتظار للانتقال إلى الحياة الأخرى، التي تُوفى الأجور فيها حسب الجهد، والعمل في مرحلة الحياة الأولى.

2- {إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيى} (طه 74)

فهذا المجرم الذي يدخل النّار، يفقد صفة الفاعلية والإنتاج ،لأنه ملازم لحالة العذاب، فهو من هذا الوجه، ليس حيّاً، حسب مفهوم الحياة، وليس ميتاً، حسب مفهوم الموت، لأنه يمتلك ـ في الأصل ـ صفة الفاعلية والإنتاج، ولكنها معطلة، فهو ـ المجرم ـ ليس بميت ولا حي، وكذلك ـ المجرم ـ في الحياة الدّنيا، إذا استخدم فاعليته وإنتاجه، في غير ما يصلح للنّاس من خير ونفع، فهو إنسان عاطل، ليس بميت، وليس بحي.

3- {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} (غافر 11).

لاحظ استخدام النص لكلمة {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} وهي غير كلمة (مرتين)، فعلى ماذا تدل كل منهما ؟

مرتين: كلمة تدل على تكرار الحدث، مع وجود فاصل زمني بينهما.

اقرأ قوله تعالى: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ} (البقرة 229)

وقوله{وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً} (الأحزاب 31).

وقوله: {أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ} (التوبة 126).

اثنتين: كلمة تدل على تثنية الأمر بزمن واحد أو بصورة متصلة متعاقبة.

اقرأ قوله تعالى: {... فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ...}

(النساء 11).

وقوله{ .. فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ .. } (النساء 176).

{إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ } يس14

فمثلاً نقول: جئت لعندك مرتين بصحبة اثنين، ولا يصح أن نقول: جئت اثنتين، ونقول: طرقت الباب مرتين وفي كل مرة اثنتين، ونقول: خذ اثنين من المعز مرتين.

إذاً، النص ـ ابتداءً ـ لا يتكلم عن مراحل الموت أو الحياة بصورة منفصلة عن بعضهما، بل يتكلم عن مرحلة موتٍ أو حياة بصورتين متعاقبتين، فما هما هاتان الصورتان ؟

بداية، ينبغي أن نستحضر المفهوم الثابت لدينا، المتعلق بالموت والحياة بصورتيه المادية والمعنوية، الذي هو دلالة النص القرآني {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (البقرة 28)

1- (وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً) أي مواد ميتة، التي هي التراب والماء، اقرأ قوله:

{وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ } (يس 33).

2- (فَأَحْيَاكُمْ) بدء عملية الخلق للبشر، ثم النَفْخُ فيه من الروح، ليضاف إلى حياة الجسم حياة النفس من خلال الوعي، والإدراك، والالتزام بالروح الكونية، والشرعية، وهاتان هما صورتي الحياة (المادية والمعنوية).

3- (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) موت الإنسان بخروج نفسه من جسمه، ويترتب على ذلك توقف فاعلية نفسه نتيجة هلاك جسمه.

إذاً، لا يمكن للإنسان أن يموت اثنتين بصورة الموت الجسمي، مما يؤكد أن دلالة (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ) متعلقة بالجسم؛ وبشيء آخر غيره، في وقت واحد، ولدى الدراسة، نجد أن صورة الموت الثانية، هي موت نفس الإنسان، وكلمة الروح تدل على أمر الرب، وفي الواقع، هي مجموعة السنن والقوانين التي تحكم الوجود كله (الروح الكونية)؛ وتدل على أمر الرب الشرعي؛ الذي تمثل برسالته للناس، اقرأ قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا } (الشّورى 52)، ليصيرا روحاً واحدة

منسجمتان مع بعضهما بعضاً ـ الروح الكونية، والروح الشرعية ـ، ويجب على الإنسان أن يلتزم بهما معاً، ويتحرك في الكون وفق روحه (سنن وقوانين)، ويتحرك ـ اجتماعياً ـ وفق روح المجتمع، المنضبط بروح الشرع الإلهي، فيصير هذا الإنسان حيّاً في جسمه، وحيّاً في نفسه، أمّا الذي يكفر ويُفسد في الكون، ويكفر بشرع الله؛ فيصير حيّاً في جسمه، وميتاً في نفسه، التي يعقبها موت جسمه نهاية بصورة متصلة، وهذه هي دلالة (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ).

أما دلالة (أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ)، فالحياة الأولى للجسم، وتكون من خلال البعث والحياة في الآخرة، والثانية الملتصقة بها، هي حياة النفس عند الكفار، لمّا يدركون الحقيقة بأم أعينهم، ويتطهرون من شركهم وأوهامهم بواسطة النار، لذلك قالوا: {.. فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} (غافر 11).

أمّا المؤمنون فلا يذوقون إلا الموتة الأولى؛ التي هي الموت الجسمي بعد حياتهم في الدنيا، {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (الدخان 56)، فالمؤمنون يحيون في الدنيا اثنتين؛ حياة الجسم، وحياة النفس (فاعلية وإيمان وانسجام مع الكون)، ويموتون موتة واحدة (موت الجسم)، ليحيون بعدها في الآخرة اثنتين؛ حياة الجسم، وحياة النفس(فكراً وتأملاً وسعادة وسروراً)، اقرأ قوله تعالى:

{إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} (طه 74). فالكافر لا يموت في النار من الناحية الجسمية، فهو حي، وليس هو حياً من الناحية النفسية، فهو الميت الحي، وما أكثرهم في الحياة الدنيا.

فيكون المؤمنون قد عاشوا حياتين فاعلتين سعيدتين، في الدّنيا، من خلال الالتزام بالرّوح التي أنزلها الله (القرآن)، والروح الكونية، وفي الآخرة، من خلال فوزهم بالجنة، ورضوان الله عليهم.

قال تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (الأنعام 122).

وقال: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا} (الشّورى 52).

وقال: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (النّحل 97).

4- {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران 169).

وهؤلاء اسمهم المقتولون الأحياء عند ربهم.

إن الإنسان الذي يُقتل في سبيل الله (الحق)، سواء أكان نتيجة عمله في الفكر والثّقافة، أم نتيجة سقوطه في المعركة، أم غير ذلك، ممَّا هو متعلق بسبيل إعلاء كلمة الحق، إن هذا الإنسان لا يموت، بل يمر بصُورة ومضة تقتضيها عملية الانتقال من جسم إلى آخر، لأن حياة النّفوس مُرتبطة بالأجسام[1]، ويستمر في حياته الجديدة، وفق نظام آخر، خارج الحياة الدنيا وخارج المقبرة البرزخية للنفوس الميتة، إلى أن يصدر القرار الإلهي بإنهاء الحياة الدنيا عامة فيتم توفي نفوس الأحياء حينئذ ومنهم نفوس الذين قتلوا في سبيل الله ، ويذوقوا جميعاً الموت {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}العنكبوت57 . وعندما تقوم السّاعة؛ يبعث الله النفوس من قبورها البرزخية؛ فترجع نفوسهم إلى أجسامهم الجديدة، ويستمرون بالحياة من خلالها ؛ وهذا جواب على سؤال هل يوجد قتلى غير أموات ؟ والجواب ذكرناه؛ نعم يوجد ، فليس كل مقتول ميت، مع وجود قتلى في الأموات وهم المقتولين في سبيل الباطل و الجرائم والكفر والعدوان!.

ومن هذا الوجه، تبين ـ لي ـ صواب حديث النّبي عموماً كمفهوم الذي يقول فيه:

(لما أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله تعالى **نفوسهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب** معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى لنا). أخرجه الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس.

---

(1) سوف نتعرض لتلك المسألة لاحقاً في فصل النّفس.

وهذا الحديث، هو تقريب لمفهوم أن الشّهداء الذين يُقتلون في سبيل الله (الحق) - لأنه يُوجد شهداء لا يُقتلون، وإنَّما يموتون ميتة طبيعية ـ لا تموت نفوسهم، وإنما ينتقلون من جسم هلك إلى جسم جديد في بُعد آخر غير البُعد الدنيوي، وغير المقبرة البرزخية، وذلك حتَّى تقوم السّاعة، ويبعث الله الأجسام الجديدة المنسجمة مع الوضع الجديد مرة أخرى؛ ليعودوا إليها.

وهذه الأجسام الجديدة، للشّهداء المقتولين، تخضع لنظام آخر لا نشعر نحن به، ولكن هم يستمرون في الحياة، عند ربهم يُرْزَقون، تعويضاً لهم عن تضحيتهم وشجاعتهم، وبذل أثمن ما عندهم في الحياة الدّنيا، بخلاف نفوس الآخرين؛ فإنها عندما تنفصل عن أجسامها (تموت) أي تُحفظ في مستودع ومستقر، تُعيد صور الحياة التي كان يعيشها في الدنيا مع بث حالات في نفسه تتناسب مع سيرته الحسنة أو السيئة، سروراً أو شقاء، وهذا ما يُسمى عذاب القبر[1]{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}غافر46، إلى أن تُبعث أجسامها يوم القيامة فتدخل كل نفس في جسمها الجديد، ويبدأ الحساب.

إذاً، التّراب والماء كائنات ميتة، لا تتصف بالحياة، رغم وُجُود الرّوح التي تُسَيِّرُ المادَّة فيها، وعندما خُلقت الكائنات الحية، كان ذلك، من جراء إيجاد بنية متطورة بروحها عن الذرة، وليست هي إلاَّ الخلية، فكانت اللّبنة الأولى، التي خُلقت الكائنات الحية منها، فروح الذرة غير روح الخلية، رغم أنَّ الأولى هي الأساس للوُجُود، والفرق بينهما هو:

الذرة: *كائن رحمادي حركي، ثنائي (متعدد العناصر) غير فاعل، وغير منتج لطاقته بذاته.*

الخلية: *كائن رحمادي حركي، ثنائي زوجي فاعل، ومنتج بذاته لطاقته، واستمراره في الحياة.*

---

[1] يوجد فرق بين الدفن والقبر، فليس كل ميت يدفن في التراب لاحتمال حرقه أو غرقه أو فقدان جسده لظرف ما، بينما كل ميت لابد من قبر نفسه ضرورة، ويكون ذلك في المقبرة البرزخية.

إذاً، الذرة والخلية، كلاهما مُسَيّران بالرّوح، وتمتاز الخلية عن الذرة بامتلاكها صفة الحياة، أما موت هذه الخلية؛ فيكون بتوقيف روح الحياة من فاعليتها، وإرجاعها إلى روح الذرة؛ فترجع الكائنات الحية إلى التّراب، وتتحلل إلى عناصرها الأولى، نتيجة اضطراب أو استهلاك في بُنية الخلية على صعيد روحها(قانون التناقض الذاتي)، أو جسمها، مِمَّا يؤثر على حركة المنظومة الكُلِّيَّة التي تنتمي إليها الخلية، فتصيبها بالاضطراب في روحها بصُورة كُلِّيَّة تَسير بها نحو الموت والهلاك.

فالكائنات الحية لديها أرواح تحكمها، وهي مُسَيَّرة بحسبها، وهي (الرّوح) النّظام السّنني، الذي يحكم حياتها، ومن ثمَّ، مَن يعلم النّظام (الرّوح) يستطيع أن يطيل حياتهم، وهذا معلوم، ومشاهد على أرض الواقع؛ فالإنسان يقوم بإطالة أعمار الكائنات الحية، من خلال دراسة أرواحها، ومحاولة إصلاح ما فسد منها، أو هلك، لتستمر في الحياة، إلى أن يصلوا إلى عمرهم الافتراضي، وما مسألة الاستنساخ، إلا مسألة متعلقة بمعرفة روح الخلية.

إن الكون من الذرة إلى المجرة، كائن رحمادي حركي متنامي؛ لأن روح الكون قائمة على قانون الحركة، كما هو معلوم في العلم، ومذكور في القرآن { وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } (يس 40)، والسّباحة من سبح؛ التي تدل على الحركة الحرة المستقرة على نظام معين، وكلمة (فلك) تدل على أن هذه الحركة (السّباحة) إنَّما هي وفق خط منحن، مغلق على نفسه، (مدار إهليجي)، وروح الكون قائمة على العلاقات، بين الأجزاء الموجهة نحو غاية، ووظيفة، تقوم بها مجتمعة؛ لتشكل العمل الكلي المترابط بأجزائه.

قال تعالى: { كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } (النّور 41)

فهذه الصّلاة الكونية، ليست هي الصلاة الواعية المعروفة، من قيام وركوع وسجود، وإنَّما هي من الصّلة، ومن ثم تكون بمعنى العلاقة؛ أي أن كُلاً منهم، قد تمت برمجته حسب وظيفته مع ذاته وغيره؛ لينسجم الكل بحركة الكون، لا يخرج

أحد عن صلاته ،أو يقطعها ، كما أنه لا يقف عن التّسبيح أبدًا ؛ قال تعالى : { وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً } (الإسراء 44) .

فتسبيح الكون بأجزائه ، هو أمر لا يخضع لعملية الفقه ، ولكنه يخضع لعملية العلم ، فماذا تعني عملية الفقه ؟

فقه : كلمة تدل على الفهم والدّراية والإدراك الحسي المُباشر .

قال تعالى : {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي } (طه27 ـ 28) .

ففقه القول ، هو فهمه وإدراكه بصُورة مُباشرة دون دراسة ، نحو أن يتكلم إنسان بلسان لا نعرفه ، فنقول : لم نفقه ممَّا قال شيئاً ، مع وُجُود القدرة الفهمية على دراسة لسانه ، ونصير عالمين به ، ومن ثم ، نفقه هذا اللسان عند سماعه مرة أخرى ؛ فالإنسان لا يفقه حركة الكون ، فمن منَّا يستطيع أن يرى حركة الذرات ، أو يشعر بها في الماء ، أو الهواء بصُورة مُباشرة ؟ والجواب هو : لا ؛ دون شك ، ولا أحد يستطيع ذلك ، ولكن يمكن أن نقوم باستخدام الأدوات المعرفية ، ودراسة الأمر ، فنصل إلى العلم بتسبيح الكون .

فعلاقة الكون مع بعضه ، هي علاقة تكاملية ، متناغمة مع بعضها ، كل جزء يقوم بوظيفته على أتم وجه ، وهذه الأفعال (أعمال محددة) ؛ الله عليم بها ابتداءً وانتهاءً ،[1] وهذه العلاقة ، إضافة إلى الحركة (التّسبيح) قائمة على الثنائية ، والزّوجية ؛ فقد خلق الله الكون ثنائياً ، وجعل بين هذه الثّنائيات علاقات ؛ ليتم التّكامل ، والانسجام ، والتّوالد ، والنّمو ، والتّفاعل ، والتّطور ؛ قال تعالى :

{وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (الذاريات 49) .

{وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } (الذاريات 47) .

{ وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (النّحل 8) .

فالكون في حالة توسع دائم ، وخلق متجدد ، وفق قانون الحركة والزّوجية (الصّلاة والتّسبيح) ، إذاً ، الكون كله من الذرة إلى المجرة في حالة صلاة وتسبيح ، فهو كائن رحمادي ، حركي متنامي ، له وُجُود موضوعي ، والرّوح التي فيه ؛ هي

---

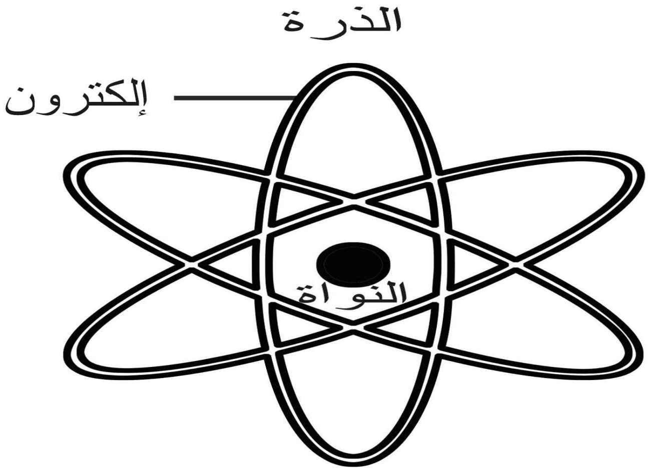
[1] وهذا لا علاقة له بأفعال الإنسان الواعية التي تصدر منه تباعاً تحت السمع والبصر الإلهي لا يغيب عنه شيء.

واحدة، وهي التي تحرك صُور المادَّة كل حسب وظيفته، فالأمر أشبه بالطّاقة الكهربائية، والأجهزة، فيوجد مكواة، ومدفأة وغسالة، ومروحة... الخ ،تعمل بالطّاقة الكهربائية ذاتها، رغم اختلاف وظائفهم، أي علاقاتهم مع ذاتهم، وغيرهم.

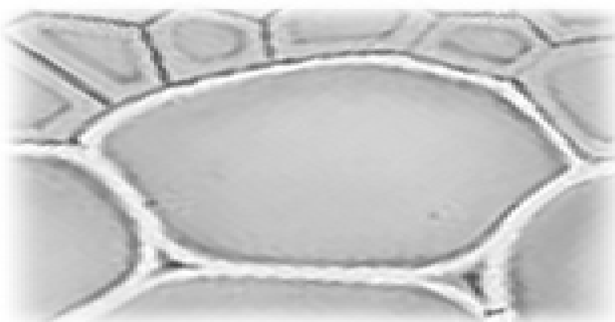
فطاقة الحركة في الكون واحدة، تُحرك الذّرة، وتحرك المجرة، ومن هذا الوجه يظهر لنا وحدة الوُجُود الرّوحية، ويظهر لنا أحدية الخالق (الفاعل) إذ الفعل، إنَّما هو واحد، ولكنه نما، وتطور، وتوسع، ومازال محتفظاً بهذه الصّفات، ومن رحم الكون، تَمت ولادة الكائنات الرّحمادية الحية، وانبثاقها بصُور متطورة متقدمة على غيرها من الصّور.

فظهر عالم النّبات، ثم عالم الحيوان، ثم عالم البشر، والإنسان؛ ليكون أرقى صُورة متطورة، للكائن الرّحمادي الحي، وهو يحتفظ في بنيته بكل صفات الرّحمادية، من حيث خضوعه لقانون الحركة، والثّنائية (التّسبيح والصّلاة) وما ينتج عن ذلك، من علاقات، وصدق من قال:

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر



كائن رحمادي ميت



الخليـة كائن رحمادي زوجي حي

الروح في القرآن

بعد أن درسنا الرّوح في اللسان والواقع، وعلمنا أنَّ الرّوح غير الحياة، وأنها أعم منها، و أن الموت يُقابل الحياة، وليس الرّوح، وعلمنا أنَّ الرّوح هي نظام سنني، يحكم المادَّة بصُورة لازمة، ومن ثم؛ فالكون هو كائن رحمادي، كما أنَّ الكائنات الحية، هي كائنات رحمادية أيضاً، من حيث الأصل، واستمرت كذلك، وأضيفت لها صفة الحياة.

نأتي الآن إلى كلمة الرّوح في الاستخدام القرآني؛ لنر كيف استخدمها، وبأي دلالة؟

مع العلم ـ بداية ـ، أنه ينبغي عدم وجود خلاف بين الواقع، واللسان العربي، والقرآن في استخدام دلالة الكلمة، لأنَّ المصادر الثّلاثة مُرتبطة ببعضها؛ بعلاقة جدلية منسجمة كل الانسجام مع بعضهم.

قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} (الإسراء 85).

هذه الآية، هي أشهر نص في الاستخدام القرآني، التي يستدل بها بعض من يزعم أنَّ الرّوح مسألة غير قابلة للدّراسة، وهي سر غيبيّ، وهي أصل سر الحياة، وما شابه ذلك من أقوال سطحية.

والمدقق في نّص الآية، يلاحظ أنها جواب على سؤال، وُجّه إلى النّبي محمد ﷺ، والسّؤال لم يذكر لا من قريب، ولا من بعيد أن مدلول الرّوح في ذهن السّائلين هو سر الحياة، أما الوجه الآخر لنّص الآية، فهو أنه ليس من أسلوب القرآن غموض السّؤال، وغموض الجواب!، فهذا عبث، يُنزَّه النّص القرآني عنه، والوجه الأخير

للموضوع، هو أنه ليس من أسلوب القرآن، أن لا يُعطي جواباً عن السّؤال، ويمنع التّعلم والدّراسة، وهو الذي يطالب بالعلم والتّفكير والتّعقل !.

انظر قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} (البقرة 219).

وقوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} (البقرة 189).

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ} (البقرة 222).

ونّصُّ الآية المعنيُّ بالدّراسة هو من هذا القبيل، سؤالٌ صريحٌ، وجوابٌ كافٍ شافٍ، ليس فيه نهي عن الخوض، في مادَّة السّؤال، أو هو سر غيبي لا يمكن أن يعلمه أحد، اقرأ النّص من جديد بنظرة أخرى ؟ ألا تجده على نمط الأسئلة السّابقة {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} فهذا النّمط من الأسئلة، والجواب عليها، ليس مثل قوله تعالى:

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} (الأعراف 187)

لاحظ صراحة السّؤال، والعناية بالجواب، وتشجيع النّاس على أن يوجهوا أسئلتهم دون خوف أو خجل؛ لأن مفتاح العلم والمعرفة، هو السّؤال؛ لذلك ينبغي أخذ السّؤال بصُورة جدية، والقيام بالإجابة العلمية عليه؛ فنلاحظ أن الجواب أتى ـ في النّص المعني بالدّراسة ـ بصيغة {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} بينما أتى جواب السّؤال عن وقت السّاعة بصيغة {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي} وهناك فرق كبير في الدّلالة بين جملة {مِنْ أَمْرِ رَبِّي} وجملة {عِندَ رَبِّي} فالأولى لم تنف العلم، وإمكانيته عن النّاس، بل أخبرت أن ما تَسألون عنه هو من أمر الرّب

القابل للدّراسة والاكتشاف؛ لذلك أنهى الجواب بقوله{ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} إشارة إلى طلب الاستمرار في رحلة التّعلم والدّراسة؛ لكشف أمر الرّب في الأشياء، والأحداث كيف قامت (كينونة) ؟ وكيف استمرت (سيرورة وصيرورة) ؟، وما نصل إليه من عُلُوم، واكتشافات يبقى قليلاً بالنّسبة لما هو غير معلوم من أمر الرّب في الوُجُود لأننا نعيش في دائرة عالَم الشهادة التي هي في داخل عالَم الغيب الواسع المتنامي، بينما جواب السّؤال عن السّاعة؛ فقد أتى بنفي إمكانية العلم بوقتها صراحة، وأن ذلك موجود عند الرّب حصراً، ومن ثمَّ فأيُّ دراسة، أو بحث، أو تفكير، في معرفة وقت إقامة السّاعة، هو مضيعة للوقت؛ لاستحالة الوُصُول إلى معرفتها، وذلك لنفي علاقة قيام الساعة بانتهاء عمر الكون الافتراضي، وقيامها مُرتهن بتدخل إلهي في عملية توقيف حركة الكون بغتة.

وأتى أمر الرّب في الاستخدام القرآني على حالتين:

الأولى: الأوامر الشّرعية؛ قال تعالى: {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ } (الأعراف 29).

{ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ } (يوسف 40).

{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى } (النّحل 90).

الثّانية: الأوامر الكونية، وهي الأحداث التي تجري في الواقع، على صعيد الآفاق والأنفس، ضمن سنن الله ﷻ قال تعالى:

{ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ } (التّوبة 48).

{ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ } (هود 43).

{يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ } (هود 76).

{ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (الأعراف 54).

فأوامر الرّب على وجهين: **كوني، وشرعي**.

الأول : يخضع النّاس له قهراً .

والثاني : يخضع النّاس له إيماناً واختياراً .

والنّص المعني بالدّراسة، ذكر أنَّ الرّوح من أمر الرّب، ممَّا يُؤكِّد ما ذهبنا إليه سابقاً، من أنَّ الرّوح، هي الجانب العلمي السّنني للشّيء ؛ لأن أمر الرّب - في الواقع - له جانبان :

الأول : الجانب النّظري (العلمي والتّشريعي) عالَم الأمر .

والآخر : حصوله في الواقع بصُورة موضوعية عالَم الخلق .

وهذا واضح في قوله تعالى { أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} فالخلق هو الجانب المادِّي، والأمر هو الجانب المخفي ؛ الذي يحكم المادَّة، فعملية الخلق مُرتبطة بالأمر ؛ انظر قوله تعالى : {وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ } (البقرة 117)، فيكون الجانب العلمي المتعلق بأمر الله، هو المقصود بكلمة الرّوح، حيث أتت في النّص بصيغة من أمر الرّب، و(من) دلالتها التبعيض، وبقية أمر الرّب هو الجانب المادِّي للأمر الإلهي ؛ فيكون المقصود من السّؤال{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ } سؤال عن الجانب المخفي، الذي يحكم الأحداث والأشياء، فكان الجواب {مِنْ أَمْرِ رَبِّي} ، المُرتبط بالوُجُود المادِّي، فإذا درستم هذا الجانب المادِّي تصلون إلى الرّوح التي تتحكم في حركة المادَّة وبُنيتها، فتكتمل عندكم صّورة الشّيء المدروس، مادَّة وروحاً، وبذلك تكونون قد وصلتم إلى معرفة أمر من أوامر الرّب، في الوُجُود الرّحمادي.

ونتابع النظر في استخدام النّص القرآني لكلمة (الرّوح) .

قال تعالى : {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } (الشّورى 52).

وقال : {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ } (غافر 15) الملاحظ في النّصين، أن كلمة الرّوح أتت مُرتبطة بأمر الرّب،

والمقصود به، هو مادَّة الوحي التي نزلت على النّبي ؛ وليست هي إلا القرآن الذي جعله الله نوراً وهدى، ووصفه بالرّوح ؛ لأنه يحتوي على مجموعة الأوامر الإلهية، المتعلقة بتنظيم حياة الفرد والمجتمع، التي يجب على الإنسان أن يُسَيِّر نفسه بها، وكذلك يحتوي على أوامر، متعلقةٍ بالآفاق والأنفس التي تُسَيِّرُ الإنسان، حيث يصير عنده روحان ؛ *الأولى يُسَيِّر نفسه بها إيماناً واختيارًا، و الثانية تُسَيِّره نظاماً .*

والرّوح الشّرعية، منسجمة مع الرّوح الكونية، ومتناغمة معها بصُورة متكاملة، فعندما يُعرض الإنسان عن الالتزام بالرّوح الشّرعية، يصير شاذاً في حركته، ومضطرباً في نفسه؛ لانتفاء التّناغم والانسجام مع الرّوح الكونية، والاجتماعية، والنّفسية، التي تحكمه نظاماً ؛ لأن كلا الرّوحين، من أمر الرّب.

جبريل حامل الروح

قال تعالى : {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} (الشّعراء 193).

وقال : {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً} (النّبأ 38).

وقال : {فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً} (مريم 17).

واضح من النُّصُوص، أنَّ المقصود بكلمة (الرّوح) هو الملك جبريل أو ملك آخر، ووصفه الله بالرّوح ؛ لأنه المَلَكُ الموكل بحمل أمر الرّب، وتطبيقه في الواقع.

قال تعالى : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً} (النّساء 171).

لقد خلق الله عيسى بن مريم، من خلال إلقاء كلمته إلى مريم، وكلمة الله هي (كُن)المذكورة في قوله: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }آل عمران59 وحقيقة كلمة الله في الواقع، هي سنة الله في الخلق، فآدم خُلق بقانون، وكذلك عيسى، خُلق بقانون آخر، يتناسب مع وضعه دون والد، أما كلمة (وروح منه) فالمقصود منها أنَّ النّبوة، رافقت عملية الخلق ابتداءً، فهو النّبي الوحيد، الذي صار نبياً وهو في بطن أمه، وما إن وُلد حتَّى كَلَّمَ النّاس، وأخبرهم بنبوته، والنّبوة هي مقام علمي[1]، فكلمة الرّوح، يُقصد بها العلم بنوعيه الكوني والشّرعي، ومن هذا الوجه، يظهر لنا سبب قيام النّبي عيسى عليه السلام بإحياء الموتى بإذن الله[2](سنة الله) وإبراء الأكمه[3]، وغير ذلك، كله بإذن الله، إضافة لأوامر الله الشّرعية التي يُعلمها للنّاس.

فكلمة الرّوح، لا علاقة لها بالذات الإلهية، وهي غير الحياة، للفرق بينهما.

إذاً، استخدام كلمة الرّوح في القرآن، أتى متطابقاً مع دلالتها لساناً، وواقعاً.

فالرّوح في القرآن، هي سنن الله التي تحكم المادَّة، وهي أيضاً مجموعة الأوامر الشّرعية التي أنزلها الخالق للنّاس؛ ليُسَيّروا أنفسهم بحسبها إيماناً واختياراً، فعندما نقول: إن هذا الإنسان روحاني؛ نقصد بذلك أنه يُسيّر نفسه بشرع الله، وعندما ننفي عنه صفة الرّوحانية، يكون إنساناً متمرداً خارجاً عن شرع الله، وكذلك الإنسان الذي يدرس عُلُوم الآفاق والأنفس، تكون دراسته روحية، إذ هي متعلقة بالواقع الرّحمادي.

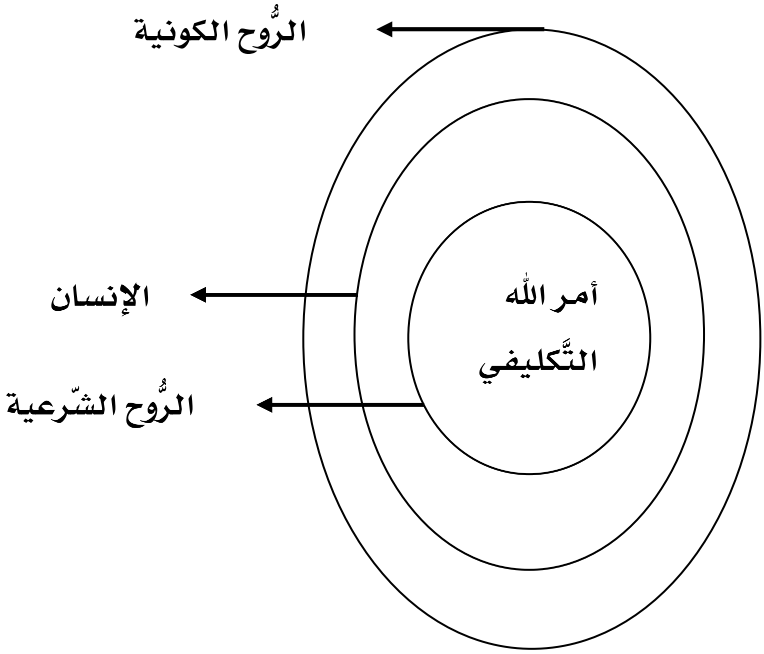
---

(1) راجع كتابي (تحرير العقل من النقل).

(2) الموت نوعان: مادي متعلق بالجسم، ومعنوي متعلق بالنفس،.وإحياء الموتى بالنسبة للنبي عيسى كان متعلقاً بحياة النفس (معنوي) ويُقصد به إرجاع الفاعلية للإنسان الكافر من خلال إيمانه بالله، انظر إلى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم **لِمَا يُحْيِيكُمْ** }الأنفال24.

(3) الكمه مرض نفسي يصيب الإنسان في مزاجه مثل الاكتئاب، أو في تفكيره مثل انفصام الشخصية.

الرُّوح



الكائن البشري الرّحمادي الحيوي

إنَّ الكائن البشري، هو ابن الأرض، فهو آخر أبنائها ظُهُوراً وأكملهم خلقاً، وقد مضى على ظُهُوره على وجه الأرض، مدة طويلة، تقدر ببضع مئات الآلاف من السّنين، وربما الملايين، بخلاف تاريخ الإنسان المذكور في الكتب السّماوية؛ فهو لم يمض عليه أكثر من عشرين ألف سنة تقريباً، ممَّا يدل على أنَّ الكتب السّماوية؛ لم تذكر تاريخ هذا الكائن البشري، قبل أن يصير إنساناً فاعلاً عاقلاً؛ وذلك لانتفاء صنع الحضارات والأحداث، بينما نجد أنَّ الكتب السّماوية؛ قد تعرضت لذكر مسألة خلق هذا الكائن ابتداء، وكيف نما، وتطور، وصار نسله من ماء مَهين؛ فهذه المسألة ينبغي الانتباه إليها أثناء الدّراسة، *والتّفريق بين تاريخ البشر كخلق وتطور، وتاريخ الإنسان كحضارة وأحداث، ولكل منهما علم خاص به.*

إنَّ الكائن البشري، لا يختلف في وُجُوده الفيزيولوجي، كثيراً عن سائر الكائنات الحية، التي تشاركه الحياة على سطح الأرض، وكون هذا الكائن ابن الأرض؛ فهو يتمتع بصفات الأرض، ويتركب جسمه من عناصر الأرض ذاتها، إنه كائن رحمادي، ممزوج بالطّاقة الحيوية، له غرائز وحاجات عضوية لابد من إشباعها؛ ليحافظ على وُجُوده الفيزيولوجي من أن يتحول إلى صُورة أخرى؛ فيفقد وُجُوده البشري، ويرجع إلى أمه الأرض التي سوف تقوم باحتضانه في رحمها، وتُحلل جسده إلى العناصر الأولى؛ التي أعطته إياها سابقاً، والرّوح ملازمة للمادَّة، تعود لتظهر مرة أخرى في صُور مختلفة، من النّبات الذي يتغذى وينبت من التّربة؛ فالرّوح التي كانت تحكم بنية الكائن البشري، عادت إلى أصلها؛ لتشكل علاقة جديدة، وتظهر بصُور أخرى للمادَّة (ربما شجرة)، وهكذا تستمر دورة الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والحياة، كما هو مشاهد في الواقع، قائمةٌ في أصلها على الماء وبدأت في الماء، وليس في الطين،{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً } (الفرقان 54).

فحيثما وُجد الماء، وُجدت إمكانية الحياة للكائنات، من نبات وحيوان وبشر؛ قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } (الأنبياء 30).

واستمر تطور هذا الكون، منذ بدء نشوئه من صُورة إلى أخرى أرقى من السّابقة، إلى أن وصل إلى المستوى المطلوب، الذي يمكن للحياة أن تستمر فيه من خلال مراحلها المائية، والبرمائية، والبرية، وصار التكاثر من جراء عملية توالد الموجودات من بعضها، من جراء علاقات زوجية تفاعلية معقدة.

قال تعالى: {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً } (نوح 14).

وقال: {وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (الذاريات 49)

فثبتت حركة الكون وعلاقته مع بعضه، على الوضع الرّاهن.

قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } (طه 5)[1].

وقال: {سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً } (الأحزاب 62).

واستمر الكون في رحماديته، على نظام الثابت والمتغير، وفي هذا الكون، وعلى كوكب الأرض ظهرالكائن الرّحمادي الحيواني البشري، في المشروع الإلهي للخلق على سُلَّم التّطور، بإرادة سابقة من الخالق.

لذلك لا نجد في النّص القرآني، أي خطاب يُوجَّه إلى الكائن البشري، نحو: يا أيها البشر؛ فليس البشر بمحل خطاب، أو تكليف، والقرآن يذكر البشر في سياق الخلق وتطوره، أو تحديد الجنس نحو قوله تعالى:

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً } (الفرقان 54).

{ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ } (يوسف 31).

---

(1) راجع شرح هذا النّص في كتابي الألوهية والحاكمية.

{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ }ص71

فالوُجُود البشري، مثله مثل وُجُود أي كائن حي آخر، فليس هناك فرق بين الطّاقة الحيوية الموجودة في أجنة الحيوانات، والطّاقة الحيوية الموجودة في الأجنة البشرية، ناهيك عن أنَّ الطّاقة الحيوية، موجودة ابتداءً في الحيوان المنوي، لكل الكائنات الحية.

وموت الكائنات الحية (النّبات، الحيوان، البشر) هو انتهاء صلاحية تركيبة الحياة البدائية، على شكلها المتطور، فتفقد صفة استمرارها بهذا الشّكل، فتعود إلى أصلها، سواء أكان ذلك بفعل فاعل، نحو أن يقوم الإنسان بقتل الحيوان، أو قطع الأشجار؛ فبعمله ذلك يوقف تفاعل الطّاقة الحيوية، وعلاقتها مع بعضها بعضاً، ضمن نظام محدد، وبتوقف تفاعل الطّاقة، ترجع إلى صُورتها الأولى البدائية، وتختفي العلاقة التي كانت تشكل حياة هذا الكائن الحي، ويصير وجوده في خبر كان، أم كان ذلك بعامل الزّمن، وهو انتهاء التّفاعل الجدلي، للطّاقة الحيوية، ضمن هذه الصّورة؛ فيتوقف وُجُود الحياة فيها؛ لتعود إلى أصلها الطاقة الأم، والجسم إلى التراب وعناصره الأولى.

فعناصر الحياة موجودة في الواقع؛ ولكن وُجُودها - وحدها - لا يكفي لوُجُود صُورة الحياة المتطورة، بل لابُدَّ من فاعل يقوم بإيجاد علاقات فيما بين هذه العناصر، لإخراج صُور للحياة مركبة ومعدلة، وقد فعل ذلك الخالق عندما جعل هذه الكائنات (النّبات، الحيوان، البشر) تتوالد من خلال نظامٍ وضعه في بُنيتها (الجينات)؛ قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (غافر 67).

فأصل الخلق، من تراب وماء (كائنات ميتة)، أما ظُهُور الحياة بهذا الشّكل، فهو تدخل وتدبير إلهي، في جعل الحياة تستمر وتتوالد في صُورها، وَفق المشروع الإلهي {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ } (السّجدة 7- 8).

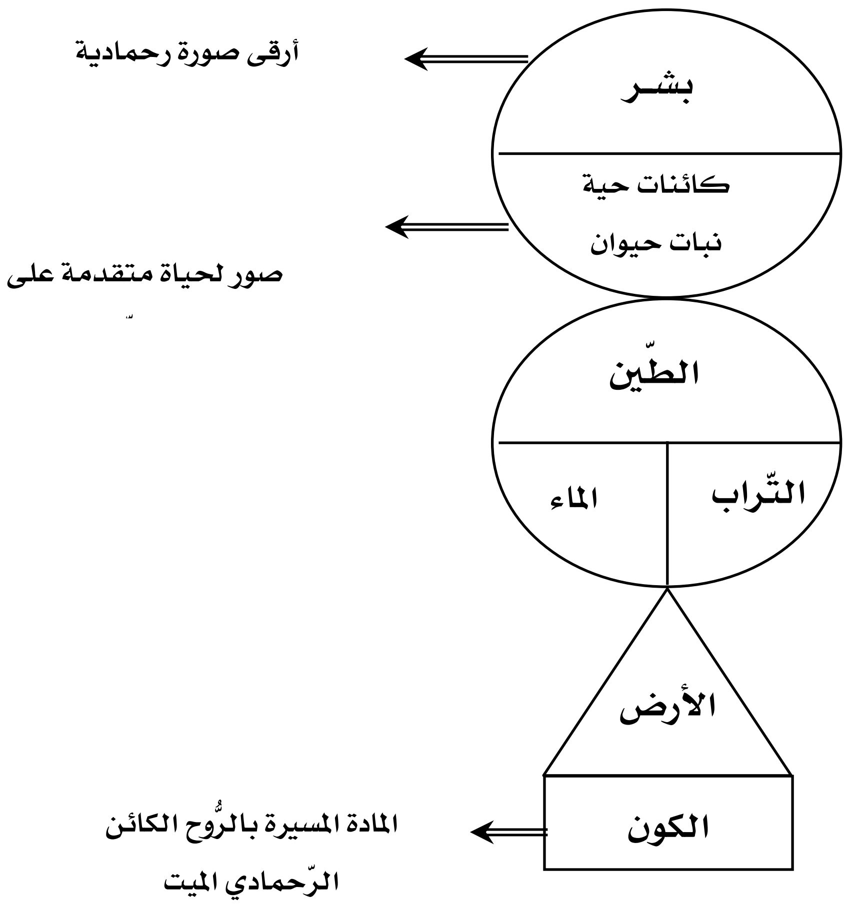
فالأمر أشبه ما يكون بوُجُود مواد للبناء مخزنة، ومهما استمر وُجُود هذه المواد المُعَدَّة للبناء في المستودع لا يمكن أن يتشكل منها أي صُورة، فلابُدَّ من وُجُود الفاعل العالم، الذي يقوم بإيجاد علاقات معينة بين هذه المواد لتشكيل صُورٍ محددةٍ منها قد أرادها الفاعل سابقاً، وهذا ما أراده الخالق عندما استخدم فعل (الخلق) أولاً، ثم استخدم فعل (الجعل) لاحقاً؛ **فعملية الجعل، هي عملية لاحقة لعملية الخلق، وهي تغير في الصّيرورة**؛ فكان أصل الخلق من التراب و الماء ؛ ثم صار ـ فيما بعد ـ من الماء المَهين، الذي يحتوي على صُورة مختزلة، لقصة حياة الكائن الحي، في شكله المتطور، وعندما وصل هذا الكائن على سُلم التّطور إلى عملية التّسوية، والتّعديل، والانتصاب على قدميه، وتسوية ظهره، وإطلاق يديه؛ قال الرب للملائكة: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } (البقرة 30).

تنبَّه ـ أيها القارئ الكريم ـ إلى كلمة (جاعل)، ولم يقل: خالق؛ لأنَّ الكائن المقصود بالكلام، موجود على الأرض، فقالت الملائكة: { قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ } (البقرة 30).

وهذا النّص يدل بشكل واضح، على أنَّ الرب قد حدد لمقام الخلافة كائناً يعيش على الأرض، مُشاهداً من قبل الملائكة؛ لذلك أظهرت استغرابها من جعل هذا الكائن الأرضي خليفة؛ وهم يشاهدونه يفسد ويسفك الدّماء؛ فمن أين تكون له الخلافة ؟

إنَّ الخلافة ـ مقاماً ـ يلزمها مؤهلات، لا يتصف بها هذا الكائن، وهذا دليل على أنَّ الملائكة لا تعلم بالمشروع الإلهي، إلا ما يظهر منه في الوُجُود تباعاً؛ ومن هنا، أشارت الملائكة إلى أنفسها بأنها مخلوقات راقية تُسبِّح بحمد الخالق، وتعظمه؛ لذلك، فهم رشحوا أنفسهم لأن يكونوا في مقام الخلافة؛ فقال لهم الرب: { قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (البقرة 30).

ولم يُطلعهم على مشروعه في كيفية جعل هذا الكائن البشري؛ خليفة في الأرض.


أرقى صورة رحمادية
بشـر
كائنات حية
نبات حيوان
صور لحياة متقدمة على
الطّين
التّراب
الماء
الأرض
الكون
المادة المسيرة بالرُّوح الكائن
الرّحمادي الميت

الإنسان الكائن الرّوحي

قد عرفنا أنَّ البشر هو كائن رحمادي حي مثل الكائنات الحية الأخرى ظهر على وجه الأرض منذ بضع مئات الآلاف من السّنين، ويعتمد في حياته على أكل اللّحوم النّيئة، والثّمار من الغابات مُباشرة، فكان مفسداً في الأرض، من جراء تعامله ـ مع الغابات ـ بصُورة غير واعية، يقطع الأشجار ويكسر الأغصان، مثله مثل أي جنس حيواني آخر، ويسفك الدّماء، نتيجة تناوله لحم الحيوانات، واستمر على هذا النهج إلى ما شاء الله له من الحياة، التي تعرّض خلالها إلى تطور في دماغه، وجسمه، وحركته؛ حسب المشروع الإلهي؛ إلى أن وصل إلى المستوى المراد؛ على سُلّم التّطور.

قال الرب: { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } (البقرة 30).

قالت الملائكة: { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ } ؟

قال الرب: { قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }

فماذا تغير في واقع حال هذا الكائن البشري ؟ وكيف سيصير في مقام الخلافة ؟ نجد جواب ذلك في قوله تعالى:

{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } (السّجدة 7 ـ 9).

لاحظ حرف (ثم) بين المراحل الثّلاثة، وهو حرف عطف، يفيد التّرتيب مع التّراخي، والفاصل الزّمني بين المراحل.

المرحلة الأولى : *بدء خلق الإنسان من طين.*

المرحلة الثّانية : ***جعل نسله من ماء مَهين[1].***

المرحلة الثّالثة : *فيها ثلاث صفات، تمت في الواقع تباعاً :*

أ ـ تسوية الكائن البشري.

ب ـ النّفخ فيه من روح الله.

ت ـ جعل السّمع والبصر والفؤاد للجنس كله، بصُورة تفاعل بعد النّفخ فيه من الرّوح { وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ }

هذا النّص صريح، في أن عملية خلق الإنسان الحالي، لم تتم مُباشرة بهذه الصّورة، بل مَرَّت بمراحل ثلاثة ـ بينها فترات زمنية ـ إذ بدأ خلق الكائنات الحية من الطّين، واستمر تكاثرهم ـ بطريقة ما ـ إلى ما شاء الله من الزّمن، تعرضوا خلاله للتّطور، والتّصنيف، والتّمييز فيما بينهم، كل حسب ما رسم الله له، إلى أن وصلوا إلى مرحلة الأجناس[2]،

---

[1] كلمة(مَهين) بفتح الميم من الفعل الثلاثي (هان يَهين هَوناً)، وهي تدل على سهولة الأمر أو ضعفه. انظر قوله تعالى: {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً }مريم9 ،

وبضم الميم (مُهين) من الفعل الرباعي (أهان يُهين إهانة)، انظر: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ **مُهِينٌ** }الحج57.

[2] **ينبغي الانتباه إلى أن الخطاب المتعلق بخلق البشر يشمل الكائنات الأخرى تماماً، ولم يُذكر ذلك لحصول الفهم ضرورة من خلال التماثل في الواقع، فالحيوانات خُلقت من تراب وماء(طين) وتؤول إلى التراب حين موتها، وجُعل نسلها من ماء مَهين(التكاثر بواسطة اللقاح)، والفرق بين الحيوانات والإنسان هو نفخ النفس في الكائن البشري فقط بواسطة الروح، فصار بها إنساناً ومحلاً للخطاب الإلهي، ولمقام الخلافة في الأرض، أما النص الذي يقول:{وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً} نوح17، فكذلك يشمل الكائنات الحية كلها، وكلمة (نبت) تدل على الشيء المستور المتجمع باستقرار المنتهي بدفع خفيف ،انظر قوله: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً }آل عمران37، وتحقق ذلك من حيث أن مواد الخلق(العناصر) للكائنات الحية ابتداء هي من عناصر الأرض، والآن رغم أن النسل صار من ماء مَهين فعملية النبات للعناصر الأولى المُكوِّنة للماء المَهين مازالت من نبات الأرض، فحياة الكائنات النباتية أو اللاحمة تعتمد على ما ينبت من الأرض، وهذا الغذاء يتحول في جسمها بإذن الله إلى ماء مَهين يتم التكاثر من خلاله، فعملية الإنبات للكائنات الحية من الأرض مازالت مستمرة رغم التكاثر من ماء مَهين بوقت واحد متداخلين والنص القرءاني ذكر مراحل الخلق كلها.**

واستقلال كل جنس وحده في الواقع(فشجرة البشر غير شجرة القرود) ، فجعل الله تكاثرهم عن طريق الماء المَهين، واستمروا على ذلك فترة زمنية، محافظين على صفاتهم الوراثية، يتعرضون لعملية التّسوية، والتّأهيل في أجسامهم؛ ليتكيفوا مع البيئة، والوظيفة التي خُلقوا من أجلها، وعلى ُسلّم التّسوية، وصل الكائن البشري إلى الصّورة، التي أرادها له الخالق؛ قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ } (الانفطار7 . 8).

وتسويةُ الكائن البشري، عمليةٌ، تناولت تناسب أعضاء جسمه وتعديلها، وانتصابه على قدميه، وتسوية ظهره، وإطلاق يديه، وكانت هذه العملية بسبب خضوع الكائن البشري، لسنن إلهية، دفعته إلى هذه التّسوية، بإرادة مسبقة من الخالق.

وصار الكائن البشري مستعداً ـ من النّاحية الجسمية ـ للانتقال إلى مقام آخر؛ كي يمارس مهمته، فحان دور النفخ فيه من الروح.

فما هو الشّيء الذي نُفخ في جسم الكائن البشري الحي ؟

قد علمنا ـ آنفاً ـ أنَّ الكائن البشري، هو كائن رحمادي (روح ومادَّة) في الأصل، وهو كائن حي، قبل النفخ فيه من الرّوح؛ ممَّا يُؤكِّد أنَّ هذا النّفخ ـ بعد عملية التّسوية ـ ليس هو من الرّوح الملازمة للمادَّة ابتداء؛ لأن هذه الرّوح مشتركة مع كل الكائنات أصلاً، وكذلك، ليس هو من روح الحياة (الخلية)؛ لأنه كائن حي قبل النفخ فيه من الروح.

إذن، ما هي هذه النّفخة الرّوحية، التي نُفخت في الكائن البشري، وجعلته أهلاً لمقام الخلافة في الأرض ؟

لنر ذلك، من خلال تحليل أصوات أحرف كلمة (نفخ):

ن: صوت يدل على ستر، أو اختباء.

ف: صوت يدل على فتح منضم.

خ: صوت يدل على رخاوة، وطراوة، وليونة.

ومجموع أصوات كلمة (نفخ) يدل على دُخُول شيء في آخر، وارتخائه فيه

نحو: نفخ الهواء في الكرة، وفي الواقع ترتب على ذلك ظُهُور، وعلو، وامتلاء الشّيء المنفوخ.

إذن، يُوجد شيء قد نُفخ في الكائن البشري، ودخل فيه، وهذا الشّيء المنفوخ، هو الذي أعطى الكائنَ البشري القيمةَ من خلال امتلاكه للوعي، والاستقلالَ في وُجُوده كفرد ينتمي إلى جنس، وجعله كائناً يستحق مقام الخلافة، فالنّفخة من الرّوح ـ في الكائن البشري ـ لم تجعله كائناً حياً؛ لأنه – في الأصل– حي، بل جعلته كائناً واعياً، مُدركاً لذاته، وغيره، وترتب على ذلك تفعيل الدّماغ، والحواس الخمسة، التي قامت بنقل الإحساس بالواقع إلى هذا الشّيء المنفوخ في الكائن البشري، فتمت عملية التّواصل مع العالم الخارجي بصُورة واعية، وتَفعَّل السّمع، والبصر، والفؤاد.

هل علمتم ما هو هذا الشّيء المنفوخ من الرّوح في دماغنا الذي بموجبه ارتقينا من عالم البشر، إلى عالم الإنسان[1]؟

إنها النّفس الإنسانية؛ الكائن الرّوحي المنفوخ في الكائن البشري، التي دخلت فيه، وسيطرت عليه، وتحكمت به من خلال تحكمها في الدّماغ، وصار بها كائناً إنسانياً.

فالنّفس، كائنة روحية تميز بها الكائن البشري دون الكائنات الأخرى، وصار هذا الكائن الإنساني محلاً للخطاب الإلهي، ومحلاً للمسؤولية والحساب، ومُؤهلاً لمقام الخلافة في الأرض.

أما عملية تفعيل السّمع، والبصر، والفؤاد؛ فهي عملية متروكة للإنسان حينما يلد في وسط اجتماعي؛ لذلك يقول الفلاسفة: الإنسان كائن اجتماعي؛ لأنَّ المجتمع، هو الذي يصنع شخصية الإنسان، ويُفَعِّلُ عنده السّمع، والبصر، والفؤاد؛ لذلك نلاحظ أنَّ النّص الإلهي قد انتقل من حالة الخبر في الصّياغة:

[1] كلمة الإنسان من أَنس يأنس إنساً فهو إنسان، التي تدل على الأُنس بالآخرين وقبولهم والصلة معهم، وهي خلاف الوحشية والهمجية التي هي صفة البشر.

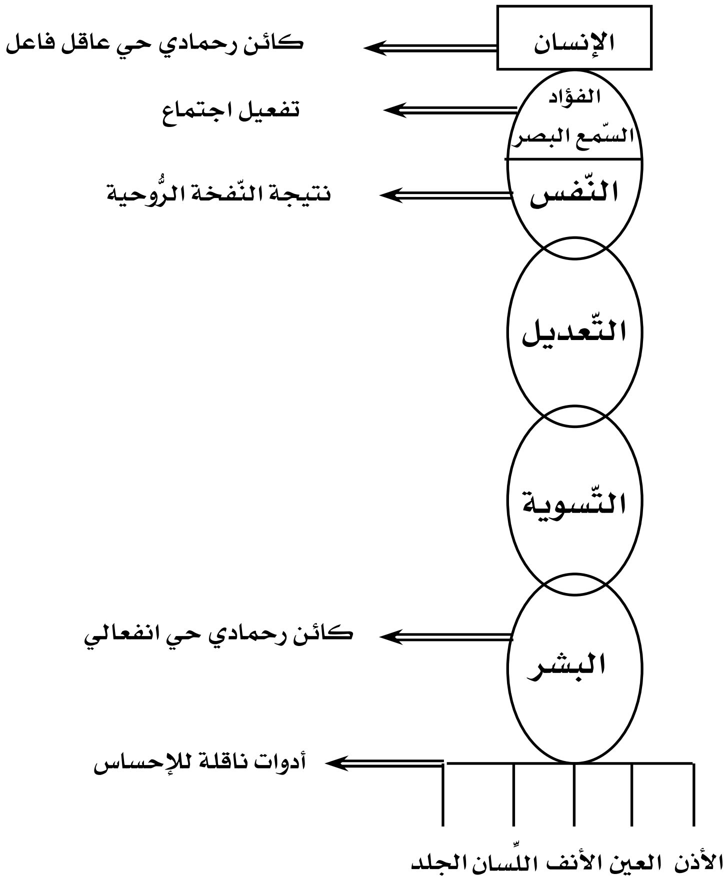
{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } إلى حالة الخطاب المُباشر { وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } ، فبدأ الكلام عن خلق جنس مستخدماً الحالة الفردية، إذ أن ما ينطبق على الفرد، ينطبق على الجنس كله، إلى الحالة الجماعية؛ لأن كل فرد مستقل في شخصيته عن الآخر، وهذه الاستقلالية لا تأتي مع الإنسان ولادة، بل؛ يصنعها المجتمع تربية، وثقافة؛ اقرأ النّص الإلهي، مرة ثانية، وثالثة:

{ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ }

جسم+ طاقة حياتية + روح (نظام)+ صُورة = كائن بشري.

كائن بشري + روح (نظام) + نفس = إنسان.

فما هي النّفس الإنسانية ؟


الإنسان
كائن رحمادي حي عاقل فاعل
الفؤاد
السّمع البصر
تفعيل اجتماع
النّفس
نتيجة النّفخة الرُّوحية
التّعديل
التّسوية
البشر
كائن رحمادي حي انفعالي
أدوات ناقلة للإحساس
الأذن العين الأنف اللِّسان الجلد

النّفــس غير الروح أو الجسم

النّفس، هي الكائن المنفوخ من الروح في الكائن البشري، التي جعلته كائناً واعياً، مستقلاً ـ في وُجُوده ـ عن جنسه، مدركاً لوُجُوده الواعي، ومدركاً لوُجُود غيره.

فالإنسان، منذ أن تَفعل عنده السّمع، والبصر، والفؤاد، أدرك وُجُود نفسه؛ ككائنة روحية، منفوخة في دماغه، وذلك من خلال الإدراك الحضوري[1] لها، الذي يعني أنَّ الإنسان، يدرك وُجُود نفسه، ككائنة واعية، مستقلة عن الجسم من حيث الخلق، وملتحمة معه من حيث الحياة والفاعلية قبل أن يقع حسه على آثارها.

وكذلك يدرك الإنسان، وُجُود نفسه من خلال إدراك آثارها؛ بواسطة الإدراك الحصولي، نحو قول ديكارت: أنا أفكر، إذن أنا موجود.

فقد حكم على وُجُود النّفس، من خلال أحد وظائفها، وهي عملية التّفكير، وأثبت القرآن هذه الحقيقة، من حيث أنَّ النّفس كائن غير الجسم قال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا } (الزّمر 42).

وقال: { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } (الأنعام 93).

فالنّفس، هي التي تملك الوعي والإدراك، وهي التي تُحدد شخصية الإنسان، أما الجسم، فهو كائن رحمادي حيوي نهايته إلى التّحلل والرّجوع إلى عناصره الأولى، التي رُكِّبَ منها، بخلاف النّفس؛ فإنها تبقى موجودة بصُورة سرمدية لا تفنى،

---

(1) برهان ابن سينا على وجود النّفس.

هكذا أرادها الخالق؛ لأنَّ فناءها، هو نقض لوجودها ابتداء على صفة الوعي والإدراك، فهي خُلقت لتدوم، بخلاف الأشياء الأخرى.

لذا؛ لا يصح نقاش مسألة قدرة الخالق على إفناء النّفس، أو إمكانية إفنائها لاحقاً؟ وذلك، لأنَّ السّؤال سفسطائي - في ذاته - ومجرد تصُور الجواب عن السّؤال هو ضرب من الوهم، وذلك لأننا إذا قلنا: نعم، قادر الخالق على إفناء النّفس، أو يمكن أن يُفنيها لاحقاً؛ وقعنا في تناقض مع صفة العلم والحكمة الإلهية، فالخالق العليم الحكيم - ابتداء - عندما توجهت إرادته نحو خلق النّفس، أعطاها صفة السّرمدية، وعملية إفنائها، هي رجوع عن إرادة سابقة، ونقص في العلم، ونقض للحكمة، وهذه إذا اجتمعت نقضت مقومات الإله؛ لذا، فالسّؤال من أصله غير وارد، والنّفس خُلقت لتدوم بإرادة من الخالق تبارك وتعالى، وسرمدية النّفس كصفة، هي من أحد أهم البراهين على وُجُود اليوم الآخر والحساب، وأبدية الثّواب والنّعيم لأنه الأصل، دون العقاب والجحيم لأنه عارض وظرفي[1].

---

(1) راجع كتابي (حوارات ثقافية) الجزء الثاني (فناء النّار وتحقيق الرحمة الإلهية).

دراسات علمية لإثبات وجود النفس ككائن مستقل عن الجسم

حل مشكلة ما وراء العقل والجسم والوصول إلى نماذج جديدة في علم الوعي

أحدث النظريات العلمية والتجارب

تسلسل مفهوم الدماغ والجسم والنفس:

- النظرة القديمة لما يحدث عند الموت ، وطبيعة العقل البشري كانت تناقش فلسفياً فقط.
- الطريقة التي تلتها في السابق كانت وجهة النظر الأحادية لمشكلة العقل والدماغ إن العقل البشري والوعي والنفس ليست أكثر من المنتجات الثانوية للأنشطة الكهروكيميائية داخل الدماغ على الرغم من عدم وجود أي دليل علمي أو حتى شرح البيولوجية لكيفية عمل الدماغ .
- أما الدراسة العلمية الحديثة فقد توصلت إلى وجهة نظر ثنائية لمشكلة العقل والدماغ ، قالوا : أإن العقل البشري والوعي يتشكل مستقلاً عن الدماغ.

أحدث الدراسات العلمية في العقل والجسم التي توصلت إلى أن النفس كائن مستقل:

اسم الدراسة :

مشروع وعي الإنسان ، تهدف إلى كشف السر علمياً عن العلاقة الغامضة بين العقل والجسم. هذه الدراسة توصلت إلى أن النفس أو ظاهرة الوعي كائن مستقل عن الجسم المادي. وهي دراسة دولية رئيسية من قبل مجموعة من المراكز الأمريكية والأوروبية ضمت فريقاً من الخبراء المشهورين من الأطباء وعلماء الأعصاب والعلماء الدوليين الذين انضموا للبحث في طبيعة الوعي وعلاقته مع الدماغ خلال الموت السريري والسكتة القلبية أي تجارب الخروج من الجسم

والاقتراب من الموت بأحدث الأبحاث العلمية لكشف العلاقة المعقدة بين العقل والدماغ والوعي ، وطريقة عمل العقل البشري.

هذا المشروع بقيادة الدكتور" سام" الذي كشف سر النفس وهو خبير وذو شهرة عالمية يقول : لعدة قرون كان العقل البشري أو النفس كيان لا يمكن تفسيره ، النفس ذلك الكيان الذي يمنح كل واحد منا شخصياتنا الفريدة من نوعها يمنحنا الأفكار والصفات والعواطف في الوقت الذي تميزنا بالإرادة الحرة فقدراتنا تتجاوز قدرات أي مخلوق آخر على كوكبنا.

الدراسة كانت دراسة (الوعي أثناء الإنعاش) قال الدكتور سام: الموت ليس لحظة محددة هو في الواقع عملية تبدأ عندما يتوقف القلب النابض والرئتين عن العمل والدماغ يتوقف عن العمل ، ووصف حالة السكتة القلبية وهي بيولوجيا مرادفة للموت السريري. وخلال توقف القلب وجميع المعايير الثلاثة للوفاة موجودة . في وقت لاحق ، هناك فترة من الزمن تتراوح بين بضع ثوان إلى ساعة أو أكثر ، والتي قد تنجح الجهود الطبية الطارئة في إعادة تشغيل القلب وعكس عملية الموت . ما يشعر به الناس خلال هذه الفترة من السكتة القلبية يوفر يوضح لنا ما يحدث خلال عملية الموت ويكشف لنا وجود النفس. وقد تم استخدام أحدث التقنيات لدراسة الدماغ والوعي أثناء السكتة القلبية فكانت نتيجة التجارب أن الناس كانوا قادرين على السماع والرؤية أثناء السكتة القلبية. في حين أن هذه الدراسات والتجارب تمت عندما كان نشاط الدماغ متوقف تماماً ولا يمكن قياس أي شيء فيه ، ومع ذلك أفادت التصورات التفصيلية أن الشخص كان على مستو عال من الوعي في غياب نشاط الدماغ. وقد تأكد الفريق من ذلك من خلال استخدام الصور الخفية بشكل عشوائي بحيث تكون غير مرئية أي في جهة لا يمكن للمريض أن يراها إذا فتح عينيه ونظر لسقف الغرفة. فقد وضعت في جهة جانبية.

أجريت الاختبارات الفسيولوجية في مرضى السكتة القلبية وكذلك تقنيات الرصد الدماغي أجروا هذه التجارب لمدة 18 شهرا في مستشفيات مختارة في المملكة المتحدة وأوروبا وأمريكا الشمالية على أكثر من 1500 حالة نجت من السكتة القلبية وتوصل الأطباء إلى الأداء المعرفي وحالة العقل البشري أثناء وعقب توقف القلب على حد سواء . وأعلنوا أن النفس كيان منفصل عن الجسم المادي وأنها تستمر في العمل عندما يتوقف نشاط الدماغ . وقالوا نحن لسنا عقلنا ولسنا أدمغتنا ، أفكارنا ، تصرفاتنا ، رغباتنا خططنا وأهدافنا وإرادتنا الحرة وما نحمل من أخلاقيات كل هذا هو نحن هو أنفسنا . نحن هذا الوعي الذي بدأ منذ ولدنا ولا يزال ينمو ويتطور من خلال تفاعلنا مع الكون . النفس هي كل ما نفعله بوعينا هي ظاهرة سحرية لم نكن نعرف عنها إلا القليل جدا من وجهة النظر العلمية . أما إذا درسنا الدماغ البشري فنحن لا نختلف كثيرا في أساسيته عن أي حيوان ضمن المملكة الحيوانية ونحن بيولوجيا متشابهون معها . أما النفس فهي التي تجعل الكائن الإنساني كائناً فريداً من نوعه له قدرة على التطوير اللانهائي . لا يمكن لهذه الظاهرة المدهشة أن تنشأ من العمليات المادية الجسمية ونحن نعلم بأنه لا توجد خلايا وأجهزة تبين كيف تأتي الأفكار إلينا ، ليست الكيمياء الكهربائية ولا الدماغ يولد الأفكار قمنا بوضع الدماغ المدهش تحت المجهر نعلم أسماء ووظيفة الخلايا هذه خلية الجوع مثلا ولكن التفكير ليس مصدره الدماغ أنا جائع أنا متعب أنا سعيد ليس مصدرها الدماغ . تأتي الأفكار من النفس وتتفاعل مع خلايا الدماغ . إنه شيء مدهش . نشاط الخلايا يرتبط بأفكارنا ولكن لا يخبرنا كيف تأتي الأفكار .

<u>فريق العمل :</u>

❖المملكة المتحدة

- جامعة ساوثهامبتون : الدكتور سام Parnia 1 (رئيس الجهاز التنفسي)؛ البروفيسور ستيفن هولجيت (أمراض الجهاز التنفسي)؛ الدكتور بيتر فينويك (الطب النفسي)؛ البروفيسور روبرت Peveler 2 (الطب النفسي)؛ مللي نيكي Fallowfield (الإنعاش)؛
- جامعة كارديف : أستاذ دوغلاس تشامبرلين(2 أمراض القلب والإنعاش)؛ هامر سميث مستشفى : لندن، السيد كين Spearpoint (الإنعاش).
- جامعة كامبريدج : السيدة سوزان جونز (الإنعاش).
- جامعة أكسفورد : السيدة سو هامبشاير (الإنعاش).
- نورثامبتون مستشفى : السيدة سيليا ارلو (الإنعاش)؛ مستشفى سانت جورج : لندن، والسيدة ليان سميث (الانعاش)؛ مستشفى سانت بيترز : السيد بول ويلز (الانعاش)؛ مستشفى ماي داي : لندن، السيد راسيل ميتكالف سميث (الانعاش)؛ مستشفى رويال بورنموث : السيدة هايلي) Killingback الانعاش)؛ مستشفى : Morriston الدكتور بيني سارتوري (العناية المركزة تمريض)؛ مستشفى ستيفنيج : السيدة لوفيت صلي (العناية المركزة)؛ مستشفى سالزبوري : السيد إيان ماكلين (الانعاش)؛ مستشفى سويندون : السيد جون تايلور (الإنعاش).
- جامعة برمنجهام : الدكتور بيتر دويل (طب الطوارئ)؛ السيدة تينا ميلوارد (الانعاش).
- مستشفى جيمس باجيت : السيدة بام كوشينغ (الانعاش)؛ شرق ساسكس المستشفيات : الدكتور هاري المسلي (التخدير والانعاش.

❖الولايات المتحدة الأمريكية

- مركز وايل كورنيل الطبي : الدكتور سام(Parnia 1 الرئوي والرعاية الحرجة)

-جامعة ولاية إنديانا : الدكتور مارك(FEBER الرئوي والرعاية الحرجة)>

-جامعة شيكاغو : الدكتور إدوارد غلوك (الرئوي والرعاية الحرجة)>

- جامعة دريكسيل : الدكتور ريتشارد هاميلتون (طب الطوارئ)>

- المركز الطبي في بروكلين : الدكتور خوان أكوستا (طب الطوارئ).

- جامعة فيرجينيا : البروفيسور بروس جريسون (الطب النفسي).

- جامعة واين ستيت : ديترويت، الدكتور كريستوفر الأخضر والدكتور ريتشارد) Genik تصوير الأعصاب.

- ؛ جامعة تكساس : البروفيسور يان هولدن 2 (الإرشاد).

- كلية ألبرت أينشتاين الطبية : الدكتور غابرييل ديفوس (منهجية البحث والمناعة).

- جامعة نيويورك : الدكتور(Nonkulie Dladla منهجية البحث والطب الباطني)

- جامعة بيركلي : الدكتور هنري ستاب(2 فيزياء الكم)

*HOLLAND

مستشفى جامعة : Rijnstate الدكتور بيم(Vanlommel 2 القلب)

❖كندا

جامعة مونتريال : الدكتور ماريو بيوريجارد(2 علم الأعصاب)

❖النمسا

جامعة فيينا : أستاذ رولاند(Beisteiner علم الأعصاب)، الدكتور فريتز (Sterzطب الطوارئ)، والدكتور مايكل بيرغر (علم الأعصاب)

– 1الدكتور Parnia حالياً في مركز وايل كورنيل الطبي في نيويورك وجامعة ساوثامبتون، المملكة المتحدة

التعاون على أساس استشاري فقط .

❖ المحققون وضع علامة "الإنعاش" وممثلي "لجنة إنعاش" كل المستشفى الذين وافقوا على المشاركة في الدراسة

روابط الدراسة :

http://bit.ly/1poluoM

http://bit.ly/1polEMZ

http://bit.ly/1polQfb

جمع وإعداد ابنتي : سيرين سهيل الفاتح

النفس في القرآن

لنر الآن، كيفية استخدام كلمة النّفس في القرآن.

إنّ المتتبع لكلمة (نفس) في النّص القرآني، يجد أنها مستخدمة لتدل على ذات الله، وذلك بقوله تعالى:

1- { وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ } (آل عمران 28).

2- { فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } (الأنعام 54).

3- { تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ } (المائدة 116).

وأتت لتدل - أيضاً - على الإنسان (الكائن العاقل) قال تعالى:

1 - {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } (المدثر 38).

2 - {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا } (البقرة 286).

3 - {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً } (الأعراف 205).

بينما لا نجد في النّص القرآني، إطلاق كلمة (نفس) على الحيوانات أبداً، بل ثمة قرائن تدل على نفي وُجُود نفس لها؛ مثل قوله تعالى:

1 - { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا } (الطّلاق 7).

2 - {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } (المدثر 38).

3 - {لِيَجْزِي اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } (إبراهيم 51).

نلاحظ من هذه الآيات، أنَّ النّفس محل للتّكليف، والخطاب الإلهي، فهي كائن عاقل، والنُّصُوص تخاطب كل النّفوس دون استثناء؛ نحو قوله تعالى:

{يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ } (النّحل 111).

والحيوانات لا تجادل عن ذاتها ، ولا يُوجد لها عمل ، حتَّى تُوفاه ، وليست هي محلاً للتكليف ، ما يُؤكِّد أنَّ الحيوانات لا نفوس لديها ، والنّفوس ، إنَّما هي للكائنات البشرية خاصَّة ؛ لأنَّ النّفخة من الرّوح كانت لهم فقط .

أما قوله تعالى {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } (الأنعام 38).

فهذه الكائنات ، مشتركة مع الكائن البشري من حيث أصل الخلق ـ أي من تراب وماء ـ وجميع الكائنات الحية ، هي كائنات رحمادية ، ممزوجة بطاقة حيوية ، وكلمة (أمم أمثالكم) بمعنى أنها تجمعات حيوانية وفق مركزية لهم يرجعون لها غريزياً ،وحشرها ، إنَّما هو عودتها بعد الموت ، إلى التّربة ، وتحلل أجسادها ، إلى عناصرها الأولى .

والحيوانات أشبه ما تكون بكمبيوتر ، وضعنا له مجسات ، تنفعل بالواقع ، من حيث الحرارة والبرودة ، والصّوت والصّورة ... الخ ؛ بحيث إذا تعرض إلى برودة أو حرارة ، تصدر منه حركة معينة ، وإذا تعرض إلى صوت تصدر منه حركة معينة ، وهكذا بالنّسبة إلى باقي الأمور ، ونظام انفعالها مع الواقع متفاوت تقنيته فيما بينها قوة وضعفاً فمثلاً نظام انفعال الدلافين والكلاب والشمبانزي أقوى وأرقى من نظام انفعال الحمار ، ومع ذلك يبقى انفعال غريزي غير واعي وغير قابل للارتقاء والتطور .

فهل نستطيع أن نقول : إن جهاز الكمبيوتر ، قد صارت له نفس ؟ والجواب ـ قطعاً ـ هو ؛ لا ، والصّواب أنَّ الجهاز منفعل ، نتيجة برمجة معينة ، لا يتجاوزها أبداً مهما ارتقت برمجته ولايملك إرادة واعية ، وهكذا الكائنات الحية ـ غير الإنسان ـ فهي كائنات منفعلة بالواقع ، لا تملك نفوساً ، ومن ثم ، فلا شُعُور واعي لديها ، بل تملك إحساساً بالواقع ، ينطبع في دماغها ، ويُسترجع بصُورة انفعال إذا تم عرضه ، أو إثارته ، مرة ثانية ، ومن هذا الوجه ، لا يصح تسمية دراسة انفعال الحيوانات ، بعلم نفس الحيوان ؛ لأن ذلك ، مثل تسمية دراسة برمجة الكمبيوتر ، بعلم نفس الكومبيوتر ! ، والصواب تسميته بعلم سلوك الحيوان .

إذاً ، النّفس مخلوق آخر غير الجسم ، لا تخضع للمقاييس المعرفية - التي يملكها الإنسان - إلى الآن ؛ فليس لها وزن ، أو لون ، أو طول ، أو عرض ...الخ ، ومع كل ذلك؛ فهي موجودة ، لا يشك أحد في وُجُودها[1] ؛ لأنَّ الوُجُود الحقيقي الواعي للإنسان ، إنَّما هو لنفسه ، لا لجسمه ، فالجسم يتعرض للأذى ، بل لقطع بعض أطرافه ، ومع ذلك تبقى النّفس موجودة ، ما دام الجسم – الدماغ – صالحاً للحياة ، فالجسم بالنّسبة للنّفس ، أشبه ما يكون باللّباس ، فإذا بَلي اللّباس ، ولم يعد يصلح للاستخدام تركه الإنسان ، وكذلك إذا بَلي الجسم ، من خلال انتهاء عمره الافتراضي ، أو بفعل فاعل ، تقوم النّفس بمغادرة الجسد ؛ إذ لم يعد صالحاً لاستمرارها فيه ؛ لأنها تفقد عملية الاتّصال والتّواصل مع الواقع ، ومن ثم لم يعد لوُجُودها في الجسد البالي ، أي مبرر ، فالنّفس مخلوق آخر - غير الجسم - لها صفات خاصَّة ، وقد خُلقت من غير مادَّة الجسم ، رغم اشتراكهما مع بعضهما من حيث الأصل الترابي .

وصدق من قال :

انهض بنفسك واستكمل فضائلها ...... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

والنّفس كائنة مستورة عن الأعين ، تَغيبُ في الجسم ، و تسيطرُ عليه وتُسيّره حسب ما تريد ضمن إمكانيات الجسم ، فمن الممكن أن تُهلك الجسم من خلال استخدامه بصُورة سيئة ، نحو تعاطي الخمر ، والمخدرات ، والدّخان .... الخ ، فتقضي عليه ، وبقضائها عليه تموت هي أيضاً ؛ لأنها تفقد عملية الاتّصال والتّواصل مع الواقع ، وقد أخبرنا الخالق - سبحانه - في القرآن ، أنَّه خلق الكائن البشري ، ابتداءً من تراب وماء (الطّين) ومن ثمَّ جعل نسله من ماء مَهين ، فهل يُعقل أن لا يُخبرنا عن أصل خلق النّفس شيئاً ؟ علماً أنَّ القيمة الحقيقية للإنسان ، إنَّما هي لنفسه ، إذ هي مناط التّكليف ومحل الخطاب ، ومحل المسؤولية ، والوُجُود الواعي العاقل ، إنَّما هو لها ، وليس للجسم !.

---

[1] ولايلتفت إلى رأي بعض علماء النفس بقولهم :إن النفس هي تفاعلات كيميائية وذبذبات كهربائية في الدماغ وليست كائناً غير الجسم، فهذا رأي غير واقعي، ولاأدري كيف يدرسون النفس إن كانت كذلك كما يفترضون!

أصل مادة خلق النفس

إن القرآن قد أخبرنا عن أصل خلق النّفس، وحَدَّدَ المادَّة التي خُلقت منها ، ولكن اختراق ثقافة أهل الكتاب للثّقافة الإسلامية ترتب عليه في واقع الحال وُجُود حالة ضبابية منعت علماء المسلمين من أن يبصروا الحقيقة؛ ذلك لأنهم تعاملوا مع القرآن من خلال التّوراة المحرفة، فكانت مادَّة التّوراة، بمثابة العدسة المكبرة، التي ينظر العلماء من خلالها إلى القرآن، وترتب على هذه الرّؤية التّوراتية، تغييب مفاهيم، وحقائق قرآنية، وزحزحتها ، لصالح مفاهيم أهل الكتاب، وأخبارهم، وأساطيرهم، فالقرآن - كنص - لم يُحرف أبداً ، وإنَّما حُرّف كتأويل ودراسة، وقد نجح بذلك المغرضون من أهل الثّقافات الوافدة إلى الثّقافة الإسلامية.

ولتحديد أصل خلق النفس لابد من دراسة مفهوم الجن أولاً .

مفهوم الجن في القرءان

إن القرءان هو كتاب الله المسطور، والكون كتاب الله المنشور، والتطابق بينهما ضرورة علمية وإيمانية، {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً }النساء82، وهذا الاختلاف هو بين النص القرآني، ومحله من الخطاب في الواقع، ولو حصل ذلك؛ يخبرنا الله أن النص ليس من عند الله، وبما أن النص القرآني ثابت لدينا – نحن المسلمون– أنه من عند الله؛ فلاشك أن التطابق والتلاؤم والانسجام مع الفطرة والواقع شيء لابد منه.

هذه مسألة ثابتة ليست هي محل نقاش أو اختلاف، ولكن المشكلة تكمن بفهم المسلمين للقرآن، وطريقة التعامل معه، وإذا نظرنا إلى طريقة تعامل معظم المسلمين مع القرءان نجدهم يتعاملون معه بشكل جزئي وتقطيعي، بمعنى العضوضة للنص القرآني، اقرؤوا قوله تعالى: {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ }الحجر91، فدراسة مفهوم مُعيَّن بالقرآن ينبغي أن يتم وَفق منهج خاص به، وذلك من خلال <u>ترتيل</u> **الآيات المتعلقة بالموضوع، ومن ثم ترتيبها حسب الأولوية والأسبقية، واستحضار المفهوم اللساني لها، وتشكيل مفهوم عام يحكم دلالة الكلمة في كل الآيات، وملاحظة المعاني من خلال السياق، لأن إذا اختلف المبنى ومكان الكلمة اختلف المعنى والمقصد مع ثبات المفهوم اللساني، والأمر أشبه باللوحة التركيبية المؤلفة من آلاف القطع، فنزع قطعة واحدة من المجموع، ومحاولة فهمها وحدها ضرب من الجنون والوهم، لأنها جزء من منظومة عامة، ولا يمكن فهمها إلاّ بإرجاعها إلا محلها من اللوحة، ووضعها بين القطع الأخرى حتى يتم ظهور المنظر العام، وكذلك النص القرآني؛ لا يمكن تشكيل فهم من نص واحد أبداً**، ولو فعل أحدكم ذلك لوصل إلى مفاهيم باطلة، ووهمية مضحكة، مثل الذي يأخذ جملة (فويل للمصلين)

أو (لا تقربوا الصلاة) أو (فانكحوا ما طاب لكم) ....الخ ، فهذه المقتطعات لو أُخذت وحدها لوصل الإنسان لمفاهيم مخالفة للقرآن ذاته! .

وهذا العرض يوصلنا إلى أهمية عدم عَضوضة النص القرآني ، وعدم تشكيل فهم من نص واحد ، وعدم فصل دراسة النص عن لوحته الخاصة به المتمثلة بالواقع ، لأن الواقع هو المصداقية الحقيقية الذي يحكم على الأفهام في حال اختلف الدارسون له ، كون الواقع هو كتاب الله المنشور ، وهو فعل الله الظاهر لكتاب الله المسطور ، والفعل أوضح من الكلام وضابط له ، والطرفان المختلفان يرجعان إلى القرآن ، فهذا ليس محل اختلاف ، وبالتالي من الخطأ أن يتَّهم أحدهما الآخر بإنكار النص القرآني ، والصواب هو اختلاف في الفهم ، ورأي يقابل رأي الآخر ، والصواب بينهما للذي يستطيع أن ينزل فهمه على الواقع ، وَفق المفهوم اللساني ، والمنظومة القرآنية كلها .

وينبغي على الباحث أن لا يتأثر بمفهوم الأكثرية ، أو الآبائية ، أو مُضي الزمن الطويل على هذا المفهوم ...، فهذه كلها آفات اجتماعية تمنع الباحث من الوصول إلى الحقيقة ، وحذَّر القرآن منها .

وما أجمل كلمة الإمام علي – كرَّم الله وجهه– إذ قال لرجل يزن صواب الأفكار بمكانة الرجال : ويحك ؛ الرجال ليس ميزاناً للأفكار ، والحق لايُعرف بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله ، والحق أحق أن يُتبع ، ولو لم يقل به أحد ، لأن الحق قوي بذاته . يالها من كلمة عظيمة صارت قاعدة فكرية ومنهج علمي .

وبعد هذا المدخل نأتي لتسليط الضوء على مفهوم الجن في القرآن مستخدمين ما تم عرضه من منهج أو ضوابط ، متجنبين الاتهامات أوالشك في النوايا ، والطعن بالشخصية ، وحصر الدراسة بالأفكار فقط ، وهذه الدراسة ليست كاملة ولا تُغطي كل البحث والمجال مفتوح لغيرنا لمتابعة البحث تعديلاً وارتقاءبه .

ولدراسة مفهوم دلالة الجن، لابد من أمرين: أحدهما: دلالة الكلمة لسانياً، والآخر صور استخدامها في القرآن.

أولاً: دلالتها اللسانية: كلمة (جن): الجيم والنون أصل واحد يدل على الجهد أو الطاقة المستورة أو المختبئة. ومن هذا الوجه تم استخدامها على كل من يتصف بهذه الصفة، الستر والاختباء. نحو المجنون، والجنة، والجنين...الخ، وذكرت كلمة (جهد أو طاقة) لأن الأمر يتعلق بالكائن الحي، ولا يتعلق بالأشياء الجامدة فالحجر المختفي لا يُسمى جني.

ثانياً: صور استخدامها في القرآن:

1 ـ أتت كلمة (الجن) تدل على نوع من الأفاعي السريعة في حركتها.

{وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ }النمل10

2ـ أتت كلمة (الجن) تدل على الكائن البشري في بطن أمه، كونه غائباً عن الأعين. { هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى }النجم32 .

3 ـ أتت كلمة (الجن) تدل على الملائكة؛ كونها مخلوقات غائبة عن الأعين. {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ }الصافات158 ،وذلك عندما قال الكافرون: إن الملائكة هي إناث، وهي بنات الله، راجع سياق الآية.

4 ـ أتت كلمة (الجن) تدل على شدة اسوداد اللّيل، وحجبه للأشياء .

قال تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ} الأنعام76

5 ـ أتت كلمة (الجن) تدل على غياب العقل والإدراك.

{إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ }المؤمنون25

6ـ أتت كلمة (الجن) تدل على المكان المليء بالأشجار الكبيرة، التي تظلل الأرض وتخفيها {فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ }المؤمنون19

7ـ أتـت كلمـة (الجـن) تـدل على مكـان الثـواب؛ الـذي أعـده الله ﷻ في اليـوم الآخر للمؤمنين{ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }الحديد12.

8 ـ أتت كلمة (الجن) تدل على الاحتجاب، والاختباء ، و التّحصن وراء الشّيْء {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }المنافقون2

9 ـ أتت كلمة (الجن) تدل على القوم الغرباء المجهولي الهوية، أو سادة الناس. {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً }الجن1 .

إذاً ؛ كلمة الجن في اللسان العربي تدل على صفة الستر والاختباء ، وليست هي اسماً لجنس بعينه، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، واستخدم معاني كلمـة الجن حسب دلالتها اللسانية.

والسؤال الذي يفرض ذاته هو : هل يوجد كائن جني شبحي يعيش بين الناس، ويسيطر عليهم أو يؤذيهم، كما هو سائد في معظم الموروث الإنساني قاطبة؟

والجواب عن هذا السؤال لابد له من أمرين أو أحدهما :

الأول : برهان علمي ، وهذا يعني قابلية هذا الأمر للدراسة العلمية.

الثاني : برهان نقلي من القرءان يخبر بوجوده بشكل صريح وقطعي الدلالة.

والمشاهد أن هذا الكائن الجني الشبحي لا يخضع للعلم والدراسة، وبالتالي انتفى عنه البرهان العلمي .وانحصر الأمر بالبرهان النقلي من القرءان فقط .

لننظر في مفهوم الجن الشبحي هل هو من ولادة القرآن، أو ولادة الموروث الإنساني في قديم الزمان من قبل نزول القرآن نتيجة التخلف والبدائية في الحياة؟

نجد أن مفهوم الكائن الجني الشبحي من المفاهيم الوافدة، التي دخلت إلى الثّقافة الإسلامية، واندرجت تحت نُصُوص قرآنية، مستغلين دلالات لسانية قاموا بتعبئتها حسب احتمالها اللساني، ومرروا هذه الخرافة التّاريخية التي نُسجت في الخيال الشّعبي منذ آلاف السّنين؛ نتيجة غياب العلم والوعي، وعدم استطاعة الإنسان حينئذ من معرفة أسباب الظّواهر التي تحدث له أو لغيره، أو من حوله، مع وُجُود

طبقة من النّاس لها غرض في تكريس مثل هذه المفاهيم، فقاموا بتعزيزها في أذهان النّاس؛ حتَّى صارت عقيدة يتوارثها الأجيال، ولم تَسلم منها الرّسالات الإلهية؛ وذلك لاستمرار وُجُود هذه الطّبقة النّفعية المستغلة، فأدخلوا هذا التصور الجني، إلى مضمون الرّسالات الإلهية، من خلال **استخدام دلالات الكلمة وسلطة النّص الإلهي**؛ فقاموا ببناء مفهومهم من أهداب الكلمات، وجعلوها تنطق بما يريدون إيجاده في أذهان النّاس، مستغلين قابلية المخيال الاجتماعي المتوارث بين مجتمعات أهل الأرض قاطبة لهذه المفاهيم!، ويعترضنا سؤال مهم جداً ، لماذا لا تتعامل هذه الكائنات الشبحية إلا مع النصابين والمخادعين!؟ ولماذا لا يخاف منها أو يحسب حسابها إلا البسطاء من الناس أو المؤمنين بوجودها !؟

لذا؛ ينبغي استبعاد تأثير هذه الطّبقة الهامانية من الثّقافة الإسلامية، واستبعاد الخرافات الشّعبية من الأذهان، **وتغيير طريقة دراستنا للمفاهيم التي كانت من الكلمات إلى الواقع، وجعلها من الواقع إلى الكلمات، فالواقع هو محل الخطاب، ومن ثم، هو الذي يوجه دلالات النّص دون الخروج عن مفهومه اللساني الثابت؛ لأنَّ المُسَمَّيات توجد قبل أسمائها**[1].

والقرآن كتاب مُبين بذاته لا يحتاج إلى بيان، لأن كلمة (مبين) اسم فاعل، وتدل على صدور فعل التبيين، وكذلك هو نور يضيء للآخرين طريق المعرفة والإيمان، انظروا إلى قوله تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ }يوسف1 ، وقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً }النساء174 ، فالقرآن مبين ونور بذاته، {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }فصلت42 ، وقد حفظ الرب النص القرآني من أن يتلاعب فيه أحد {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} الحجر9 ، وهذا يقتضي أن نحصر الدراسة والاستدلال به فقط، فالصواب ما أقره القرآن، والباطل ما حكم عليه القرآن بالوهم، فكلام الله يعلو ولا يعلى عليه.

---

(1) راجع كتابي (القرآن بين اللُّغة والواقع)، فصل كيف نتعامل مع النّص القرآني.

لنرى هل القرآن أخبر بوجود مثل هذا الكائن الشبحي الذي حيكت حوله القصص والعجائب !.

- **الأمر الأول**: النّص القرآني، لم يوجه الخطاب التّشريعي لغير الإنسان، فلا يُوجد تشريع لجنس آخر في القرآن، ومن المعلوم أنَّ القرآن خطاب للإنس والجن، بدليل تكليفهم وحسابهم. اقرؤوا قوله تعالى:

{وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} إبراهيم34

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً }الإسراء83

{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }العنكبوت8

{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً }الأحزاب72

{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ }الانفطار6

{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ }الانشقاق6

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }البقرة30

أين الجن في الخطاب الإلهي هذا ؟ ألا تلاحظون أن الخطاب كله للإنسان فقط؟ أليس الإنسان وحده الذي حمل الأمانة، وهو وحده جُعل في مقام الخلافة !؟

- **الأمر الثّاني: إنَّ بين الجن والإنس تداخُلاً في العلاقات الاجتماعية**، والثّقافية، ويؤثرون في بعضهم بعضاً؛ أي أنهم يعيشون في عالم واحد، وهذا دلالة كلمة (يا معشر) التي أتت مرة واحدة في النص، ولم تتكرر، ولو كان الجن ليس من الناس لأتت كلمة (يا معشر) مرة ثانية خاصة لهم.

{**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ** إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ }الرحمن33

{وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعاً **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ** قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَليمٌ }الأنعام128

– **الأمر الثّالث: إنَّ الرّسل، لا يبعثها الله إلا من جنس قومها، والرّسل للبشر هم من البشر، ولا يُوجد رسل من الجن إلى الجن.**

قال تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ **رُسُلٌ مِّنكُمْ** يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا }الأنعام130

قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قومه} (إبراهيم 4).

انتبهوا إلى كلمة **(معشر)** أتت مرة واحدة فقط، ولم تتكرر في النص قبل كلمة (الإنس) وهذا يدل على أن كليهما معشر واحد من العشرة والاختلاط.

– **الأمر الرّابع:** إن رسالة الإسلام موجهة إلى النّاس فقط، وكلمة الناس تشمل الإنس والجن[1] كما ورد في لسان العرب.

قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا **كَافَّةً لِّلنَّاسِ** بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }سبأ28

وبناء على ما ذكرنا نلاحظ أن كلمة (الناس) **عامة يدخل تحتها نوعين: الإنس والجن ذكوراً وإناثاً.**

{قُلْ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً }الأعراف158

{يَا **أَيُّهَا النَّاسُ** إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }الحجرات13

{قُلْ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }الحج49

{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا **النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ }البقرة24

أين الجن في الخطاب الإلهي هذا؟

– **وكلمة (ناس) من نوَس ينوس نَوَساناً، وهي تدل على الحركة المستورة** المنضمة على بعضها بامتداد و منتهية بحركة حرة. وهذا الذي يحصل في العلاقات

---

[1] قال ابن منظور تحت مادة نوَس: الناسُ قد يكون من الإِنس ومن الجِنِّ وأَصله أُناس فخفف.

بين الناس من كونها تنوس نَوَساناً مثل حركة نوَّاس الساعة مع تعدد احتمالات التنوس، لاحظ وجود حرف النون في كل من كلمة (إنس) ، وكلمة (جن)، وترتيبه في الكلمة.

- **وكلمة (إنس) من أَنِس يأنس إنساناً**، وهي تدل على الألفة والاستلطاف، والراحة وقَبول الآخر، والتعايش معه، والظهور، وضدها التوحش التي تدل على الطباع الغليظة والمنفرة والقاسية، وعدم التعايش، و رفض الآخر.

- **وكلمة (جن) تدل على الجهد أو الطاقة المستورة أو المختبئة**، بمعنى حركة الكائن الإنساني بشكل مخفي في الحياة، ولا يُظهر نفسه للآخرين فهو مُقل بالظهور علناً حسب طبيعة عمله.

وهذا يدل على أن الجن من الناس مثل الإنس ضرورة **لدخولهم في معشر واحد ، وخطاب واحد ، وشرع واحد .**

والإنس والجن صفتان لبني آدم من الناس، ويختلفون بطريقة حركتهم في الحياة المعيشية في عالم واحد متداخل بينهما ، **فهما صفات؛ لا أجناس.**

وعلى ضوء ما مرَّ ذكره من نصوص قرآنية نفهم النصوص الأخرى مثل:

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }الذاريات56، **فالله خلق الناس، وكلمة (الناس) تشمل الجن والإنس، وقد خاطبهما الله معاً بخطاب واحد** : {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً }الأعراف158، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }البقرة21، **وهذا يدل على أن الجن من الناس مثل أن الإنس من الناس**، فَمَن هُم الناس الجن؟ **إنهم الفئة التي تعيش في المجتمع بشكل خفي في حركاتهم وأعمالهم لايظهرون غالباً لبقية الناس، مثل رجال الأعمال، والقيادات، وغيرهم ممن يتحكم في شؤون الناس**، وهذا ملاحظ في الواقع لمن يعيشه، فيخبرنا الله أن هؤلاء الجن، و الإنس كلاهما مخلوقان لممارسة العبادة التي تدل على الحرية في الاختيار، **لأن كلمة (عبد) من كلمات التضاد في ظهورها**، فيوجد عبد الرحمن، ويوجد عبد الشيطان، والكلمة أتت منفردة لم تُحَدد جهة العبادة، وهذا

يدل على الصورتين معاً ، {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً }الكهف29.

ونجد في القرآن كلمة شيطان وهي من شَيط : التي تدل على بُعد الشيء بشكل عشوائي دون ضابط ، ومن هذا الوجه يُقال لمن ابتعد عن منهج الله وشرعه ؛ شيطان ، وذلك لتحركه في الحياة بشكل همجي دون ضوابط تضبط سلوكه . ونقول عن الولد المؤذي في حركته ؛ شيطان .

إذاً ؛ **كلمة شيطان هي صفة مثل كلمة الجن ، وليست اسم جنس** ، ويمكن أن تتحقق بالإنس ، ويمكن أن تتحقق بالجن ، لأن ليس كل من اتصف بالجن هم شياطين ، فيوجد جن صالحون ، وآخرون كافرون ، {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً }الجن11 .

وكذلك **كلمة إبليس** فهي من بَلس التي تدل على جمع مستقر يتحرك ببطء لازم ينتهي بحركة حرة ، وتظهر هذه الصورة من خلال الشيطان إذا وسوس ، ومن ثم يجمع نفسه ، ويفر متسللاً إذا ظهر الحق . انظر قوله تعالى :

{الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس}الناس5- 6. فهذا الشيطان الوسواسي يقوم بالوسوسة في صدور الناس ، بمعنى أنه يقصد الذين يتصدرون قيادة الناس ، ويحاول أن يقلب الحقائق وينشر الفتن ، فإذا كُشف أمره أبلس ، **فكلمة إبليس صفة يمارسها الجني أو الإنسي من الناس** ، اقرأ قوله : {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى }طه120 . **فالذي يوسوس هو** الشيطان سواء أكان من الجن أم من الإنس ، و الذي وسوس لآدم هو من نوع الجن الشيطاني ؛ أي من طبقة متسلطة من الناس ذات النفوذ اقرأ قوله : {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً }الكهف50[1] ، فالصفات الثلاثة (الجن والشيطان وإبليس) قد تحققت به .

---

[1] كلمة (ذرية) المضافة لإبليس أحد الأدلة على أنه ليس من الملائكة، لأن الملائكة مخلوقات لا تتكاثر ولا نوع لها .

ويقوم بالوسوسة أيضاً النفس الأمارة بالسوء اقرأ قوله:
{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ }ق16
{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ }يوسف53
فالوسوسة الخارجية تكون من شيطان جني أو إنسي، والداخلية من نفس الإنسان الأمارة بالسوء.

أما قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ }الأعراف27، فيجب أن لا نفهمها بشكل سطحي، فالنص يتكلم عن الرؤية الذهنية من الرأي، وليس عن الرؤية العينية، اقرؤوا قوله تعالى: { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى }الصافات102، بمعنى أن رأي الشيطان وأتباعه فيكم غير رأيكم فيهم، وذلك راجع للمفاهيم التي يحملها كل منهما، فالمؤمنون يرون الناس بمنظار الحب والاحترام والإنسانية، بينما الشياطين وأتباعهم يرون الناس من منظار الكراهية والحقد والحسد والازدراء لهم[1]، لذا؛ كان لكل منهما اتجاه في الرؤية يختلف عن الآخر، وهذا دافع لأن لا ينخدع المؤمنين بمظهر الشياطين وكلامهم المعسول ورسم البراءة على وجوههم والابتسامة الصفراء الباهتة، ويجب أن ينتبهوا لرؤيتهم الشريرة.

وكلمة (عفريت) تدل على قوة الإنسان بشيء وإتقانه له، نحو قولنا: إن زيداً عفريت في البناء، وهذه الصفة يمكن أن يتصف بها الإنسي أو الجني، اقرأ قوله: {قَالَ عِفْريتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ }النمل39، العفريت في النص كان من الجن، بمعنى أنه من السادة الغرباء الذين أسرهم النبي سليمان، وكلمة عفريت تدل على أنه كان من الماهرين في النجارة أو ما يلزم لصنع العرش، ولم يقصد العفريت أن يسرقه!.

---

(1) وهذه الرؤية تجلت بوضوح للناس كلهم من خلال تصريح معظم حكام العرب برؤيتهم للشعوب أنها جرذاناً وفيروسات وحشرات!!!!

لننظر أيضاً لصفة الجن الشياطين في المجتمع ماذا يفعلون؟ قال تعالى : {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً }الإسراء64 ، والنص واضح بتحديد الفئة التي **تشارك الإنس في الأموال والأولاد ، وتمارس عليهم الوعود الكاذبة**، هل هم كائنات شبحية غير مرئية؟ وغير موجودة إلا بالذهن فقط؟ هكذا يريد الشيطان أن يُقنعكم حتى تتوجه ممانعتكم باتجاه عدو شبحي ، وتقاتلون طواحين الهواء .

حذرنا الله من كيد الشيطان وتدليسه ، وأخبرنا أن رأيه فينا يختلف عن رأينا فيه ، فهو عدو مُبين يخطط لنشر الفساد والرذيلة والظلم والاستبداد ، والاستعباد للناس : {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ }فاطر6 ، هل يحذرنا الله من عدو شبحي غير ممكن معرفته ، وغير قابل للمشاهدة العينية؟

وبعد تلك الدراسة لمفهوم الجن وصلنا إلى أن النفس كائن جني لزوماً .

النفس كائن جني

وبناء على معطيات الواقع ، ودراسة النّص كمنظومة واحدة ، منسجمة مع الواقع ، نصل إلى أنَّ النّفس ، هي كائن جني موجود في الجسم البشري ، وهي المسؤولة عن قيادة هذا الجسم ، وهي التي تتمتع بوُجُود واعي عاقل ، وهي التي تُميز شخصية الإنسان وهويته عن الآخر ؛ أي أن القرآن قد ذكر المادَّة التي تم خلق البشر منها ، وذكر المادَّة التي تم خلق النّفس منها .

فبداية خلق الإنسان – قديماً في أول نشأته حيث لم يكن إنساناً بعد – من طين ، وهذا الذي تكلم عنه الخالق في نص آخر بقوله : {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ }المؤمنون12 ، لاحظ الفعل الماضي (خلقنا) مع الانتباه لنوعية الضمير ودلالته(نا) ، وهذه المرحلة الطينية متعلقة بالكائن البشري ، اقرأ قوله تعالى : {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ }ص71.

لاحظ الفرق بين كلمة (وبدأ خلق الإنسان من طين) وكلمة(إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ) ، وهذا يدل على أن الإنسان في أصله السابق البشري من طين، أما الوضع الحالي فهو من سلالة من ماء مَهين. اقرأ قوله تعالى : {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ } {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ } (السّجدة 7 ـ 8) ، وانتبه إلى حرف(ثم) ، ودلالة كل من(خلق وجعل) .

وأحياناً يذكر الخالق صفات للإنسان معنوية أو علاقات سننية، وليست مادية نحو :

{خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ }الأنبياء37.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ }الحجر26

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ **بَشَراً** مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} الحجر28

والحمأ : هو الحركة المؤرجحة الشديدة المجتمعة على بعضها اتصالاً لتظهر بصورة خفيفة أخيراً. وفي الواقع هي وصف لطاقة حرارية متداخلة في بعضها ثائرة لتجتمع أخيراً وتظهر بمظهر واحد .

المسنون : الجمع المتصل المتحرك بحرية لينضم بامتداد ينتهي بستر .

وهذه الكلمة من(سن) التي تدل على الحركة الحرة المستورة .

والكلمتان (حمأ مسنون)تُشكلان مفهوم العلاقات المؤرجحة الشديدة المستورة التي تحكم خلق الإنسان(نفس) والبشر(جسم حي) .

ونصل الآن إلى النص الذي هو محل البحث :

قال تعالى : {**خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۞ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ** } (الرّحمن 14 . 15).

وذكر كلمة الإنسان ـ في النّص ـ من باب الأصل؛ إذ من المعلوم أنَّ الإنسان وُجد من خلال التّكاثر، والولادة من ماء مَهين، وليس من طين، والنص يصف الإنسان أنه خُلق من صلصال ، فماذا تعني ؟

صلصال :كلمة تدل على الحركة المحددة اللازمة البطيئة المكررة أيضاً بذات الحركة المحددة الممتدة بصورة بطيئة لازمة.

وهذا المفهوم تحقق في النفس من خلال مزج الطاقة الحرارية مع تقدير سنني(برنامج معلوماتي) وتحريكه بصورة لازمة، وتحقق في الجسم بعملية مزج التراب بالماء، وإعادة مزجهما إلى أن يصلا إلى مرحلة الطين اللازب المتماسك في ذراته ليُشكلا نسيجاً طينياً معجوناً متماسكاً منسجماً مع بعضه، وهذه العملية هي صفة لخلق الجسم البشري المتماسك في ذراته الأجوف الذي يحتفظ بالحرارة المناسبة له كالفخار، ولكنه ليس قاسياً مثله، و لا يفقد حرارته.

إذاً، القرآن لم يُهمل أصل مادَّة خلق النّفس، ولقد ذكر ذلك صراحة بأنها مخلوقة من مارج من نار(طاقة)، أي من خلاصة اختلاط واضطراب ألسنة النّار الصّاعدة الملتهبة، وصفة الجنية لازمة لها وليست عارضة مثلها مثل الملائكة تماماً.

وبذلك صار الإنسان كائناً ترابياً وناريـاً بوقت واحد، أي جسم ونفس، وروح تحكمه.

ولأهمية موضوع خلق الجن، وكي لا يكون المفهوم التّراثي عقبة تمنع القارئ من قَبول ما ذكرت عن خلق مادَّة النّفس، وأنها هي المعنية بكلمة الجانَّ في النص، ومن ثمَّ، فهي مخلوقة من مارج من النّار، كما أخبر الرّب في كتابه، اقتضى ذلك منّا، التّطرق إلى النّص القرآني التّالي:

{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ۞قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } (ص75-76).

وذلك لمساعدة القارئ في عملية الفهم الكلي للموضوع، من خلال المنظومات القرآنية والواقعية، وعدم اقتطاع أي جزء من المنظومة؛ لأن ذلك يُؤدِّي إلى الشّطط، والوهم في الفهم، والوُصُول إلى نتائج غير حقيقية.

وبناء على ما ذكرت، من أُطُرٍ للمنظومة، نفهم النّص المعني بالتّفسير من خلال وضعه في مكانه المناسب من المنظومة؛ حتَّى يكمل معنا المنظر الكامل للوحة، ولا نقع بالتّصادم بين الأجزاء، ولا نشوه الحقيقة.

ـ أول أمر: ينبغي ملاحظته في النّص، أنَّ الكلام المعني بالدّراسة، إنَّما جرى على لسان إبليس، فهذا الكلام يعبر عمّا بداخل إبليس، وليس بالضّرورة أن يكون حقاً في الواقع؛ فالقرآن ذكره كخبر عمّا جرى على لسان إبليس وليس تقريراً لمضمونه كما يذكر خبر على لسان فرعون والكافرين وليس هذا إقراراً بصواب ما يقولون.

ـ الأمر الثّاني: هو أنَّ النّص استخدم كلمة (بشر) في الآية {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ} ص71.

ولم يستخدم كلمة (إنسان)؛ ومن ثم، فالبشر قد تم خلقهم ـ ابتداء ـ من حيث الأصل من طين.

ولما تكلم إبليس عن ذاته كنفس، استخدم الجانب المخفي فيه، وهي النّفس، فذكر أنها خُلقت من النّار.

فقد استخدم إبليس في جوابه، صفة التّدليس والتّغابي، لَّما ذكر مادَّة خلق الجسم ـ بالنّسبة لآدم ـ التي هي الطّين، وتغافل عن مادَّة خلق نفس آدم من النّار.

فقام بإغفال مادَّة النّار في خلق نفس آدم، وإغفال مادَّة الطّين في خلق جسمه، فقال: خلقتني من نار، وخلقته من طين؛ رغم أن كليهما مخلوقان من طين ونار كإنسان(جسم ونفس)؛ ناهيك عن أن أصل النار هو من تراب وماء(طين) اقرأ قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ} يس80، والشجر الأخضر يدخل في بنيته التراب والماء، والحرارة والضوء والهواء ليصير في النهاية وقوداً للنار، اقرأ قوله أيضاً {أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿﴾أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ} الواقعة71_72، وكلمة (شجرة) تدل على العلاقات المتداخلة ببعضها

(القوانين والتفاعلات) التي بموجبها يتم حدوث النار(طاقة) من عناصر في أصلها من التراب والماء(مادة)، ومن المعلوم أن المادة هي طاقة خامدة، والطاقة مادة متحولة، والعلاقة بينهما جدلية.

إذاً؛ أصل خلق الإنسان هو التراب والماء، فمن التراب والماء خُلق الجسم (الكائن الرحمادي البشري)، ومن النار المُنشأة من التراب والماء بواسطة شجرتها(قوانين وعلاقات) خُلقت النفس من مارج من النار، وتم نفخ النفس في الجسم فظهر الإنسان محل الخطاب التكليفي، والذي جعله الله خليفة في الأرض كجنس يتمثل في الحاكم العالم العادل الذي يقود خلافة الجنس الإنساني وفق نظام الله السنني، و الحدودي في التشريع .انظر: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ }ص26[1]

فالنفس هي طاقة متحولة عن المادة مرتبطة بها، وتظهر من خلالها، لذا؛ أخذت صفة الطاقة من حيث حركتها وبنيتها، واختلفت عنها بثباتها وعدم تحولها إلى مادة خامدة مرة أخرى بأمر من الرب.

لذلك نلاحظ أنَّ الرّب لم يستمر بالحوار مع إبليس رغم أنَّ القرآن يأخذ الحوار على محمل الجد؛ ذلك لأنَّ الفكرة التي ذكرها إبليس كسبب لعدم سجوده، هي فكرة واهية غبية، لا تخرج إلا من متكبر، حسود، حقود.

فأنهى الرّب الحوار بلعن إبليس، وذمه على طريقة تفكيره، وتناوله للأمور، بصُورة غبية، وتدليس مكشوف ظاهر لكل ذي رأي.

---

[1] غياب مجتمع راشدي أزمة تاريخية مستمرة رغم ظهور بعض قيادات راشدة لم تستطع أن تقود مجتمع همجي، والتاريخ حفظ لنا كثير من قصص الأنبياء الذين تخلى عنهم مجتمعهم ولم يحتضن دعوتهم، وفشل المجتمع في النهضة بسبب ذلك، والعلاقة بين القادة الراشدون والمجتمع الراشد جدلية، ولابد من ولادة مجتمع راشد لتنشأ النهضة، ويستمر التطور، ويتحرر الإنسان –كمجتمع– من خلال حمل ثقافة راشدة خالية من فيروسات الاستبداد والاستعباد، والإرهاب، والشرك بالله.

نحو أن يقول أحدهم متفاخراً على آخر: إن جسمي فيه عظام، بينما جسم الآخر فيه اللّحم !.

أو أن يقول: إن دمي فيه كريات بيضاء، ودمك فيه كريات حمراء، وما شابه ذلك من أقوال غبية، لا تصدر إلا من قاصر أو من مكابر للحقيقة !.

لذا، لا يصح أخذ ظاهر هذا النّص - مقتطعاً من منظومته - وبناء مفهوم كامل عليه، بل ينبغي إرجاعه ووضعه في مكانه، من المنظومة، ضمن الأطر العامَّة التي تحكم اللّوحة.

ويتابع النّص القرآني، ذكر خلق النّفس بقوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً } (النّساء 1).

تم خلق النّفس ابتداء من مارج من نار، ومن هذه النّفس الأولى تم خلق زوجها، وكلمة (زوج) تطلق على الفرد من الزّوجين، فالواحد منهما زوج؛ لأنه لا يمكن وُجُود أحدهما دون الآخر، ويشترط الاختلاف في النوع، فالذكر والذكر ليسا زوجين، وإنما هما اثنين، وتطلق أيضاً على الاثنين المختلفين نوعاً والمتكاملين وظيفة وانسجاماً ،{وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} الحج5، فكلمة (زوج) في النص يقصد بها النوعين المختلفين، وبالتالي يكون مفهوم جملة(خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) هو أن النفس الواحدة خُلق منها الاثنين المختلفين بالنوع (الزوجان) لا أسبقية لأحد على الآخر ،أو تفضيل، والنفس لا تظهر إلا من خلال الجسم (ذكر أو أنثى)، ما يؤكد على أن النفس عندما دخلت الجسم انحكمت بنوعه الذكري أو الأنثوي.

وكلمة زوجان، لا تطلق إلاَّ على الاثنين اللّذين يُشَكّلان مع بعضهما حالة الانسجام، والتّلاؤم، والتّكامل في الوظيفة، فالذّكر والذّكر ليسا زوجين، وكذا الأنثى والأنثى ليستا زوجين، لعدم وُجُود تكامل بينهما في الوظيفة الحياتية، بينما

الذّكر والأنثى زوجان؛ قال تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى } (النّجم 45)، ذلك لأنهما مع بعضهما، يقومان بدورهما، بصُورة تكاملية، منسجمة ومتلائمة مع منظومة الحياة، ومن ثم؛ فمقولة: إن الأنثى هي الأصل، أو الذّكر هو الأصل، كلاهما باطل، من حيث الواقع.

وبعد أن ظهر الزّوجان (الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) من البشر خلقاً على أرض الواقع، ونُفخت النّفس فيهما؛ تمَّ بث الرجال والنساء[1]،(رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء) **وكلمة (البث) غير الخلق**، فهي تدل على جمع مستقر مندفع بالتصاق، وفي الواقع ظهر بث الرجال والنساء بصورة تحركهم واندفاعهم بتكتلات ملتصقة ببعضها بشكل جماعات سابقاً، ومجتمعات لاحقاً، انظر لبث الموجات الصوتية كيف تتم في الواقع، إذاً؛ ظهر مفهوم الرجال والنساء نتيجة حركة الإنسان بنوعيه الذكري والأنثوي في الحياة، فالرجال والنساء بَثّاً، وهو مفهوم اجتماعي، والذكر والأنثى خلقاً. أما الحيوانات فنطلق عليها وصف الذّكور والإناث فقط.

وظهرت الزّوجية في النّفوس من خلال الزّوجية في الأجسام، فكما أن هناك ذكر وأنثى، يُوجد أيضاً رجل وامرأة، ليصير في الواقع انسجام، بين نفس المرأة وجسمها الأنثوي، ونفس الرّجل وجسمه الذّكوري، ويظهران في الواقع متكاملين، منسجمين، نفسياً وجسمياً كزوجين، ومن هذا الوجه، ندرك بطلان دعوة المساواة بين الرّجل والمرأة؛ لاختلافهما نفسياً، وجسمياً، فطرة، ووظيفة، والعلاقة بينهما علاقة تكامل قائمة على الانسجام والتّلاؤم النّفسي والجسمي، أما فيما يتعلق

[1] كلمة رجل: تدل على الحركة والفاعلية، وكلمة نساء جمع لكلمة نسيء: وهي تدل على التأخر أو المستجد من الأحداث، فكلاهما صفة اكتسابية وليست خَلقية، وجُمعت كلمة المرأة على النساء لأنها غالباً تتأخر عن مقام القيادة في المجتمع خلف الرجل الذكري، ومن هذا الوجه أتى النص القرآني (الرجال قوامون على النساء) ولم يأت (الذكور قوامون على الإناث)،وبالتالي يمكن للمرأة أن تصير في مقام الرجال، ويمكن للذكر أن يصير من النساء، فالأمر مرتهن بالفاعلية.راجع كتابي(القرآن بين اللغة والواقع) للتوسع في مفهوم الرجال والنساء.

بالواجبات والحُقُوق؛ فلاشك أن كليهما يُشكلان الإنسان، وأي دراسة للإنسان، ينبغي أن تقوم على الدّراسة الزّوجية للرَّجل والمرأة، والذّكر والأنثى - معاً دون تفريق - وأي استبعاد لأحدهما، فالدّراسة قاصرة وناقصة ومشوهة النّتائج.

وينبغي ملاحظة أمر هام - أثناء دراسة النّص القرآني - وهو أنَّ الأصل في الخطاب الإلهي، إنَّما هو خطاب للجنس الإنساني، والتّخصيص بالأحكام لأحدهما دون الآخر سببه اختلاف المقام الاجتماعي (رجال أو نساء)، و نوعهما البشري (ذكر أو أنثى)، ويُعرف ذلك من وجود قرينة عقلية أو نقلية في سياق النص.

إن خلق النّفس، لم يمر بعملية التّطور، مثل الجسم، وإنَّما هو خلق مُباشر لنفس واحدة، ومنها تم نفخ النّفوس في الأجنة البشرية، في بطون أمهاتها، وذلك عند وُصُول الجنين، إلى مرحلة تسوية جسمه، وتعديله و تصييره كائناً بشرياً، عندئذ تُنفخ النّفس فيه؛ فيصير إنساناً. ومثل ذلك كمثل الشعلة من النار التي تؤخذ من شعلة أخرى، فنستطيع أن نأخذ عدد لامتناهي من الشعلات دون أن تتأثر الأولى، وكل شعلة هي صورة طبق الأصل عن الأولى.

لذا؛ النظام الذي يحكم الجسم، والنظام الذي يحكم النفس ثابت فطرة، والإنسان هو الذي يحافظ على فطرته ويرتقي بها منسجماً معها، أو يتدخل بنظامها فيفسدها.

طبيعة النفس هي ذاتها طبيعة النار والماء

معرفة أن النفس خلقت ابتداءً من مارج من النار(طاقة)، والجسم من تراب وماء يساعدنا كثيراً على دراسة النفس وطبائعها، فهي لا تخرج عن خصائص النار كطاقة، وخصائص التراب والماء كمادة، وعلاقة النفس والجسم علاقة جدلية مثل علاقة الطاقة بالمادة.

انظر إلى صفات النار مثلاً، وكيف تمثلت في طبيعة النفس؟ النار لا تشبع مهما أوقدتها، وكذلك لا حدود لشهوات النفس، والنار سريعة التقلب والتغير، وكذلك النفس فهي مزاجية، وحركة النار في صعود مستمر، وكذلك النفس فهي دائماً تسمو للأعلى والأحسن، والنار إذا لم تمدها بوقود تنكفئ على ذاتها تأكل بعضها، وكذلك النفس إذا لم تمدها بالعلم والثقافة وتُشغلها بالعمل؛ تنكفئ على ذاتها، وتأكل نفسها، وتُعيد الماضي وتجتره إلى أن تُصاب بحالة اكتئاب شديدة تؤدي إلى موت صاحبها نفسياً من خلال فقدانه للفاعلية وللإيجابية والتقدم، وينعدم في نفسه مبرر الاستمرار في الحياة، وقد يُقدم صاحبها على التخلص من الحياة بالانتحار، وذلك بتعطيل صلاحية الجسم فتضطر النفس لمغادرته، والنار ضعيفة جداً، فإذا منعت وصول الهواء إليها تنطفئ بسرعة، بل وتختنق إذا زاد سرعة الهواء الموجه إليها، وتبرد بالماء وتنطفئ، وكذلك فوران النفس و ثورانها سرعان ما تنطفئ أو تهدأ إذا قام الإنسان بغسل جسمه أو بعضه بالماء، أو تعرَّض لتيار هواء قوي، أو إن قام أحد بتغطيته أو عزله عن السبب الذي أثاره وأغضبه !، والنار سريعة الالتئام والاتصال بين ألسنتها إن مرَّ شيء خلالها، وكذلك النفس فأي حدث سلبي سرعان ما تتجاوزه وتتابع تواصلها واستمرارها، إلاّ إن أوقف صاحبها هذا التفاعل الإيجابي وأرجعها إلى الخلف، وأوقف الزمن عند الحدث وعاش فيه، فتصير حركته ماضوية، وتبدأ الفيروسات النفسية بالتكاثر.

وانظر إلى خاصية الماء من حيث تكيفه مع الواقع، وتغيره حسب شكل الإناء الذي يوضع فيه، وانظر إلى عملية انسيابه في مجراه وتجنبه للعوائق التي تعترضه، وتماسك ذراته بشكل متصل، وقابليته للتبخر والارتفاع وانتقاله بهذا الشكل جواً ثم تحوله إلى أصله السائل، وهو السائل الوحيد إذا تصلب خف وزنه. وانظر إلى

خاصية التراب وتفكك ذراته، وقابليته للتصلب ، والمزج مع الماء ليصير طيناً ....الخ .

وهذه الخصائص ليس من الضرورة أن تجتمع في شخص واحد ، فهي تظهر في واحد وتتقلص عند الآخر ، والمجتمع هو الذي يصيغ النفس في مقام الرجال أو النساء ، وهذه الخصائص إذا حملها مجتمع تتحول مع تقادم الزمن إلى طبائع وتدخل في الجينات المورثة للأجيال اللاحقة ما يؤدي إلى صعوبة تغييرها ، وكون النفس كائنة اجتماعية الصيغة فلابد من دراسة المجتمع لفهم النفس وعلاجها ، لأنه لولا مرض المجتمع وتخلفه لما ظهر المرض بالفرد ، و النهضة الحقيقية لا تكون إلا من خلال النهضة بالمجتمع ككل لأنه هو الأصل والحاضن للأفراد ، و علاج الأفراد بمعزل عن النهضة بالمجتمع هو نوع من الإسعاف الأولي ، وليس علاجاً جذرياً للمرض ، لأن المرض انتقل من المجتمع إلى الفرد ، والمجتمع المتخلف هو بيئة ملوثة ينشر المرض بين الجميع ثقافياً ويُحَوِّله مع التقادم إلى الجينات المورثة ، فعندما تنجح بصعوبة بالغة في علاج فرد من أمراضه النفسية أو بعضها مع إمكانية انتكاسه السريع لوجوده ضمن المجتمع الملوث؛ يتكاثر عشرات غيره من المرضى المصابين بالعدوى من المجتمع .

لذا ؛ النهضة الحقيقية تبدأ من المجتمع ، والمجتمع يصنع الأفراد الصالحين ، و من الخطأ نشر مقولة غَيِّر نفسك تغير المجتمع ، والصواب هو تغيير المجتمع يُغير الفرد ، والعلاقة بينهما علاقة جدلية ، فتغيير الفرد والنهضة به يكون من خلال مفاهيم اجتماعية ابتداء ، وتفعيل هذا الإنسان ليأخذ دوره في المجتمع ويخرج من عزلته المرضية ، ويصير فاعلاً منتجاً منسجماً مع منظومته الاجتماعية ومنها إلى النفسية لأن الوجود المستمر الفاعل هو للمجتمع لا للفرد ، فالمجتمع هو حامل النهضة والثقافة وهو أطول عمراً من عمر الفرد ، ولا يسيء أحد فهم العلاقة بين المجتمع والفرد ، فالعلاقة بينهما ليست مثل علاقة السن بالمسنن حتمية الحركة والدوران ، وإنما مثل علاقة اللاعب بفريقه ، فنجاح الفريق نجاح للفرد رغم تقصيره ، ولكن نجاح الفرد بأدائه ليس نجاحاً للفريق إذا غلب على الجميع التقصير والتقاعس .

لذا ؛ مَن لم يتقدم يتقادم ، ومَن لم يُشغل نفسه بشيء إيجابي تنشغل نفسه بماضيه ، وإن لم تعش الحاضر عشت الماضي ، وفقدت المستقبل .

النفس لا ذكر ولا أنثى

إنّ النّفوس، من حيث أصل الخلق، ووُجُودها، إنَّما هي متماثلة، والفرق بينها، يَتَأتى من عملية استخدام النّفس، وتفعيلها بالمفاهيم والمعلومات؛ فلذلك كان للبيئة الاجتماعية الدّورَ الأكبرَ، والأساسَ في صنع النّفس ابتداءً من الأسرة، وانتهاء بالمدرسة والمجتمع، فالنّفس قابلة للصلاح بالتزكية، وقابلة لأن تكون نفساً شريرةً، بتدسيتها، وكل نفس تتميز عن النّفس الأخرى، عندما تَدخُل الجنين البشري، ويبدأ هذا الكائن في عملية تفعيل نفسه، بواسطة تفاعله مع البيئة، فتظهر نفس زيد، وأخرى نفس زينب، وهكذا تتمايز النّفوس، وتختلف عن بعضها، ويظهر استقلالها الفردي في الواقع.

(كل مولود يولد على الفطرة حتى يَعربَ عنه لسانه فأبواه يهودانه أوينصرانه أو يمجسانه) (أبو يعلى، والبغوى، والباوردى، والطبرانى، والبيهقى عن الأسود بن سريع)

فالإنسان، ابن بيئته الاجتماعية ـ ابتداء ـ وابن اختياره وعياً، ورشداً، انتهاءً.

قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الرّوم 21).

إن الخطاب، موجه إلى الإنسان؛ بشقيه (الرّجل والمرأة) على حد سواء، يخبر الخالق أنَّ الرّجل يسكن إلى المرأة، والمرأة تسكن إلى الرّجل، وأنه جعل بينهما مودة ورحمة؛ ذلك لأجل التّكامل، والانسجام، والتّلاؤم بينهما؛ فيقومان ـ معاً ـ بإنشاء أسرة قائمة على السّكن والمودة والرّحمة والدّفء العاطفي، وقد جعل الرّب ـ سبحانه ـ هذه العلاقة، آية من آياته، حضَّ على دراستها؛ وتحصيل المعلومات عنها؛ للوُصُول إلى بناء النّظام الاجتماعي؛ لذلك أنهى نص الآية بقوله (لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

وبما أن أصل خلق الجسم البشري، إنَّما يرجع إلى مادَّة التّراب، وأصل خلق النّفس، هو من مارج من نار، فقد قال تعالى: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (لقمان 28).

فعملية خلق النّاس، وبعثهم - بعد الموت - هو أمر هين وسهل على الخالق المدبر، بل، هو أهون من ذلك أصلاً، لأنَّ الفعل فعله، ومن يفعل شيئاً، فإنه يستطيع أن يعيده بداهة، كما أن صور هذه الأجسام، إنَّما هي من مادَّة واحدة (التّراب والماء) قد ظهرت بصُور كثيرة، أما النّفوس فتجمع - بعد انفصالها عن الأجساد - في مقبرة برزخية خارج الحياة الدنيا إلى أن يحين يوم البعث.

قال تعالى: {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}المؤمنون100

{وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} (الأنعام 98).

فالاستقرار: هو حالة لبوس النّفس للجسم في الحياة الدّنيا، والعيش من خلاله.

المستودع: هو مكان لتجمع النّفوس فيه(مقبرة)، بعد انفصالها عن الأجساد.

النفس قائدة للجسم

لَمَّا دخلت النّفس في الكائن البشري، تَفعَّل جهاز التّمييز الثّلاثي عند الإنسان، وصار يعقل، ويفكر، ويدرك نفسه، وغيره، بصُورة واعية (أنا أفكر، إذاً أنا موجود) ما يُؤكِّد أنَّ النّفس، هي أشبه ما تكون بنظام متماسك مؤلف من قواعد، وأسسٍ، تَستخدِم الكائن البشري، والأمر يشبه جهاز الكومبيوتر، فهو جهاز إلكتروني، يعمل بالطّاقة الكهربائية، مُسير بنظام ينزل فيه، فتتم إدارته والسّيطرة عليه، فإن تعطل الجهاز، توقف تفاعل النّظام وظُهُوره على أرض الواقع رغم سلامته، وكذلك إذا تعطل النّظام بفيروس أو أي شيء آخر، ظهر الاضطراب والعطل والخطأ في الأعمال التي يقوم بها النّظام.

والنّفس تشبه نظاماً برمجياً معلوماتياً، تموضع في الدّماغ، ومن خلاله، تقوم النّفس بتسيير الإنسان وقيادته، وَفق الأسس والقواعد الموجودة في النّفس، فحين يموت الإنسان، نتيجة انتهاء صلاحية جسمه، سواء أكان ذلك بانتهاء عمره الافتراضي، أم بفعل فاعل، أم بمرض قاتل، تخرج نفسه من الجسم؛ ليتم الاحتفاظ بها في مكان معين، ويرجع الجسد إلى الأرض، ليتحلل إلى عناصره الأولى، ولا شك أنَّ الدّماغ هو عضو مادي يتحلل ويرجع إلى عناصره الأولى، مثل الجسد تماماً، ولكن الإنسان (زيد) مثلاً، لا يفنى من حيث هو نفس، وما اكتسبه من شخصية ومعلومات محفوظ في النّفس، **فزيد هو النّفس، لا الجسم، فالجسم فان، والنّفس خالدة مستمرة**، ولكن لا يمكن لهذه النّفس، أن تتواصل مع الواقع إلا من خلال الجسم، مثلها كمثل نظام ويندوز والجهاز الإلكتروني؛ فنظام ويندوز لا يمكن أن يظهر أو يتفعل إلا من خلال جهاز الكومبيوتر.

فإذا أتينا بجهاز محدد وأنزلنا نظام ويندوز فيه، فالذي يظهر و يتفعل هو النّظام من خلال الجهاز، وكذلك النّفس عندما تدخل إلى الجسم وتنزل فيه، تظهر وتتفعل في الواقع وتتواصل معه، وهذا ما يحصل يوم القيامة عندما يطلب الله الخالق المدبر من الأجساد أن تنبت وتخرج من الأرض وفق نظام جديد، {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ }إبراهيم48، فتقوم بإذن الله، ثم يأمر النّفوس أن تدخل كل واحدة إلى جسمها (الدّماغ)؛ فيظهر الإنسان الواعي المدرك ويتواصل مع الواقع، و يتفعل جهاز التّمييز الثّلاثي (السّمع والبصر والفؤاد).

قال تعالى: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ } (التّكوير 7).

إنَّ تزويج النّفوس؛ هو إدخال النّفس وإنزالها في الجسم (الدّماغ)؛ فيدرك الإنسان ما اكتسب في الحياة الدّنيا، ويَعِيَه، وترجع المعلومات كلها إلى ذاكرته، وتُحاسب النّفس المتموضعة في الدّماغ، المُسيرة للجسم، فيكون الثّواب والعقاب، للنّفس المتلبسة بالجسم (فيزيولوجي وسيكولوجي)، وذلك بعد أن تتغير طبيعة الجسم بما يناسب الوضع الجديد.

ولننظر الآن، إلى طبيعة النّفس كنظام برمجي معلوماتي؛ ماذا يُوجد في داخلها وما هي صفاتها.

صفات النّفس

(المجلدات الموجودة في نظام النّفس)

1 ـ النّفس قابلة لأن تُزكى أو تُدسَّى :

قال تعالى : {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا } (الشّمس 7 ـ 10).

إذاً، النّفس فيها قابلية ثنائية، يمكن أن تكون نفساً صالحة، وذلك بتزكيتها، ويمكن أن تكون نفساً سيئة شريرة، وذلك بتدسيتها .

2 ـ النّفس فيها شهوات وهوى :

حينما نستخدم كلمة النّفس؛ فلا يقصد بها النّفس كلها، بل جانب قائم فيها، قال تعالى : { النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (يوسف 53).

{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (المائدة 30).

{ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (التّغابن 16).

{ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (الزّخرف 71)

لاحظ كيف تأتي الشّهوة للنّفس، واللّذة للأعين وهي عضو من الجسم .

{ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ } (النّجم 23).

3 ـ النّفس هي محل الحياة، والموت، والقتل :

قال تعالى : {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (الزّمر 42).

الوفاة للنفس تكون بحالتين : الأولى : حين الموت، ويتم إمساكها . والأخرى : حين المنام ويتم إرسالها . فمن المعلوم أنَّ النّوم هو كالموت، والإنسان النّائم هو حي ولكنه في حالة سُبات، ما يُؤكِّد أنَّ الكلام هو على النّفس، فهذه النّفس عند رؤيتها للمنام وهذا لا يكون إلا في حالة نوم الجسم، تفقد تواصلها ـ مع الواقع ـ

بصُورة جزئية، فتنكفئُ على الذّات، من خلال تذكر الأفعال السعيدة أو الشقية، ويمكن أن تغادر الجسم برهة من الزّمن دون انفصال عنه تماماً، ثمّ تعود إليه.

فالخالق - سبحانه - هو الذي يجمع النّفوس، بعد أن تخرج من الأجسام في مكان معين إلى يوم القيامة، وموت النّفس؛ هو فصلها عن الجسم وليس فناءها.

قال تعالى: { وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } الأنعام151

وتُقتل النّفس[1]، بسبب إصابة الجسم بعطل قاتل، كفصل الرّأس عن الجسد، فتخرج النّفس بهذا السّبب؛ لانتفاء صلاحية الجسد من بقائها وتفاعلها مع الواقع، ومن ثمَّ، فقد أذهب القاتل فرصة حياة النّفس في الحياة الدّنيا؛ لهذا يعاقب من نوع عمله، وهو إذهاب فرصته في الحياة، أو يُفرض عليه إحياء عدة نفوس ثقافياً وعلمياً، أو حمل مسؤولية أسرة القتيل، بمعنى آخر ينبغي أن **تُلغى فاعلية حياة القاتل لمصلحته، وتُحَوَّل لمصلحة المجتمع فقط.**

4 - النّفس قابلة للتّغيير (مجلد التّغيير):

قال تعالى: { إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (الرّعد 11).

إن النّفس، إذ تُشَبَّه بنظامٍ معلوماتي (أسس وقواعد) ما يعني أن ثمة قسماً ثابتاً، لا يستطيع الإنسان أن يُغيّره، وهو مجلدات النّظام الأساسية التي وضعها الخالق - سبحانه - في الإنسان، وثمة قسم آخرُ متغيرٌ؛ هو في إمكانية الإنسان وتصرفه، فيقوم باستخدام هذه البرامج، وتعبئتها بالمفاهيم، التي يريدها الإنسان ليُسيّر نفسه بحسبها، فمن وضع مفاهيم الشّر، يصدر منه سُلُوك شرير، ومن وضع فيها مفاهيم الخير، يصدر منه سُلُوكٌ صالحٌ (الرام والروم).

إذاً، يستطيع الإنسان، أن يُعيد بناء نفسه من جديد (فرمتة) ويحتفظ بالمفاهيم الجيدة والصّالحة، ويستبعد السّيئة، وهذا العمل غير مُرتبط بعمر

[1] قتل النفس نوعان: مادي من خلال إهلاك الجسم، ومعنوي من خلال إهدار الكرامة أو تقييد الحرية .

الإنسان، من كونه صغيراً أو كبيراً، مع العلم؛ أن قِدم الخطأ واستمراره، يزيد الأمرَ صُعُوبة وإرباكاً، ما يقتضي طول المدة ومضاعفة الجهد في عملية التّزكية (فرمتة وتحديث) ثم - بعد ذلك - يُكيِّفُ سُلُوكه حسب المفاهيم الصواب، ومن الممكن أن تُصاب نفسه بمرض (فيروس) يؤثر في نظامه النّفسي فتتعطل نفسه، وتخبث.

قال تعالى: {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} (البقرة 10).

فينبغي على الإنسان، أن يقوم بتزكية نفسه (فرمتة)، ويتعهدها بالتّحديث المستمر؛ وذلك باستحضار الإيمان، وفعل الطّاعات، والعمل الصّالح، والتّفكير الدّائم، الذي هو انفتاح على الواقع، والتّعامل معه بصُورة فاعلة إيجابية، وليس بانفعال وسلبية، ومحور حركته الثّابت والمتغير ضمن نظام المجتمع.

5 ـ النّفس المجادلة (مجلد الإدراك):

قال تعالى: {اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً} (الإسراء 14).

قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} (النّمل 14).

6 ـ النّفس صاحبة الإرادة (مجلد الإرادة):

{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} (النّازعات 40ـ 41).

7 ـ النّفس المطمئنة (المتوازنة بين قواها):

{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً} (الفجر 27- 28)

وهذا التّوازن، يكون إذا صدر سُلُوك الإنسان، بصُورة منسجمة مع الإدراك، والإرادة، والشّهوات، والشعور، مسيرين كلهم بالمفاهيم الرّوحية (شرع الله، والعلم).

8 ـ النّفس هي محل التّكليف والخطاب :

{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا } (البقرة 286).

ووُسعُ الإنسان ـ في الواقع ـ له جانبان :

الأول : جانبٌ متعلق بالمقدرات الفهمية، والشعور والإرادة (النّفس) .

الثّاني : جانبٌ متعلق بالمقدرة الجسمية .

9 ـ النّفس هي محل العلم (مجلد المعلومات) :

قال تعالى : { تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ } (المائدة 116).

قال تعالى : {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (السّجدة 17) .

10 ـ النّفس هي محل الجهاد :

{الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (التّوبة 20).

إن الجهاد بالمال، هو بذله في سُبل الخير، وأعظمها ؛ ما كان في سبيل تحرير الإنسان من الظّلم، والاستبداد ، والجهل، والتّخلف، ونقله من حالة الانفعال ؛ إلى حالة التّفاعل والفاعلية، والجهاد بالنّفس، هو تسيير النّفس بالرّوح (شرع الله، والعلم) وتزكيتها ، وتعليمها ، ونهيها عن الهوى، والوُصُول بها إلى مرحلة الاطمئنان، والقيام بفاعلية في توعية النّاس، ونشر الحق فيما بينهم، وحضهم على فعل الخير، والأخذ بيدهم نحو النّهضة، ومحاربة الفساد والرّذيلة والفحشاء ...الخ، هذا الأصل العام في جهاد النّفس في الخطاب القرآني، أما الاستثناء فهو القتال (آخر الطّب الكي) فهو يشبه عملية جراحية ؛ لاستئصال ورم خبيث لم تنجح معه محاولات العلاج، ورفضها، ووُجُوده يُؤدِّي إلى هلاك الجسم، وزهق الحياة ؛ فمن منطلق المصلحة العامَّة والحفاظ على الحياة، يضطر الإنسان كمجتمع لأن يقبل القتال وهو كاره له، لأن الطرف الآخر المعتدي لم يترك له الخيار السلمي، ويكون على

أضيق سبله وبأقل الأضرار الممكنة، وينبغي العلم أن القتال ليس واجباً بذاته، وإنما هو واجب عارض وظرفي، ومن هذا الوجه يقال **(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)** وليس هذا القول إعطاءً أفضلية وقدسية لأحدهما دون الآخر، لأن كل صُور الجهاد فاضلة وجيدة في مكانها ودورها ، والمقصود بالقول السّابق، هو أنَّ الصّورة الأولى للجهاد ، جهاد تزكية النّفس، و فاعليتها في المجتمع، هي الدّائرة الكبرى والأصل في الحياة، أما الصّورة الأخرى (القتال) فهو عارض مؤقت، وليس أصلاً يستوعب الحياة، فسرعان ما تنتهي هذه الصّورة، ويعود الإنسان إلى الأصل (الجهاد الأكبر)؛ **لأنَّ الأصل في علاقات النّاس هو السّلم، وليس الحرب، مع الانتباه أن كلمة (القتال) تدل على علاقة بين طرفين مثل العراك، والملاكمة، والمصارعة، ووجود الإرادة للقتال منهما شرط له، وإن انتفت عن أحدهما انتفى مفهوم القتال، وصار اعتداء من الجهة البادئة، ودفاعاً للجهة التي لم ترد القتال، مثل الاعتداء الصهيوني اليهودي، ودفاع الشعب الفلسطيني.**

11 ـ النّفس اللّوامة (الضّمير):

{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } (القيامة 2).

النّفس اللوامة، هي التي تلوم صاحبها- دائماً- على ما يعمل من أفعال غير منسجمة، مع مفاهيم الخير والحق، فيتدخل قسم الإدراك والمعلوماتية، والمفاهيم والعقل، يوبخون الإنسان، ويلومونه على فعله الشّنيع، وتركه للشّهوات والهوى، يتحكمان في النّفس، عوضاً عن الإدراك والعقل والمفاهيم، فهو في حالة لوم دائم؛ لا يعرف الاستقرار والاطمئنان النّفسي أبداً.

12 ـ النّفس العاقلة (مجلد العقل):

{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } (البقرة 44).

13 ـ النّفس المفكرة (مجلد التّفكير) :

{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ } (الرّوم 8).

14 ـ النّفس هي محل الكفر والإيمان :

{هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً } (الأنعام 158).

15 ـ النّفس هي محل الجزاء (ثواب وعقاب) :

{وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } (الجاثية 22).

{وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ } (الزّمر 70).

والجزاء للنّفس الفاعلة، وهذا لا يمكن - في الواقع - إلا إذا كانت النّفس متموضعة في الجسم؛ لأنَّ النّفس ـ بواسطته ـ تتواصل وتعمل، وهذا يُؤكِّد أنَّ الثّواب والعقاب (الجنة والنّار) في الآخرة للنّفس المتموضعة في الجسم (شهوة ولذة) أو (حرمان وألم)[1] .

16 ـ النّفس الأمّارة بالسّوء :

قال تعالى : {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (يوسف 53).

بما أنَّ النّفس مخلوقة نارية ـ من حيث الأصل ـ فلها صفات النّار، من حيث حركتها نحو الأعلى، واضطرابها وتداخلها في بعضها؛ فالنّفس تريد التّحليق عالياً، والانتقال من مكان إلى آخر دون مسؤولية أو رقيب، وأن تفعل ما يحلو لها دون توقف، ولكن وُجُودها اللازم في الجسم، يُكبل حركتها ويشدها إلى الأرض؛ لأنَّ الجسم مخلوق من تراب؛ فهو مُرتبط به، فتضطر النّفس أن تتحرك حسب قوانين

---

(1) الجسم في الآخرة يتناسب مع القوانين الجديدة.

الجسم، فتقوم باستخدامه وتحاول أن تحصل على شهواتها اللا متناهية، من خلال الجسم المحدود بقدراته، فيضعف الجسم، عن تحقيق هذا الإشباع اللا متناهي للشّهوات، فتنكفئ النّفس على ذاتها، تنتظر من الجسم أن يستعيد قواه المادِّيَّة.

والنّفس بهذه الحالة، هي نفس مسعورة شرهة مضطربة، تعنف الجسم على ضعفه ومحدوديته، وتريد منه أن يتحرك لتحصل على شهواتها، وهذه الحالة - إن استمرت - كفيلة بأن تقوم النّفس بالقضاء على الجسم، وبعملها ذاك، تقضي على ذاتها أيضاً؛ لأنها أضاعت فرصة الحياة الفاعلة الواعية؛ لأنَّ النّفس أشبه ما تكون بفارس، يقود فرسه الذي هو الجسم، فإن هلك الفرس؛ فقد الفارس حركته وفاعليته.

لذا، ينبغي أن يحافظ الإنسان على جسمه (فرسه)؛ ليستمر في حركته ومناورته في الحياة الاجتماعية، ويتفاعل معها، وهذا يقتضي من الإنسان أن يسيطر على نفسه، ويلجمها ويوجهها نحو الخير والصّلاح؛ لتسمو من خلاله.

وإن لم يقم بالسّيطرة على النّفس، يخسر الجسم أيضاً؛ لأنها سوف تهلكه لا محالة، ويعيش في حالة القلق، والاضطراب، والضّنك في حياته؛ لأن نفسه تلعن جسمه، وجسمه يئن تحت وطأة شهوات النّفس، لا يستطيع أن يشبعها كلها، بصُورة مستمرة ويهلكان معاً.

لذا، ينبغي على الإنسان، أن يتعهد نفسه بالصّلاح والخير، وذلك من خلال تحديث المفاهيم الثّقافية، وقيادة النّفس، بحسب هذه المفاهيم الصّالحة.

{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } (النازعات (40 - 41).

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } (طه 124)

وما ذكرته عن النّفس، ليس للحصر، وإنَّما ذكرت الصّفات الغالبة والمشهورة، لإيضاح النّفس ودورها مع الجسم.

الحيوانات لا نفوس لديها

نفس كلمة تدل على أمر مستور يُفتح منضماً منتهي بحركة حرة.

وظهر ذلك في عملية التنفس من كونها تبدأ بدخول أو خروج من ستر وتفتحه بعد ذلك وتحركه بحرية، وظهر ذلك بحركة الصبح: {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}التكوير18، لاحظ خروج الصبح من الليل وتفتحه بهدوء وحركته الحرة في أبعاد الليل.

فالنفس في الإنسان هي شيء دخل في جسمه وتفتحت داخله وتحركت بالجسم بشكل حر على أرض الواقع.

إذاً، النّفس أشبه ما تكون بنظام برمجي معلوماتي، وُجدت في الكائن البشري، نتيجة النفخ فيه من الروح، وترتب على ذلك، تفعيل المراكز الثّلاثة لجهاز التّمييز (السّمع والبصر والفؤاد).

وهذه النّفس موجودة في الكائن الإنساني فقط، أي لا يصح أن نطلق كلمة نفس على الكائنات الحيوانية، كما أن مراكز النّفس الإنسانية في التّواصل مع الواقع والتي هي السّمع والبصر والفؤاد، لا يصح إطلاقها على الكائنات الحيوانية أيضاً.

فالحيوانات لها حواس، هي الأذن و وظيفتها لقط الأصوات، والعين و وظيفتها نقل الإحساس بالصّور، والأنف ووظيفته لقط الرّوائح، وهكذا باقي الحواس، تقوم بعملية لقط الإحساس بالواقع ونقله إلى الدّماغ، فيقوم الدّماغ بطبع هذه الإحساسات، والتّعامل معها، بصُورة غريزية غير واعية، ويمكن أن يسترجع الحيوان هذه الانطباعات، إذا أثير في الواقع من خلال عرض الشّيء عليه مرة ثانية، فيقوم بعملية الاستجابة لهذا المؤثر حسب الانطباع الأول، أي بصُورة غريزية،

دون وعي أو ربط بين الأحداث والأشياء ؛ وتجربة العالم بافلوف الشّهيرة، خير مثل على ذلك؛ حيث قام بوضع كلب في مكان مغلق، وبدأ بإطعامه وجبات بصُورة منتظمة، ومع كل وجبة طعام كان يقرع جرساً، وكرر هذه العملية مرات ومرات ليعزز هذا السلوك، ثم قام بقرع الجرس بعد ذلك دون إحضار الطّعام، وراقب الكلب، فرآه قد سال لعابه؛ نتيجة تأثره بالحس المطبوع سابقاً بين وقت الطّعام وصوت الجرس.

فهذه التّجربة، تدل على أنَّ الحيوان، **لا يُوجد لديه ربط واعي للأحداث، كما أنه لا يُوجد عنده تفاعل مع الواقع، بل هي حالة انفعال، وتأثر بالإحساس المطبوع في دماغه، ويتعامل مع هذا الإحساس، دون ربطه بواقعه.**

ولقد أجرى العلماء تجربة أخرى، شبيهة بالسّابقة ولكن مع القرود ؛ وذلك عندما شاهد العلماء في حديقة الحيوان، أنَّ القرود تتواصل مع بعضها بالأصوات والحركات، وذات يوم، نزل المطر؛ فقام قرد بإصدار صوت معين، كان نتيجته أنَّ القرود سارعت كلها للاختباء من المطر؛ فسجل العلماء هذا الصّوت، وفي يوم صحو، وكانت الشّمس ساطعة، و القرود في الخارج كعادتها، قام العلماء بإصدار هذا الصّوت المسجل؛ فشاهدوا أن القرود تسرع في عملية الاختباء تحت الأسقُف.

وقام العلماء بتجربة أخرى مثيرة لصد هجوم قطيع من الفيلة على بعض القرى ، فسجلوا صوت زئير الأسود، وعندما هجم الفيلة على القرية وضعوا الزئير على مكبرات الصوت ، وأسمعوه للفيلة فوقفوا في مكانهم مباشرة وسارعوا بالهرب والرجوع من حيث أتوا!

وهذا يُؤكِّد ما ذكرته آنفاً، من أنَّ الحيوانات ليس عندها ربط بين الأشياء بصُورة واعية، بل عندها انفعال، وتأثر بإحساسها المطبوع سابقاً، ولا تتعامل مع الواقع، بل مع إحساسها السّابق بصُورة انفعال.

إذاً، النّفس أمر خاص بالإنسان، كما أنَّ السّمع والبصر والفؤاد ـ أيضاً ـ خاص بالإنسان، فالحيوانات لا تسمع ولا تبصر، لأنَّ السّمع هو قراءة للموجات الصّوتية بصُورة واعية، وكذلك الإبصار أيضاً، والحيوانات لا تقرأ إحساسها، بل تنفعل معه غريزياً، والصّواب أن نقول، عن وظائف حواس الحيوان، أنها ناقلة أو لاقطة للإحساس، ونسمي علم دراستها علم سلوك الحيوان، واجتناب الكلمات التي تدل على الوعي مثل: التعليم، الشعور، التفاعل، الحزن..الخ، ونستخدم عوضاً عنها تدريب، انفعال، انطباع، استرجاع، ردة فعل..الخ، وذلك للدّقة في البحث، وعدم الخلط مع المصطلحات الخاصة بالإنسان، وقتل الحيوانات ليس قتل نفس بغير حق، وقتلها دون مبرر هو من الإفساد في الأرض.

كيف يتم اتخاذ القرار في النفس

إن النّفس ـ كما ذكرت آنفاً ـ تحوي في داخلها، أموراً أساسية وهي بمثابة المجلدات البرمجية في نظام ويندوز، وهذه الأمور هي:

الإرادة، والإدراك، والتّحاكم، ومركز المفاهيم والأفكار والقيم والأخلاق، والإدارة والشعور والشّهوات، والهوى.

والسُّلوك الإنساني، يصدر نتيجة تفاعل هذه الأمور أو بعضها مع بعض، وبناء على صواب استخدام هذه الأمور، تخرج النّتيجة صواباً أو خطأً؛ وسنضرب مثالاً تقريبياً، عما يجري في داخل النّفس بصُورة حوارية.

لنتخيل أن في داخل النّفس دوائرَ فاعلةً وأخرى منفعلة، ولكل دائرة مسؤول واحد عنها من المذكورين، تابعين لمدير عام، يصدر القرار منه، وكلهم يتمتع بالوعي والإرادة الجزئية.

مدير عام: الفؤاد. مدير تنفيذي: الإدراك.

1 ـ دائرة فاعلة: الإرادة.

2 ـ دائرة فاعلة: التّحكم.

3 ـ دائرة فاعلة: المفاهيم والمعلومات والقيم.

---

4 ـ دائرة منفعلة: الشعور.

5 ـ دائرة منفعلة: الشّهوات.

6 ـ دائرة منفعلة: الهوى.

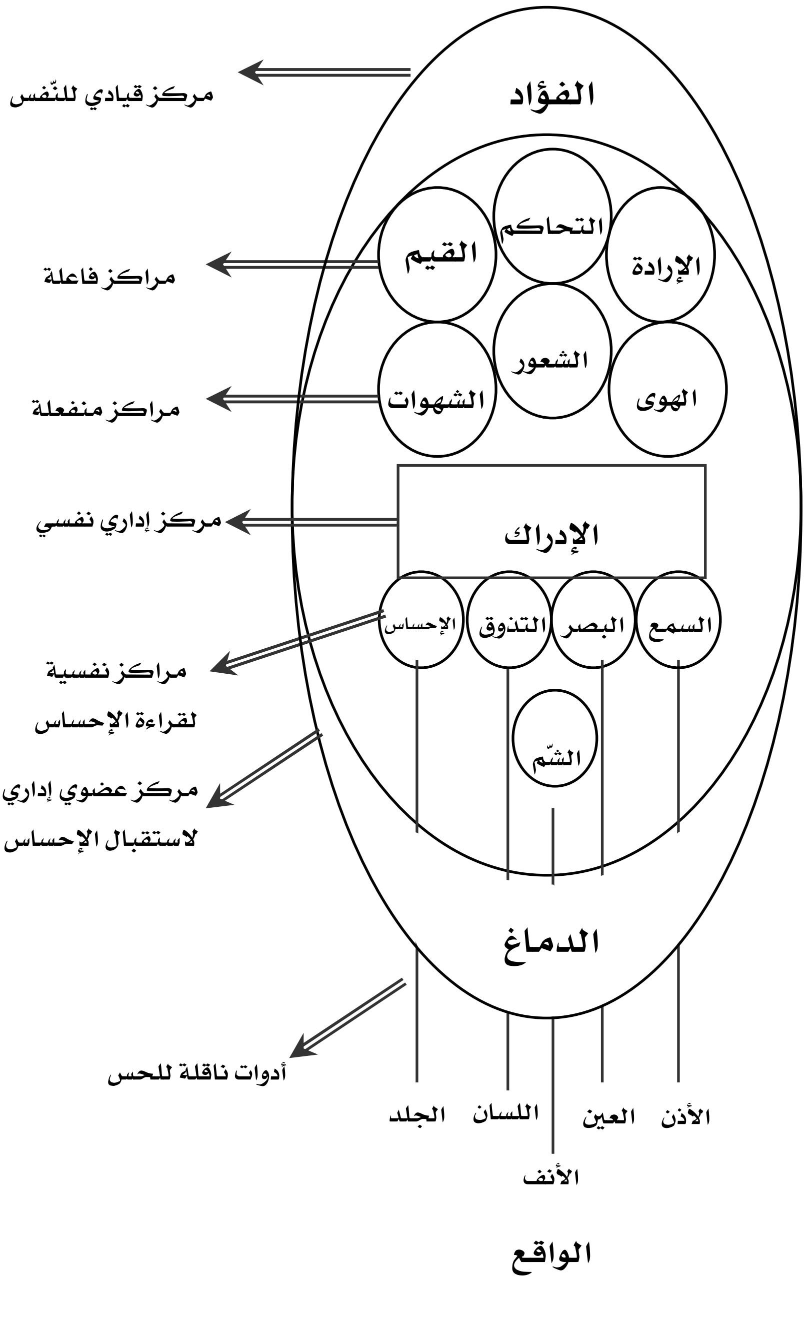
عُرض على هذا الإنسان (النّفس) أمرٌ ما، فأول ما يمر هذا الأمر، إنَّما يمر على المدير التّنفيذي، الذي يدير الحوار بين الدّوائر كلها، ثم أول دائرة تتكلم هي دائرة

الهوى، وتساعدها دائرة الشّهوات، ويطالبان بإلحاح وضغط شديد على دائرة الإرادة، لاستصدار قرار بالموافقة والتّحرك دون الرّجوع إلى دائرة أخرى، فإن نجحا في استصدار القرار تحرك الإنسان نحو العمل، وقام به دون موافقة الدّوائر الفاعلة الأخرى، ومن ثم، سوف يترتب على ذلك اضطراب في النّفس، وقلق وارتباك، أما إذا قامت دائرة الإرادة، وعرضت الموضوع على بقية الدّوائر الفاعلة، وأخذ الموضوع حقه من الدّراسة، ورفعوا التّقرير إلى المدير العام (الفؤاد)؛ ليتخذ القرار بناء على معطيات الدّوائر الفاعلة وموافقتها، وإذا حصل ذلك، ترتب عليه انسجام النّفس وتوازنها مع دوائرها، ويتم نهي دائرة الهوى والشّهوات من التّأثير على استصدار القرار كونهما دائرتين منفعلتين، واجبهما إتباع القرار الذي يصدر عن الدّوائر الفاعلة وتنفيذه؛ قال تعالى:

{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى }

(النازعات 40. 41)

القلب


مركز قيادي للنّفس
الفؤاد
مراكز فاعلة
القيم
التحاكم
الإرادة
الشعور
مراكز منفعلة
الشهوات
الهوى
مركز إداري نفسي
الإدراك
الإحساس
التذوق
البصر
السمع
مراكز نفسية
لقراءة الإحساس
الشّم
مركز عضوي إداري
لاستقبال الإحساس
الدماغ
أدوات ناقلة للحس
الجلد
اللسان
العين
الأذن
الأنف
الواقع

الفصل الثاني

1- التّطور للبشر وليس للإنسان .

2 ـ نظرية التّطور والارتقاء .

3 ـ نظرية الخلق من نفس واحدة

4- الغرائز والحاجات البشرية والنّفسية

أ ـ غريزة التّعلم

ب ـ غريزة التّدين

ت ـ غريزة الاجتماع

ج - غريزة التّنوع والتّغيير

5- الفطرة

6- أساس الفكر الإنساني

التّطور للبشر وليس للإنسان

بعد أن عرفنا أنَّ الجسم مخلوق من تراب وماء (الطّين)، من حيث أصل الخلق، ومن ثم جُعل نسله من ماء مَهين يتكاثر من خلاله، وعرفنا أنَّ النّفس، قد خُلقت من مارج من نار، من حيث أصل الخلق، وخُلق زوجها منها؛ ليظهرا في الواقع زوجين، وتم بث الرجال والنساء منهما؛ تبين لنا صواب كل من النّظريتين الآتيتين:

1. نظرية التّطور والارتقاء:

تقول هذه النّظرية: إنَّ الكائنات الحية، وعلى رأسها البشر؛ لم تُخلق بهذه الصّورة مُباشرة[1]، وإنَّما مرّت بمراحلَ تطورٍ من صُورة إلى أخرى، على سُلم التّطور مع حفاظ كل جنس على شجرته إلى أن وصلوا إلى الصّورة الحالية، وثبتوا على ذلك نتيجة ثبات السّنن، والقوانين الإلهية على الوضع الرّاهن.

{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} طه5

{ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً } (الأحزاب 62).

2. نظرية الخلق من نفس واحدة:

من هذه النّفس الأولى، خُلق زوجها منها؛ ليصيرا في الواقع زوجين، ومنهما تمت عملية بث الرجال والنساء، وذلك مثل أخذ شعلة من النار، حيث تصير كل شعلة نار بذاتها، ولها صفات الأولى؛ دون أن ينقص من النار الأولى شيء.

فنظرية التّطور، محلها الكائن البشري (الجسم)، وهو موضوع يخضع للدّراسة الموضوعية، من خلال السّير في الأرض، ومعرفة كيفية بدأ الخلق، وهذا ما قام به العلماء وعلى رأسهم دارون، ولكن الذي حصل أن هذه النّظرية، جُوبهت بالرّفض جملة وتفصيلاً؛ لأنَّ النّظرية لا تملك أجوبة عن كثير من المسائل الجزئية، وما تم افتراضه، تعارض مع كليات من العلم، وقام علماء الدِّين معتمدين على التلمود

[1] التطور كان منذ القدم السحيق إلى أن ظهرت الأجناس واستقلت عن بعضها، وحافظ كل جنس على مورثاته، فجنس البشر غير جنس القرود رغم أن أصل الجميع التراب والماء وإليه يعودون.

بصُورة مُباشرة، أو استخدموها لتأويل النّص القرآني، المتعلق بخلق النّفس الواحدة، وأغفلوا النُّصُوص القرآنية المتعلقة بخلق البشر، ورفضوا نظرية تطور الخلق، وبعملهم هذا جعلوا تعارضاً بين العلم والدِّين؛ وقامت الدّنيا، ولم تقعد إلى زماننا هذا!.

فعلماء التّطور، تناولوا في دراستهم خلق الكائنات الحية، وعلى رأسها الكائن البشري فقط، كونه موضوعاً يقع الحس عليه، بصُورة مُباشرة، ووصلوا إلى ما وصلوا إليه، من تفاصيل وجزئيات فرضية، لا يزال العلم بين مد وجزر فيها، يعدل وينفي ويفترض.

أما من حيث أصل النّظرية، بصُورتها الكُلِّيَّة، دون الجزئيات؛ فهي أمر مقبول في الوسط العلمي، وهي منسجمة - إلى حد كبير - مع النُّصُوص القرآنية المتعلقة بخلق الكائن البشري، ولم يتناول علماء التّطور مسألة خلق النّفس؛ لخُرُوجها من مجال بحثهم ودراستهم؛ ولانتفاء وقوع الحواس عليها، بصُورة مُباشرة، ولعدم وُجُود مصدر علمي موثوق عندهم؛ يخبرهم عن وُجُود النّفس، ككائن مغاير للجسم، ومن أي مادَّة تم خلقها؟ وما هي صفاتها؟

أما علماء الدِّين السّلفيون - من مختلف الملل - فقد اعتمدوا النُّصُوص الدِّينية المتعلقة بخلق النّفس، وأسقطوها على الكائن البشري، وبناء على عملهم الغوغائي[1]؛ رفضوا نظرية التّطور للكائنات الحية.

مع العلم أن عملهم هذا، انعكس عليهم من حيث أنهم ضربوا نُصُوص القرآن ببعضها، وأشاعوا وأسسوا لمفهوم فصل الدِّين عن العلم، وأَنَّ الدِّين

---

[1] وذلك نتيجة اعتمادهم على الترادف فلم يُفرقوا بين دلالة كلمة البشر، ودلالة كلمة الإنسان، واستخدموا المجاز في القرآن، وأساؤوا في استخدام وإرجاع الضمائر في النص، وكل ذلك بسبب اعتقادهم بنشأة اللسان العربي بصورة اعتباطية أو وضعية، واعتمادهم على التلمود اليهودي في دراسة القرآن.

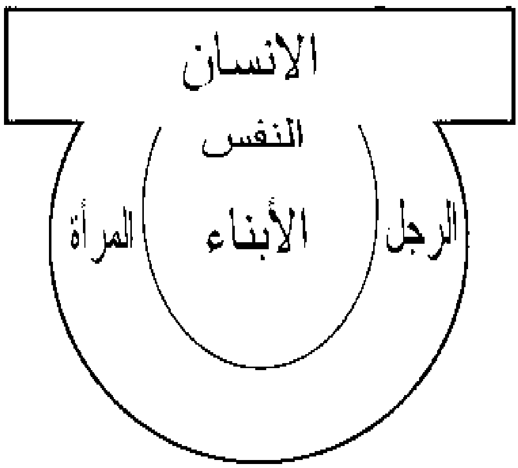
يُفهم نقلاً وليس عقلاً ، وأنَّ الدِّين لا يخضع في فهمه للعلم والأدوات المعرفية ، بحجة أن ما هو رباني ، كيف يخضع لما هو إنساني؟ .

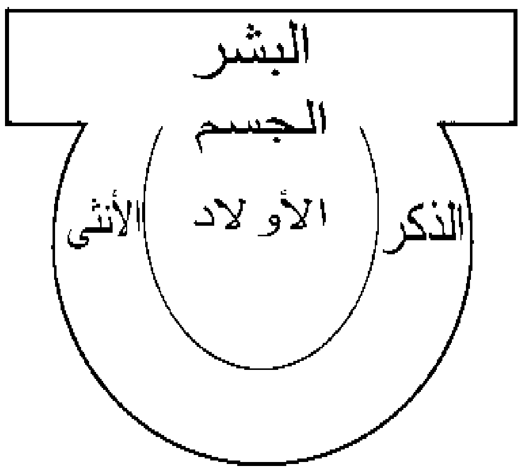
وفاتهم أن ما يصل إليه الإنسان من عُلوم ، إنَّما هي معرفة سنن الخالق وقوانينه في الوُجُود .

إذاً ؛ العلم هو أمر الله في الوُجُود (الرّوح) فعندما نستخدم العلم في دراسة النّص الرّباني ، نكون قد استخدمنا قوانين الله وسننه (الرّوح) في فهم كلام الله ، فالإنسان لا يتدخل في وضع أي شيء من السّنن ، بل ليس له ذلك ؛ لعجزه ، وإنَّما يقوم الإنسان باكتشاف أمر الله في الخلق (الرّوح) ويستخدم الرّوح ؛ لفهم النّص الرّباني ، الذي هو بدوره روح من الخالق ، ومن ثمَّ ، يكون بعمله هذا ، قد ضم الرّوح الشّرعي النّقلي ، إلى الرّوح العلمي الكوني .

فكلا النّظريتين صواب ، نظرية التّطور للكائن البشري (الجسم) ، ونظرية الخلق المُباشر للنّفس ، ومن ثم ؛ فالقرآن يصدق العلم ، والعلم يصدق القرآن ؛ لأنهما توأمان من مشكاة واحدة ، يسيران مع بعضهما ، بصُورة منسجمة كل الانسجام ، مع احتفاظ القرآن بالأسبقية في السّير ، وإتباع العلم له - يترجم نُصُوصه عملياً في الواقع - والعلاقة بينهما علاقة جدلية ، إذ القرآن يقوم بذكر معالم ، وومضات مفصلية في الموضوع ؛ ليدل الباحث ويحدد مساره ويدفعه إلى الأمام ؛ فكان القرآن هو بمثابة البوصلة للعلم .

لذا ؛ ينبغي أن يُتخذ القرآن ، مصدراً علمياً مترافقاً مع الواقع ؛ لأن عملية إبعاده عن المصدرية العلمية ، هي التي سببت هذا الصّدام والشّرخ بين العلم والدِّين .


الانسان
النفس
الرجل
الأبناء
المرأة


البشر
الجسم
الذكر
الأولاد
الأنثى

الغرائز والحاجات البشرية والنّفسية

لقد عرفنا أنَّ البشر كائن رحمادي، ممزوج بطاقة حيوية، له غرائز وحاجات عضوية، وعندما نُفخ فيه من روح الله، وُجِدَت النّفس فيه، واستقرت في الجسم البشري، وتَفَعَّل السّمع والبصر والفؤاد؛ كجهاز للتّمييز والإدراك و صار بذلك إنساناً، وعند ذلك ظهرت لنفسه غرائز خاصَّة بها، نحو غريزة التّدين، ومن هذا الوجه يقول الفلاسفة: إنَّ الإنسان كائن متدين بالفطرة.

إذن؛ يُوجد **غرائز للكائن البشري، وغرائز للكائن النّفسي**، وكذلك بالنّسبة للحاجات، **فللكائن البشري حاجات عضوية، وللنّفس حاجات نفسية.**

فما هي الغريزة؟

غرز: كلمة تدل على شيء غائب بصورة مكررة، منتهية بصورة بروز متصل. نحو غرز الوتد في الأرض.

والأمور المغروزة في الكائن البشري، ككائن رحمادي حيوي، هي غريزة النّوع، وغريزة البقاء؛ ولابُدَّ من إشباع هذه الغرائز؛ لأن عدم إشباعها، يصيب الكائن الحي، باضطراب في حياته، ويُهَدَّدْ بانقراض جنسه.

أما الحاجات العضوية، التي هي حاجات الكائن الحي، إلى الهواء والماء والطّعام والنّوم، وطرح الفضلات منها، فإشباعها أمر حتمي؛ لأن عدم إشباعها، يُؤدِّي إلى هلاك الكائن الحي وموته.

وتظهر غريزة النّوع، بمظهر الميل الجنسي نحو النّوع الآخر، ومظهر العناية بالصّغار، أما غريزة البقاء فتظهر في ميل الكائن الحي إلى التّجمع والانضمام لجماعة

من نوعه، واجتناب الخطر؛ نحو: الأماكن المرتفعة والنّار، والقتال؛ للدّفاع عن حياته، وميل السّباع إلى الصّيد؛ لتأمين إشباع حاجة الجوع.

إذن؛ للكائن الحي البشري غريزتان، هما:

غريزة النّوع، و**غريزة البقاء**، وإشباعهما أمر لازم؛ للحفاظ على الجنس البشري، **وله حاجات عضوية**، لابُدَّ من إشباعها للحفاظ على حياته الفردية، وهي حاجة الكائن البشري إلى الهواء، والماء، والطّعام، والنّوم، وطرح فضلاتها خارج الجسم.

أما غرائز النّفس؛ فهي غرائز وُجدت من خلال وُجُود النّفس، فهي غرائز نفسية، وهذا يعني أنها مُرتبطة بالوعي، والإدراك، والتّمييز، وإشباعها يكون بصُورة واعية ومدركة، وهذه الغرائز النّفسية أربعة:

1 ـ غريزة التّعلم:

إن الإنسان ككائنٍ عاقلٍ، يندفع بصُورة مستمرة، إلى حب المعرفة والاكتشاف، ويظهر ذلك من خلال الفضول والسّؤال، عن كل ما يجري حوله: بكيف، ولماذا، وأين؟ وأي إنسان يُلجم نفسه عن هذه الأسئلة، ويُغلق نافذة العلم، وحب التّعلم، يصاب بقلق واضطراب في نفسه، وبفقدان التّوازن في حياته، ويعيش في حالة الظّلمات، والجهل المطبق الذي ينعكس على سُلُوكه في الحياة، وعلاقته بالكون والدّنيا والإنسان والأسرة والمجتمع.

2 ـ غريزة التّدين:

وهذه الغريزة، تظهر بشُعُور الإنسان بحالة الضّعف، والاحتياج، والعجز، سواء أكان ذلك أمام ظواهر الطّبيعة، أم الظّواهر الاجتماعية، أم من ظاهرة شُعُور

الإنسان باحتياجه لصلة نفسه مع جهة قادرة وقوية، تؤمن له الحماية والعناية، فيتولد عنده مظاهر التّدين، من تقديس وتعظيم، وخشية، ورغبة، ورجاء، ودعاء، والتّجاء، وتذلل، وخضوع، وحب، وكره، وخوف..الخ، وبما أنَّ النّفس هي نتيجة نفخة روحية، والرّوح هي العلم والمعرفة وأمر الله الشّرعي؛ الذي أنزله على الرّسل، تميل النّفس وتطلب الاتِّصال بالرّوح؛ لتحصل على التّوازن والاطمئنان النّفسي، إذ هي كائنٌ روحيٌ ابتداء، ولذلك يقول الفلاسفة: **إن الإنسان كائن متدين بالفطرة، والدِّين ضرورة نفسية له.**

3 ـ غريزة الاجتماع:

و تظهر هذه الغريزة في الإنسان، بميله إلى ضرورة العيش ضمن أسرة وانتماء إلى مجتمع؛ لأنَّ الإنسان ككائن عاقل، إنَّما هو من صنع المجتمع، ومن هذا الوجه يقول الفلاسفة: إن الإنسان كائن اجتماعي؛ وذلك لأنَّ الإنسان في المجتمع، يختزل الخبرات والتّراكمات المعرفية في شخصه، ويستمر في حياته بناء على هذه الجرعة الاجتماعية، ومن أهم ما يعطيه المجتمع للإنسان كفرد هو اللسان، ولذلك يقول علماء الاجتماع: إن اللسان ظاهرة اجتماعية؛ فالعزلة والوحدة والانطواء والرّهبنة، وما شابه ذلك من أمور، إنَّما هي أشياء مخالفة لغريزة الاجتماع في الإنسان، ومن ثم، يصيب الإنسان الذي يمارس هذه الصّفات، مرض نفسي، من اكتئاب، أو توحش من الناس، وعدم الاستئناس بهم، أو قلق واضطراب، وضيق يلازمه.

4 ـ غريزة التّنوع والتّغيير:

إن من طبيعة الإنسان في الحياة المعيشية، حبه للتّنوع والتّغيير في نمط حياته، سواء أكان الطّعام والشّراب، أم الملبس والمسكن، أم البلاد والعباد...الخ، فيسعى في حياته إلى كل جديد، يمتلكه أو يمارسه.

ولذلك نرى كثيراً من النّاس، يحبون المغامرات من تسلق الجبال، إلى التّزلج على الجليد ، إلى رمي أنفسهم من مكان مرتفع؛ بواسطة الحبل المطاطي، إلى القيام بأعمال خطيرة، من حركات بهلوانية رياضية بأجسامهم أو بالطّائرات، يسعون من وراء ذلك كله إلى إشباع غريزة التّنوع والتّغيير؛ ليصلوا إلى تحقيق التّوازن النّفسي والاطمئنان في حياتهم، من خلال إيجاد قيمة لأنفسهم، والحصول على التقدير من أنفسهم أو الآخرين، لأن التقدير للنفس مهم جداً لتوازنها .

أما **حاجات النّفس فهي : الكرامة والحُرِّيَّة**، وإشباعهما هو المحافظة عليهما - في الواقع - ومُمارستهما ، وأي تعدي عليهما ، إنَّما هو قتل معنوي لهما ، والإنسان الذي يُقْدَحُ في كرامته، وتُقَيَّدُ حريته يصير إنساناً مقتول النّفس، ويشعر أن حياته الجسمية لا معنى لها ، أو غير مهمة، وقد يقوم بالإقدام على إنهاء حياته الفيزيولوجية، وذلك بالانتحار .

وحاجة الكرامة في الإنسان، تظهر من خلال المُثُل العليا التي يحملها الإنسان، من قيم ومبادئ، فإذا تعرضت هذه القيم والمبادئ، إلى عملية الإهانة والاحتقار تعرض هذا الإنسان لعملية القتل النّفسي المعنوي؛ فلذلك ينبغي أن يتم تعديل القانون، بحيث يتناول الجرائم النّفسية التي يمارسها المجرم ضد الآخرين، فالقتل الجسمي، ليس بأكبر من القتل النّفسي، وطعن الإنسان في جسمه، ليس بأخطر من الطّعن في نفسه.

أما الحُرِّيَّة؛ فهي الأساس والحكمة، التي بموجبها خلق الخالق النّاس في الدّنيا ليبتليهم، فالابتلاء مُرتبط بالحُرِّيَّة، والمسؤولية والمحاسبة مُرتبطتان بالحُرِّيَّة، فالحياة هي الحُرِّيَّة، والحُرِّيَّة هي الحياة ومن يُعدم الحُرِّيَّة يُعدم الحياة.

وتظهر الحُرِّيَّة في واقع الإنسان بعدة أمور هي:

1. **حُرِّيَّة الاعتقاد والفكر.**
2. **حُرِّيَّة الرّأي.**
3. **الحُرِّيَّة الشّخصية.**
4. **حُرِّيَّة الملكية.**

وهذه الحريات الأربع، هي الحُرِّيَّة في معناها العام، وهي **منضبطة بالفكر الكلي عن الإنسان والكون والحياة**؛ وأي انتهاك لأحدها؛ فهو قتل وإرهاب نفسي لهذا الإنسان، يسبب عنده حالة القمع الدّاخلي، والانطواء على نفسه والانكماش والانسحاب من الحياة، فلذلك يبذل الإنسان حياته من أجل حريته؛ لأنَّ الحُرِّيَّة هي الحياة.

هذه هي الغرائز والحاجات، للكائن الرّحمادي، الممزوج بالطّاقة الحيوية (بشر) المنفوخ فيه من روح الله، التي نتج عنها النّفس (الإنسان).

الغرائز

البشرية

1 . **غريزة** النّوع.

2. **غريزة** البقاء.

عدم إشباعها يؤدي إلى فقدان التّوازن وهلاك الجنس

النّفسية

1 . **غريزة** التعلم.

2 . **غريزة** التّدين.

3 . **غريزة** الاجتماع.

4 . **غريزة** التّنوع.

عدم إشباعها يؤدي إلى الاضطراب والقلق وفقدان التّوازن النّفسي

الحاجات

العضوية للبشر

1. التّنفس والشّراب والطّعام والنّوم.

2 . إخراج الفضلات الزّائدة.

عدم إشباعها يؤدي إلى هلاك الفرد

النّفسية للإنسان

1 . الكرامة.

2 . الحرية.

عدم إشباعها يؤدي إلى القلق والاضطراب وفقدان التّوازن والموت المعنوي

الفطرة

قال تعالى : {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (الرّوم 30).

وقال : {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[1] (النّحل 78).

الفطرة: هي أصل ابتداء فعل الشيء، واستمراره على ما هو عليه (الشيفرة الجينية).

فعندما نقول: إنَّ النّاس على الفطرة، نقصد بقولنا، أن النّاس منسجمون ومتكاملون في حركتهم مع الوُجُود الحق، كونهم جزءاً من هذا النّظام الكوني، ويقومون بإشباع غرائزهم، وحاجاتهم وفق نظام روحي منسجم مع نفسهم وجسمهم.

فالفطرة عند الإنسان، هي الدّافع والمحرك الدّاخلي؛ لإشباع الغرائز والحاجات، بنوعيها البشري والنّفسي؛ بما يحقق له الانسجام والتّوازن والتّكامل مع الوُجُود الحق.

فغريزة التّعلم تدفع الإنسان إلى العلم فطرة، ويكون ذلك من خلال العملية الحنيفية، التي هي أساس في التّعلم، لأن انتفاء هذه العملية ينفي التّعلم، كون الحنيفية هي الميل المستمر نحو الحق، وهذا يقتضي وُجُود محور ثابت يمثل الحقيقة،

---

(1) نفي العلم لايعني نفي المعرفة، فيمكن للجنين الإنساني أن يتلقى بعض المعارف بعد أن يتم نفخ النفس في جسمه، وهذا يكون في الأسبوع الثامن تقريباً، فيتعرف على صوت أمه ودقات قلبها، ويميز بين الأصوات الخارجية، ويتأثر بها، لذا؛ ينصح الأطباء الأم في هذه المرحلة أن تكون هادئة، وتعيش في بيئة هادئة ، وتُسمع جنينها الموسيقى وتتكلم معه...ليكسب التوازن النفسي قبل ولادته.

وآخر متغير يمثل النّسبية، وانتفاء أحد المحاور في حركة الإنسان ينتج عنه انتفاء الحنيفية، ويترتب على ذلك الجمود والثّبات على التّخلف، وتتشوه الفطرة، أي أن من يتعامل مع كل شيء من منطلق المتغيرات؛ فإنه يثبت أيضاً على ما هو عليه من جهل وتخلف؛ لانتفاء حصوله على علم ثابت، يبني صرحه العلمي عليه، ومن ثمّ، فليس عنده شيء، يعتمد عليه في حياته، أو ينقله للأجيال اللاحقة.

فكلا الأمرين منفرد، الثّابت، أو المتغير نتيجتهما واحدة، الثّبات على الجهل والتّخلف والوقوف عند نقطة الصّفر؛ بمعنى آخر: الهلاك والفناء، لذلك كان من الفطرة التي فطر الله النّاس عليها، حركتهم في رحلة العلم بصُورة حنيفية (الثّابت والمتغير) وذلك للانسجام والتكامل مع حركة الوُجُود الموضوعي، القائم على نظام الحنيفية.

لذا، ينبغي على الإنسان أن يستمر في تحديث معلوماته ومفاهيمه، بما ينسجم، ويتكامل مع الوُجُود الموضوعي، الذي يتم اكتشافه وتسخيره تباعاً، وكل ذلك على منهج النّبي إبراهيم الحنيف: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (الأنعام 79)، وهذا دعاء نفتتح به صلاتنا كل يوم خمس مرات!.

فالتّعامل مع الوُجُود الموضوعي، بأحد المحورين، هو الشّرك المقصود بقول النّبي إبراهيم، إمام النّاس ﷺ لأن وُجُود أحد المحورين دون الآخر، يجعل الإنسان يؤمن بصفة الثّبات، ومن ثمَّ، يترتب على ذلك المفهوم، إنكار اليوم الآخر، والاعتقاد بديمومة الحياة إلى مالا نهاية {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} (الجاثية 24).

وإن كان المفهوم كذلك، فقد تفرغت القيم والمبادئ من محتواها، وهذا تصادم حقيقي ومُباشر مع فطرة الإنسان، والوُجُود الموضوعي.

والغرائـز في الإنـسـان مكملـة بعـضها بعـضاً، بـصُورة منـسجمة ومتناغمـة في صُورتها الكُلِّيَّة، لذلك كان التّدين فطرة، والابتعاد عن الدِّين مخالف للفطرة، كما أن غريزة الاجتماع والتّنوع، كلاهما أمر فطري، فالرّهبنة والانطواء والانعزال عن الحياة، وعدم الانتماء والولاء، هو أمر مخالف للفطرة، كما أن استمرار حياة الإنسان على نمط واحد في الطّعام أو اللّباس أو طبيعة الحياة ككل، أمر مخالف للفطرة، **فالتّجديد والتّحديث والتّغيير هو أمر فطري في الإنسان.**

هذه هي الفطرة: حركة الإنسان لإشباع غرائزه وحاجاته البشرية، والنّفسية، بصُورة منسجمة ومتكاملة مع حركة الوُجُود الحق، وأي تبديل أو تحوير أو إلغاء لأمر فطري، يترتب عليه فقدان التّوازن بين الإنسان والوُجُود الحق، الذي ينعكس على الإنسان، ويصيبه بحالة القلق والاضطراب، والمرض، وينتج عن ذلك العُصَابات اللامتناهية، التي تصيب النّفس وتجعلها تعيش في حالة الضّنك.

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } (طه 124).

قال النّبي الأعظم: (كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه).

لأنَّ الفطرة هي الاستعداد، والقابلية للانسجام، والتّكامل، مع الوُجُود الحق، ومن هذا الوجه كان الإسلام[1] دين الفطرة، بمعنى أنَّ الإنسان يحقق الانسجام والتّكامل مع الإسلام بصُورة متطابقة، كونهما قائمين على نظام واحد، الثّابت والمتغير (الحنيفية).

---

[1] **الإسلام هو: دين الله ﷻ، الذي بدأ نزوله مُنذ أوَّل نبي (نوح) وتم إكماله تاريخياً وجُمع بالقرآن، الذي احتوى كل ما يصلح ممَّا سبق نزوله.**

فكان الإيمان بالله الخالق، إيمان فطري في الإنسان، بمعنى أن ذلك الإيمان هو دافع نفسي وروحي، للوُصُول إلى الصّمد، والاتِّصال به، واللّجوء إليه، فيقوم العقل بالبرهنة على هذه العلاقة التّكاملية، ويثبت صواب حركة النّفس نحو بارئها، وبذلك يظهر الإيمان العقلي، إضافة للإيمان الفطري، فإن أخطأ العقل في تبيين هذه العلاقة، ووصل إلى ما يخالف الفطرة؛ فسرعان ما يظهر ذلك في نفس الإنسان، من قلق واضطراب وفقدان التّوازن، وعدم الانسجام ما بين فطرته، وما وصل إليه العقل، وينعكس ذلك على سُلُوكه في الحياة الاجتماعية؛ لأنَّ الأفكار والمفاهيم، ينبغي أن يكون لها مصداقية في الواقع، والفطرة هي أساس سابق عن الأفكار، والأفكار قائمة على الفطرة ولاحقة في وُجُودها للفطرة.

فالحكم حين الاختلاف ما بين الفطرة والعقل، إنَّما هو للفطرة، وتُصوب الدّراسة بما ينسجم مع الفطرة؛ لأنَّ الفطرة هي الأصل، الذي ينبغي على العقل أن يقوم بمعرفة العلاقة ما بين الفطرة والواقع، ويبرهن عليها دراسة وعلماً.

إن إنكار الفطرة، أو أمر منها في الإنسان، هو بمثابة إنكار وُجُود المحور الثّابت في الواقع؛ لأنَّ الإنسان جزءٌ لا يتجزأ من النّظام الكلي للواقع، وما ينطبق على الواقع ينطبق على الإنسان ضرورة، وحيث أن الواقع، قائم على محور الثّابت والمتغير من الذّرة إلى المجرة؛ فالإنسان بداهة ينبغي أن يكون في داخله محور ثابت ابتداء، والحركة في المحور المتغير - حسب محوره الدّاخلي الثّابت - متروكة لإرادة الإنسان وعقله، الذي هو الفطرة.

وهذا الكلام، يوصلنا إلى أنَّ الإنسان - في فطرته - يميل نحو الصّلاح والإيجابية في حياته، إن تُرك دون مؤثرات خارجية سلبية، والفساد والشّر، إنَّما هما أمران اكتسابيان من المجتمع، فليس هناك ما يسمى مجرم بالفطرة، وإنَّما الإنسان ابن بيئته، ومن ثمَّ، فالمجتمع يتحمل الوزر الأكبر، في إفساد الفرد مع عدم نفي المسؤولية عنه؛ لأنَّ الإنسان في سن الرّشد، يكيف سُلُوكه حسب مفاهيمه، فهو

ابـن مفاهيمـه وشـعوره ؛ لـذلك ينبغي على المجتمع - كمُؤسَّسات سلطوية وسياسـية وثقافية وتعليمية ودينية وفنيـة ... الخ - من الاهتمام بـصنع الإنـسان الصّالح الإيجابي ؛ وذلـك بوضـع منـاهج تعليميـة وثقافيـة ، تُرسـخ في الإنـسان مفـاهيم الخير والعـدل والجمال ، مستخدمة كـل الوسـائل الإعلاميـة ، وتوجيـه الفـن ليرسـخ هـذه المفـاهيم ، ويهذب الإنسان ؛ ليحافظ على فطرته السّليمة ، ويحقق الانـسجام والتّكامـل ، أثنـاء حركته في الحياة الاجتماعية .

وهذه الأمور ، لا يمكن أن تتحقـق في جو الاسـتبداد والاسـتعباد ؛ لـذلك أول أمـر ، ينبغـي فعلـه هـو محاربـة ثقافـة الاسـتبداد ، وخلـق مجتمـع إنـساني يقـوم علـى نظـام المُؤسَّسات الاجتماعية ، الـتي ينبغـي أن تغطـي كـل احتياجـات الإنـسان والمجتمـع ، نحـو مُؤسَّـسة المحافظـة علـى الفطـرة ، ومُؤسَّـسة المحافظـة علـى العقـل والـتّفكير ، ومُؤسَّسة المحافظة على النّفس ، على غرار مُؤسَّسة حماية البيئة ، ومُؤسَّـسة حمايـة المستهلك .

والذي ينبغي أن يتحقق أيضاً ، هو مُؤسَّسة حماية الطّالب ، لأن طالب العلم — في معظم المجتمعات العربية - هو أشبه ما يكون بمعتقل أو سجين ، في مـا يـسمى بمـدارس وجامعات ومعاهد ، يتعرض فيها لكل أنواع العنف والقهر النّفسي ، ولا تُوجـد جهـة يرجع إليها ؛ ليحتمـي بهـا وتحفـظ حُقُوقـه ، فكيـف نتـصُور سُلُوك هـذا الطّالـب ، بعـد تخرجه من المعتقل التدريسي ! .

إن العلاقـة مـا بـين الفطـرة والواقـع ، أمـر غائـب عـن أكثـر النّـاس ؛ مـا يُـؤدِّي إلى اضطرابهم ، وقلقهم ومعيشتهم الضّنك ، ومن هـذا الوجـه ؛ تظهـر أهميـة دور العلمـاء والمفكـرين والمـثقفين ، في تبـيين الفطـرة للنّـاس ، ومـساعدتهم في فهـم أنفـسهم ، وعلاقتهم بالواقع ؛ ليصلوا إلى الانسجام والتّكامل ، ما بين فطرتهم والواقع ، ويحصلوا على التّوازن النّفسي ، ويعيشوا في سعادة ، ووئـام ، ومحبـة ، وسـلام ، في مـداراتهم المتغيرة وَفق المحور المركزي الثّابت .

إذاً، الإنسان الفطري، هو الإنسان الذي يقوم بإشباع غرائزه، وحاجاته البشرية والنّفسية، بنظام روحي (العلم، وشرع الله) حسب أرضيته المعرفية.

أما الإنسان الذي لا يُشبع غريزة التّعلم، أو التّدين أو غيرها، ويظل ينمو في الحياة فيزيولوجياً، إنَّما هو إنسان بدائي متوحش، وليس فطرياً؛ لأنَّ التّعلم فطرة، وعدم التّعلم تخلف، ونكوص إلى الحياة البشرية البدائية، وكذا التّدين فطرة، والإنسان الذي يعيش دون دين، هو إنسان في الصّورة فقط، وتنتفي عنه صفة الفطرة، ويوصف بالإنسان البدائي (البشر)، **فالتصديق بوجود خالق للكون فطرة، والإيمان به حرية.**

أساس الفكر الإنساني

إن الإنسان كائن روحي، وغريزة التّعلم، شيء منغرز فيه، وتظهر من خلال عرض ثلاثة أسئلة بصُورة مستمرة، وهي: كيف، لماذا، أين ؟

ويوجه هذه الأسئلة ـ أول ما يوجهها ـ لوُجُوده وعلاقته بهذا الوُجُود؛ فيسأل: كيف وجدت؟ ولماذا وجدت ؟ وأين أذهب بعد الموت ؟.

والجواب عن هذه الأسئلة الثّلاثة، هو الذي يحدد علاقات الإنسان، التي هي:

1 ـ علاقة الإنسان بما قبل الحياة والعكس.

2 ـ علاقة الإنسان بالحياة والعكس.

3 ـ علاقة الإنسان بالكون والعكس.

4 ـ علاقة الإنسان بما بعد الحياة الدّنيا والعكس.

ويجعلُ الجوابَ الذي يصل إليه، القاعدةَ الفكريةَ والأساسَ، الذي يبني أنظمته عليه، ويكيف سُلُوكه ـ فرداً ومجتمعاً ـ بحسبها.

والفكر الذي يصل إليه الإنسان، ينبغي أن يشبع غرائزه، وحاجاته البشرية، والنّفسية؛ لأنَّ الفكر الذي يفصل الدِّين عن الحياة، ويهمله، هو فكر مشوه؛ لأنه أهمل غريزة التّدين، والفكر الذي يقوم على إلحاد وُجُود الخالق، أو إنكار ربوبيته، كتدبير وعناية للخلق، هو فكر يخنق النّفس، وذلك عندما يمنعها من أن ترتقي وتتصل بأصلها الرّوحي، والفكر الذي يقوم على الاستبداد والاستعباد، هو فكر هابط إلى المستوى البهيمي؛ لأنه يقمع الحُرِّيَّة ويقدح في الكرامة، وهما حاجات نفسية ضرورية لاستمرار حياة النّفس.

إذاً، الفكر ينبغي أن يقوم على إشباع الغرائز والحاجات بنوعيها، البشري والنّفسي، إشباعاً يحقق لها التّوازن، والاطمئنان، والاستقرار، والانسجام مع المنظومة الكونية (آفاق وأنفس).

و الفكر هو ثمرة ونتيجة للتّفكير، والتّفكير هو انفتاح على الواقع ودراسته للوُصُول إلى الحقيقة، والحقيقة تعرف من خلال قيام البرهان عليها أنها كذلك، فليس كل تفكير ينتج عنه فكراً، فالفكر المخالف لما عليه الإنسان من غرائز وحاجات، هو فكر مخالف للواقع، وهو هابط، لا يستحق أن يسمى فكراً؛ **فحتَّى نسمي الفكر فكراً؛ ينبغي أن يتعرض لإيجادِ حلٍ، وأجوبةٍ عن الأسئلة الثّلاثة، حلاً يقنع العقل من خلال البرهان، ومطابقة الأفكار للواقع، من حيث قيامها على الثّابت والمتغير، ويحقق الإشباع الكامل المنظم، لغرائز وحاجات الإنسان - بنوعيها البشري والنّفسي - ويحقق التّوازن والاطمئنان والاستقرار، حين التّطبيق والمُمارسة على أرض الواقع، لأنَّ القيمة الحقيقية هي للنّتائج.**

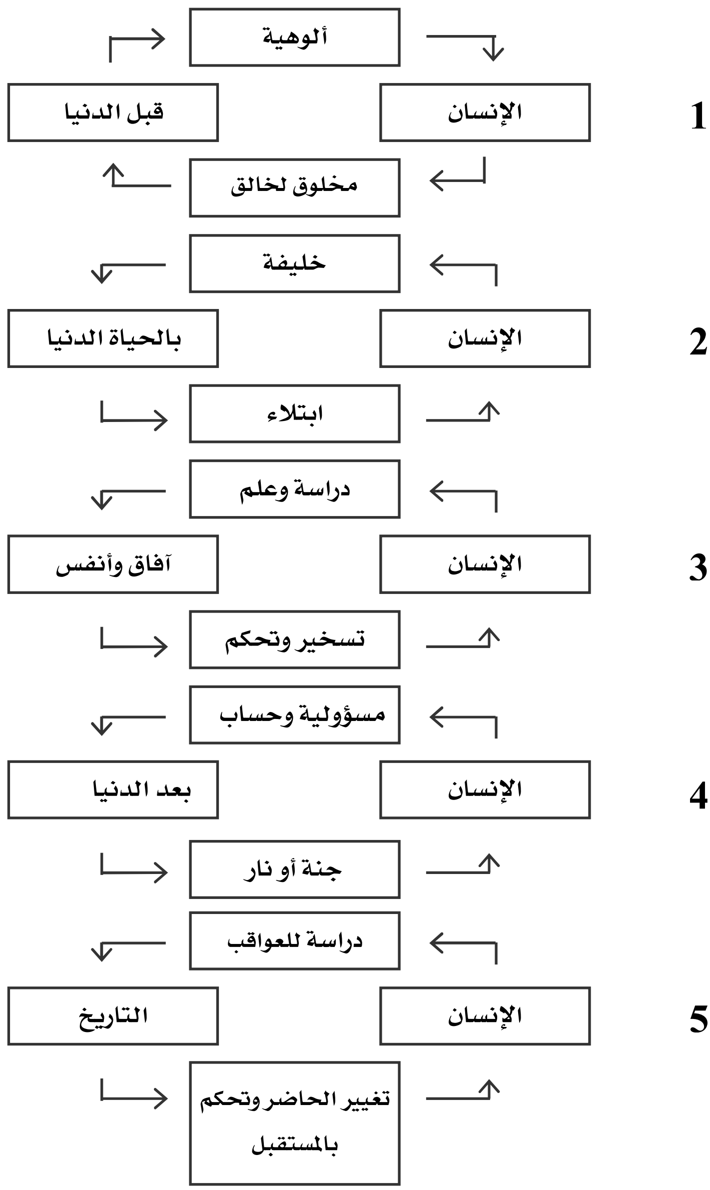
إذاً؛ مقياس صواب الفكر هو:

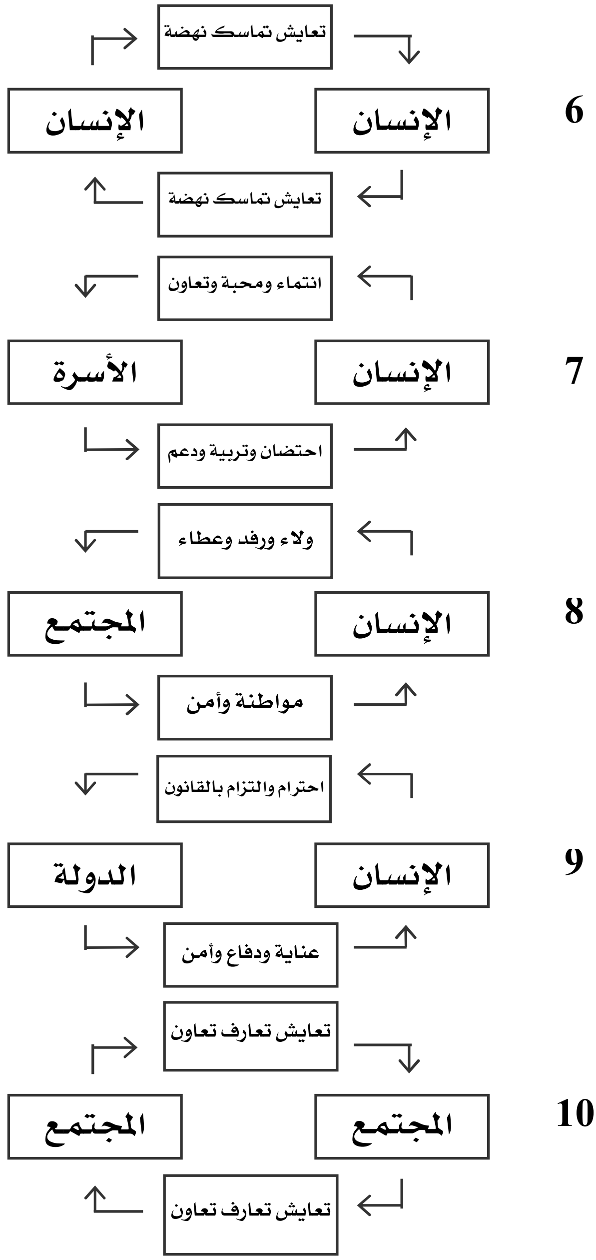
1. الانسجام مع الفطرة الإنسانية (الجسمية، والنّفسية).

2. اقتناع العقل من خلال مطابقة الأفكار للواقع والبرهان على ذلك.

3. حصول التّوازن والاطمئنان؛ نتيجة ممارسته على أرض الواقع.

العلاقات الفكرية للإنسان بالوجود الموضوعي




تعايش تماسك نهضة
6
الإنسان
الإنسان
تعايش تماسك نهضة
انتماء ومحبة وتعاون
7
الإنسان
الأسرة
احتضان وتربية ودعم
ولاء ورفد وعطاء
8
الإنسان
المجتمع
مواطنة وأمن
احترام والتزام بالقانون
9
الإنسان
الدولة
عناية ودفاع وأمن
تعايش تعارف تعاون
10
المجتمع
المجتمع
تعايش تعارف تعاون

الفصل الثالث

1- القلب والفؤاد
2- الفرق بين الفقه والعلم
3- العقل (يعقلون)
4- التّفكير (يتفكرون)
5- محل تعلق فعل التّعقل والتّفكر
6- عملية التّعقل والتّفكير ونشأة اللسان

القلب والفؤاد

قد عرفنا - سابقاً - أنَّ ظُهُور النّفس في الكائن البشري بسبب النفخ فيه من الروح، التي صار بها إنساناً، والوُجُود الواعي إنَّما هو للنّفس وليس للجسم، كما أنَّ النّفس خالدة (سرمدية) والجسم فان متحول، والنّفس لأنها تشبه نظاماً برمجياً معلوماتياً فقد تموضعت في الدّماغ، وظهرت من خلال قيادة حركة الإنسان، وسُلُوكه.

والنّفس الموجُودة في الكائن البشري هي التي ميزت الكائن البشري عن الآخر؛ التي حددت معالم شخصيته، وهي التي تحفظ المفاهيم، والمعلومات التي تدخل إليها عن طريق استخدام الدّماغ والحواس الخمسة، كنوافذ تطل من خلالها على العالم الخارجي، وهذا يعني أن أي تلف في الدّماغ أو موته؛ لا ينتج عنه أي تأثير على ذهاب المفاهيم أو المعلومات من النّفس؛ لأن هذه الأمور محفوظة في النّفس ملازمة لها، والذي يحصل أنَّ الإنسان يفقد عملية الاتِّصال ما بين نفسه، ومحل ذلك من الواقع من جراء عطل في الدّماغ، أما إذا مات الدّماغ كلياً فإنه يفقد الاتِّصال كله، وتضطر النّفس إلى مغادرة هذا الدّماغ.

ولو كانت المفاهيم والمعلومات، تُحفظ في الدّماغ لأمكن في المستقبل الدّخول إلى الدّماغ، وإفراغ ما فيه على شريحة إلكترونية، ولكن المعلومات والمفاهيم، تُحفظ في مركز داخل النّفس، لا يمكن الوُصُول إليها.

إذاً، الدّماغ هو محل تموضع النّفس، ومن خلال استخدامه؛ تتم عملية الإرادة والإدراك والفقه والتّعقل والتّفكير.... الخ، وهو مركز لظُهُور الشّهوات والشعور، لذا، نلاحظ أن حياة الإنسان مرتهنة باستمرار حياة الدّماغ.

ومعرفة النّفس هذه، وتموضعها في الدّماغ، يُعيد - أيضاً - دراسة مسألة القتل الرّحيم، الذي هو إنهاء استمرار حياة الكائن الحي، الذي فقد عملية الاتِّصال كلياً -

مع الواقع ـ بسبب تلف في الدّماغ، أو عطل دائم فيه (حياة نباتية) إلى طاولة البحث والنّقاش؛ لأنَّ النّفس تكون قد غادرت هذا الجسم، أو مترددة بين الذهاب والإياب، وبقي الجسم كائناً حياً فيزيولوجياً فقط.

وكذلك في عملية إسقاط الجنين، (وأول ما يظهر من أثر للنفس فيه هو تفاعله مع الأصوات بصورة واعية) ينبغي تحديد العمر الزّمني، الذي يتم فيه تسوية وتعديل جسمه، لأنَّ النّفس تُنفخ في الجنين في آخر مرحلة التّسوية والتّعديل (الأسبوع الثامن)، أما قبل ذلك، فهو كائن حي يتشكل دون نفس، ومن ثم، فلا حرمة له، مثله كمثل أي جنين آخر من الكائنات الحية.

وهذا الدّماغ الذي تموضعت فيه النّفس، سماه الخالق قلباً؛ قال تعالى:

{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } (الأعراف 179).

نلاحظ أنَّ القلب، والعين، والأذن، لا تتم فيهم عملية الفقه والسّمع والبصر، وإنَّما تتم بهم، والفرق بين دلالة (في) ودلالة (بـ) كبير، إذ الأولى تدل على الظّرفية، والأخرى تدل على الاتِّصال والإلصاق.

وهذا الأمر معلوم، فالسّمع لا يتم في الأذن، وإنَّما يتم بالأذن؛ أي يتم استخدام الأذن، كوسيلة لنقل الأصوات إلى مركز تموضع السّمع، فيتم عندئذ قراءة الموجات الصّوتية، وكذلك القلب والعين، وهذا يدل على أن هذه الوظائف الثّلاث: الفقه والسّمع والبصر؛ إنَّما تحدث في النّفس المتوضعة في الدّماغ، ومن ثم، فلا يصح القول، أنَّ السّمع وظيفة الأذن؛ لأنَّ وظيفة الأذن نقل الإحساس بالأصوات، فهي حاسة نقل، ليس إلاّ.

وهكذا باقي الحواس، و قد ذكر الخالق للقلب ـ في القرآن ـ فعلين يتمان بوساطته، وهما: **الفقه، والتّعقل**، قال تعالى:

{لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا} (الأعراف 179).

{ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } (الحج 46).

وكما هو ملاحظ في النّصين، أنَّ المستخدم هو حرف (الباء) الذي يدل على الاتِّصال والإلصاق، ما يُؤكِّد أن فعلي الفقه والتّعقل، لا يَتُمّان في القلب، وإنَّما بوساطة القلب، وهذا يدل على أنَّ الذي يقوم بالفعلين؛ إنَّما هو النّفس، فهي المسيطرة ولها القيادة.

قال تعالى: {مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ } (الأحزاب 4).

أي ما جعل الله للكائن الإنساني، مركزين للقيادة والإدارة في جوفه، فكل إنسان له نفس واحدة، تقود دماغه.

وكلمة (رجل)[1] يقصد بها الإنسان (ذكر أو أنثى) الفاعل في الحياة الاجتماعية، فالقلب إذاً، هو اسم للدّماغ إذا تمركزت النّفس فيه؛ ومن هذا الوجه، نلاحظ أنَّ التّوائم الحقيقية، متطابقة في الصّورة الجسمية، ولكنهم مختلفون من النّاحية النّفسية، بقدر معين مع أنهم يعيشون في الظُّرُوف البيئية ذاتها - غالباً - التي تصنع شخصياتهم.

وبناء على ما سبق؛ نفهم جميع الآيات القرآنية، التي تناولت كلمة (القلب) نحو قوله: { وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ } (آل عمران 159).

أي لو كانت نفسك ذو طباع سيئة، من فظاظة وغلظة في التّفكير؛ لانفض النّاس من حولك، ولكن برحمة من الله لنت لهم، وكنت رحيماً لطيفاً صبوراً متفهماً لظُرُوفهم، تخاطبهم حسب ما يعقلون.

قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (الشعراء 88-89)

أي أتى اللهَ بنفس تفكيرها سليم، قائمة على مفاهيم الخير والحق والصّلاح.

وقال: {مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ } (النّحل 106).

---

[1] راجع كتابي (القرآن بين اللُّغة الواقع) للتّوسع في تعريف كلمة (الرّجال والنّساء).

لقد ذكرت سابقاً ، أنَّ الإيمان والكفر هما من صفات النّفس، ولقد ذكر الله القلب مشيراً إلى الدّماغ المتموضعة فيه النّفس، لأنَّ الإكراه لا يمكن أن يكون للنّفس ـ أبداً ـ لعدم قدرة أحد من الوُصُول إليها ، ولكن يمكن أن يصل الإنسان المستبد إلى أذى الجسم، والدّماغ منه، فرخص الخالق للحفاظ على حياة الدّماغ والجسم، من أن يستخدم الإنسان حواسه وجسمه في سُلُوك أعمال كفرية – بشرط أن لا تتعلق بحياة الآخرين والضّرر بهم– لينقذ نفسه، ويحافظ على وُجُودها في الحياة، عن طريق الحفاظ على الجسم بشرط أن يبقى مطمئن القلب (النّفس)

قال تعالى : { وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ } (الأحزاب 51).

{ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ } (البقرة 225).

{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ } (البقرة 74).

فجميع الآيات التي تناولت القلب، يقصد بها الدّماغ المتموضعة النّفس فيه، وسياق النّص يحدد الجانب ـ مِن النّفس ـ الذي يتعلق به المقصد، هل هو الجانب العقلي، أو الإرادي، أو الإدراكي، لا تخرج ولا آية عن هذا المعنى.

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } (محمد 24).

الفؤاد مركز نفسي

إنَّ السّمع والبصر، هما مركزان في النّفس، يتصلان بالواقع من خلال الأذن والعين والدّماغ، ولقد تم ذكر الفؤاد معهما، في قوله تعالى:

{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } (السجدة 9).

{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً } (الإسراء 36).

وهذا يدل على أنَّ الفؤاد، مركز في النّفس؛ فماذا تعني كلمة الفؤاد ؟

الفؤاد من فأد، ودلالة أحرفها هي:

ف: يدل على فتح خفيف، منضم.

أ: يدل على ظهور، وقطع خفيف.

د: يدل على دفع شديد.

انظر مثلاً كلمة (فأر) تدل على فتح وفتور، وجاءت الهمزة فأعطت للفتح والفتور، ظهوراً وقطعاً خفيفاً، وجاء حرف الرّاء؛ ليحرك هذا الظهور المنقطع، بحركة مستمرة مكررة، ومن هذا الوجه لاحظ العرب تحقق هذه الدّلالات بحيوان الفأر، فأطلقوا عليه اسم (فأر) لأنه يتحرك بفتور وخفة، فإذا أحس بخطر، أوقف هذه الحركة برهة من الزّمن؛ ليسارع بعدها في عملية الفرار لا يقف قط.

وكذلك دلالة كلمة (فأد) جاء حرف الدّال، ليعطي الظهور والقطع، دفعاً شديداً، وسُمي الفؤاد فؤاداً؛ لأنه ينفتح لدُخول المعلومات إليه، ثم يظهر هذه

الحركة بصُورة خفيفة، برهة من الزّمن، ليعود بشدة دافعاً نتيجة قراءته للمعلومات وحكمه على الشّيء.

قال تعالى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (القصص 10) أي لم تستطع أم موسى استيعاب ما يجري من الأحداث، وأصابها العجز عن اتِّخاذ الموقف المناسب والثّبات عليه، وحصل اضطرابٌ ما بين الفؤاد والدّماغ؛ قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} (الفرقان 32).

أي لنثبت عملية دُخُول المعلومات، وإدراكك لها، ثم تستوعبها وتستحضرها ـ حين اللّزوم – إضافة إلى أن استمرار نزول الآيات بصُورة مُفَرَّقة، يترتب عليه استمرار الاتِّصال، وهذا ينتج عنه الاستقرار والتّوازن والقوة للنّفس، ومن خلال ما ذكرت من النُّصُوص، نعلم أنَّ الفؤاد مركز له جوانب متعددة وهي:

1- **الإدراك**: ودل على ذلك قوله تعالى: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} (النجم 11).

2 ـ **الإرادة**: ودل على ذلك قوله تعالى: { فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ } (إبراهيم 37).

3 ـ **التّمييز**: ودل على ذلك قوله تعالى: { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً } (الإسراء 36).

4 ـ المفاهيم، والمعلومات، والشعور، قال تعالى:

{الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ} (الهمزة 7).

هذا هو الفؤاد في النّفس، مركز متعدد الوجوه، مسؤول عن قيادة وإدارة النّفس، وقيادة الدّماغ.

ويصير الفؤاد - في الواقع - هو القائد والمدير للنّفس، ويتموضع في دماغ الإنسان ليقوده، وينفذ من خلاله متطلباته ورغباته، وذلك من خلال السّيطرة والهيمنة على الدّماغ، الذي بدوره يدير الجسم وفق قيادة الفؤاد له؛ **فالوُجُود الواعي هو للنّفس، وليس للجسم، أي للفؤاد، وليس للدّماغ.**

إذاً، القلب هو وصف للفؤاد؛ عندما يتموضع في الدّماغ، وأيضاً وصف للدّماغ المتموضع فيه الفؤاد، ولا يُسمى الواحد منهما منفرداً قلباً.

فبالقلب يكون التّعقل والفقه، وهذه العملية، لا يمكن أن يقوم بها الفؤاد منفرداً، لأن هاتين العمليتين مُرتبطتان بالواقع، والتّفاعل معه والإحساس فيه، وهذا لا يتأتى للفؤاد أن يقوم به وحده، فهو بحاجة إلى الوسيط الذي هو الدّماغ والحواس الخمس.

كذلك لا يمكن للدّماغ أن يكون وسيطاً يتم به التّعقل والفقه؛ لولا وُجُود الفؤاد، الذي يتلقى هذه الإحساسات منه، ويقوم بقراءتها وإدراكها والحكم عليها.

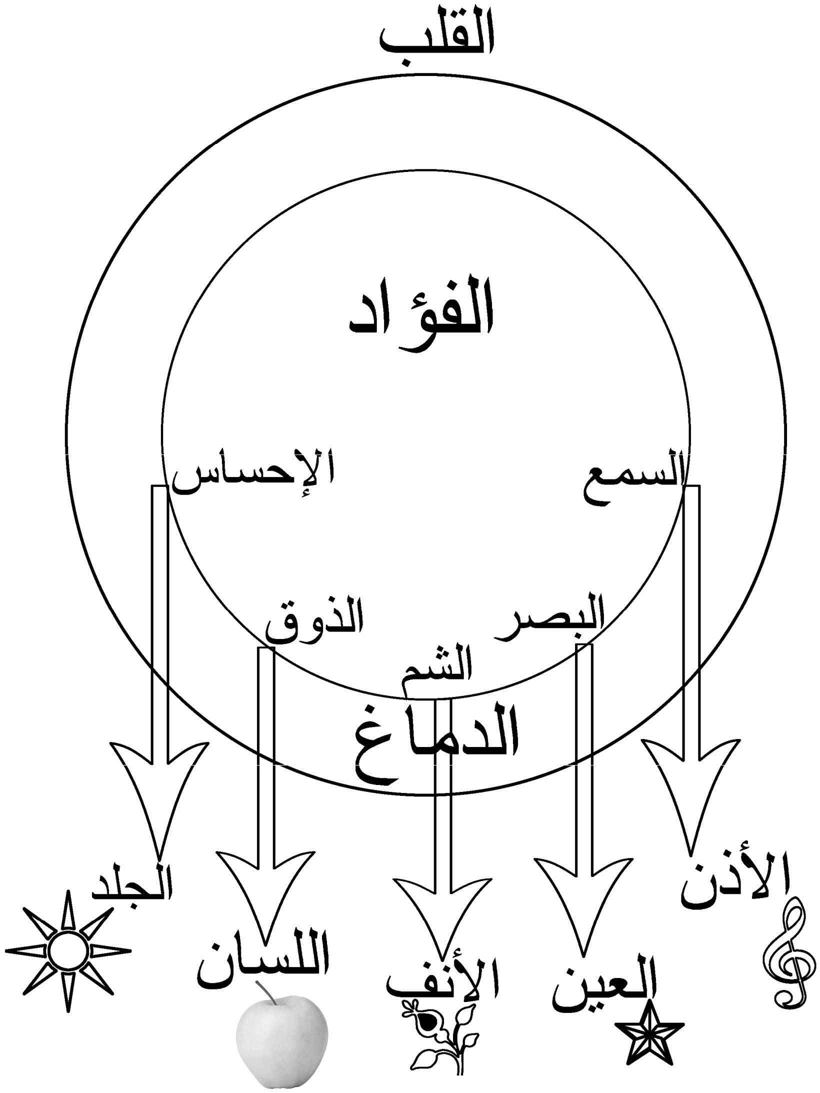
فحتَّى يسمى الدّماغ قلباً، ينبغي أن يكون الفؤاد متموضعاً فيه، وكذلك بالنّسبة للأذن والعين، فحتَّى يصيرا أداة يتم بهما السّمع والبصر؛ لابُدَّ من وُجُود الفؤاد، الذي يقوم بتلقي هذه الإحساسات عن طريق الدّماغ فيقوم بقراءتها ويسمع ويبصر.

فإذا اختفى الفؤاد، وانعدم في الواقع؛ نحو وُجُود أدمغة وآذان وأعين الحيوانات، صارت هذه الأعضاء منفعلة غريزياً، فالدّماغ يصير مركزاً لتلقي الإحساس، وينفعل به غريزياً، دون وعي وإدراك لما يحصل، والأذن والعين يصيران مجرد أداة ناقلة، أو لاقطة للإحساس بالأصوات والصّور، وهكذا باقي الحواس؛ فالحيوانات لا

تسمع، ولا تبصر، ولا تعقل؛ لعدم وُجُود نفس لديها ، ومن ثمَّ ، فلا يُوجد في دماغها فؤاد متموضع فيه، يقوده ويُفَعِّلهُ، لذا، لا يُوجد عند الحيوانات قلب.

القلب = دماغ + فؤاد

{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}(الأعراف 179).


القلب
الفؤاد
الإحساس
السمع
الذوق
البصر
الشم
الدماغ
الجلد
اللسان
الأنف
العين
الأذن

الفرق بين الفقه والعلم

إن كلمة (فقه) لم تأت في الاستخدام القرآني إلا بصيغة الفعل(يفقهون)، وهذا يدل على أنَّ القرآن، لا يُعطي قيمة، إلا للجانب الفاعل، ويُعرض عن الأسماء، ولا يبحث فيها.

قال تعالى: {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى } (النّجم 23). وقال: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (النّحل 32).

فعلى أيِ شيء تدل كلمة (فقه) ؟

إن كلمة (فق) ضدها مبنى ومعنى كلمة (قف)، التي تدل على قطع شديد منته بفتح خفيف منضم؛ فتكون دلالة كلمة (فق) ضرورة تدل على فتح منقطع، وزيادة حرف في آخرها، لا يغير دلالتها، وإنَّما يزيد عليها ويوجهها نحو جهة معينة، وحرف (الهاء) يدل على التّأرجح الخفيف، ما يُعطي لدلالة كلمة (فق) حركة التأرجح - في الواقع - فتصير (فقه) بمعنى الدّراية للشّيء، والفهم المُباشر له بصورة احتمالية.

اقرأ قوله تعالى:

1-{وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۞يَفْقَهُوا قَوْلِي } (طه 27 ـ 28).

2 ـ{قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ } (هود 91).

3- { فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً } (النّساء 78).

4- {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } (التّوبة 122).

أي لولا قام نفرٌ منهم وبادروا ؛ ليفهموا أمور الدِّين الأساسية، من عقيدة، وعبادة، وأحكام اجتماعية، والحرام والحلال، والواجب ؛ لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

فعملية الفقه، هي عملية تواصل وتعامل مع النّاس ـ مُباشرة ـ من المتكلم إلى المخاطب أخذاً وعطاءً ؛ ليتم التّفاهم فيما بينهم، وهذا لا يدل بالضرورة على صواب الأمر الذي هو محل للفقه، فالحكم عليه بالصّواب أو الخطأ، أمر يرجع إلى العلم، فما هو العلم ؟

العين :ع : تدل على العمق.

اللام : ل : تدل على حركة متصلة بطيئة لازمة.

الميم : م : تدل على جمع متصل.

ومن خلال تركيب الأحرف مع بعضها، نلاحظ أن دلالة كلمة (عَلِمَ) تأخذ معنى الأمر الذي يحدث في العمق، بصُورة منسجمة ومتواصلة مع بعضها دون انقطاع لتصل إلى تركيب شيء واحد متماسك وثابت.

ومن هذا الوجه، ظهرت صُور استخدام كلمة (علم) في الواقع ؛ فنقول : علامة ومَعْلَمْ وعَلَمْ.... الخ، للأمور التي تكون أثراً ثابتاً، وتستخدم لتوجيه وإرشاد وبناء غيرها عليها.

يقول الأستاذ محمد عنبر : (وفي كل هذه الصّور يتجلى الوضوح والتّمييز والثّبات في العلم، ويظهر الاضطراب هنا وهناك، والإسراع وعدم الاستقرار في الملع)[1] .

---

(1) جدلية الحرف العربي، ط دار الفكر ص 428.

إذاً، العلم هو السّير في الأرض (دراسة)؛ لمعرفة كيف بدأ الخلق، وإلامَ آل، وتتبع هذه الحركة (الكيف)؛ للوُصُول إلى اكتشاف السّنن التي تحكمه (الرّوح)، ومن ثمّ، يتمكن الإنسان من التّنبؤ بحركته القادمة، وتسخير ذلك لمصلحة الإنسان، وذلك على صعيد الآفاق، أما على صعيد الأنفس؛ فالتّاريخ الإنساني، هو المخبر الموضوعي لدراسة القيم والأخلاق والأحكام، المتعلقة بالإنسان والمجتمع، وذلك من خلال النّظر إلى عاقبة الأمور، التي آلت إليها الأقوام في رحلة الحياة، انظر قوله تعالى:

1- {قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (الأنعام 11).

2- {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} (النّمل 69).

3 - {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ} (العنكبوت 20).

ولذلك أمر الله النّاسَ بالعلم؛ فقال جل شأنه: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ} (محمد 19) ولم يقل افقه لأن مسألة أحدية الله بحاجة لدراسة ولا يمكن إدراكها بالمعرفة، وكذلك لم يسم الله نفسه فقيهاً ،وإنما سمى نفسه عليماً.

وهذا الأمر بالعلم، إنَّما هو أمر للسّير في الأرض، ودراسة كيف بدأ الخلق، ومن جراء ذلك تصلون إلى تسخير الخلق لكم، والتّنبؤ بحركته من خلال اكتشاف السّنن التي تحكمه (الرّوح)، التي لا تتغير أو تتبدل، ومع هذه الرّحلة الكيفية، تصلون تباعاً إلى أنه لا إله إلا الله، الخالق المدبر كضرورة علمية، وحقيقة موضوعية، وثمرة لرحلة العلم.

ولذلك قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء} (فاطر 28). **فالعلماء هم ورثة الأنبياء؛ بالعلم والدّعوة والعمل لخير النّاس وصالحهم**، وهذا التّفريق بين دلالة كلمة (فقه) وكلمة (علم)، ضرورة علمية واجتماعية، وذلك حتَّى نضع النّقاط على

الحُرُوف، فالفقهاء، ليس لهم أي رأي في الأمور المتعلقة بكيف بدأ الخلق، من الكون والإنسان والأرض والحيوان والنّبات..... الخ؛ سواء أكان ذلك الفقيه معاصراً، أم كان من فقهاء التّراث الإسلامي، وأي كتاب فقه، أو تفسير، يتعرض لهذه المسائل، يُهمل رأي كاتبه، ولا يُعتد به؛ سواء أكان من الخلف، أم من السّلف، أم ممن عاصر نزول الوحي.

وكذلك، كل من يحفظ المعلومات، ويأخذ الشّهادات في ذلك، فليس هو أكثر من ببغاء يردد ما حفظ دون وعي وإدراك، أو مشاركة في البحث والدّراسة، و **الذي ينبغي أن يُعتد برأيه، ويُعتمد عليه، ويؤخذ على محمل الجد والاحترام، هو الرّأي المبني على السّير في الأرض (العلم)**، ولا يهمنا جنسية هذا الإنسان، أو توجهه الفكري؛ لأنَّ العلم لا يُحابي أحداً، ومعه دائماً شاهِدا عدل نزيهان، وهما الآفاق والأنفس.

(كل عالم فقيه، والعكس غير صواب)...

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (فصلت 53).

العقل (يعقلون)

عقل: العين والقاف واللام، أصل صحيح، يدل على حبس ومنع؛ ومن ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل، مقاييس اللُّغة.

فالملاحظ في الثّقافة العربية، أنَّ دور العقل ينحصرٌ في منع وحبس الإنسان من الانزلاق في الرّذيلة، وسوء الأخلاق، ودفع صاحبه إلى المروءة ومكارم الأخلاق، **فالعقل في الثّقافة العربية، هو مجرد أداة أخلاقية**، وعلى ذلك درجت الثّقافة الإسلامية؛ متأثرة بالوسط العربي، إذ أن الثّقافة العربية، هي الوسيط والنّاقل، والحامل للثّقافة الإسلامية؛ فحينما نزل القرآن عربيَ اللسان، تأثر تفسيره وفهمه بثقافة العرب واستخدامهم للسان، وانتشر الإسلام - وفق الصّورة التي فهمها المجتمع الأول - إلى المجتمعات الأخرى، وتأثرت المجتمعات الأخرى بالمجتمع الذي نزل عليه القرآن، وعُدَّ المجتمع الأول - بسبب نزول النّص القرآني عليه، ونطقه باللسان العربي بصُورة فصيحة - معياراً لفهم النّص القرآني، ومن هذا الوجه، وُلدت التيارات السّلفية داخل الثّقافة الإسلامية، وعلى الرغم من التنوع والاختلاف الظاهر، فيما بينهم؛ فلا يَعْدِمُ - كلهم - من إيجاد سلف، قال بقولهم وهم تبع له؛ لأنَّ المجتمع الأول حوى كل البذور التي تم استنباتها فيما بعد، بمدارس ثقافية وحركات سياسية،. **فالثّقافة العربية قبل الإسلام، لم تنقرض، وإنَّما توقفت برهة من الزّمن، نتيجة ولادة الثّقافة الجديدة الممثلة بالإسلام، فانكمشت على نفسها، ولاسيما في صدر الإسلام بعهد النّبوة، ولكن فيما بعد، دخلت في الثّقافة الإسلامية، وظهرت كوسيط، وأداة معرفة وتفكير، فُهِم الإسلام بموجبها وعلى ضوئها، بل وأخذ جانب التّصنيف والتّقعيد للعُلُوم الإسلامية، صفة الاعتماد عليها**، وظهر ذلك - بصُورة واضحة وجلية - في كتاب (الرّسالة) في أصول الفقه، للشّافعي، وكتاب

(الكتاب) في اللُّغة لسيبويه، وغيرها من الكتب والأبحاث الأولى، التي صُنفت مبكراً في تقعيد العُلُوم.

إذاً، ينبغي ـ أولاً ـ أن نعرف المعنى والدلالة، لكلمة (العقل) في الاستخدام القرآني ؟

نلاحظ، من خلال تتبع كلمة (العقل) في النّص القرآني، أنها جاءت بصيغة فعل (يعقلون، تعقلون، نعقل...) ولم تأت ـ قَط ـ بصيغة اسم؛ ولهذا دلالة في النّص القرآني، ينبغي التّنبه لها، انظر ـ مثلاً ـ قوله تعالى:

1 ـ {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } (الملك 10).

2ـ {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ } (الأنفال 22).

3 ـ {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (البقرة 242).

قد يقول قائل: إن القرآن نزل عربي اللسان، وَفق نظامه وقواعده؛ فهل يمكن أن يحصل خلاف بينهما ؟.

والجواب: **إنَّ القرآن نزل عربي اللسان، ولم ينزل قومي الثّقافة**؛ بمعنى أنَّ النّص القرآني تقيد بنظام اللسان العربي، ولم يتقيد باستخدامات الصّور، والدّلالات، التي تم اختيارها من اللسان العربي حسب الأدوات، والمستوى المعرفي المتاح للمجتمع الذي نزل عليه القرآن وذلك لأنَّ النّص القرآني نزل ـ ابتداءً ـ عالمي َالانتشار، إنسانيَ المحتوى، مستمراً في الزّمان، ولم ينزل للعرب والمجتمع الأول فقط، بل نزل على المجتمع العربي الأول، إلى العرب خاصَّة، والنّاس عامَّة.

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (سبأ 28).

{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ } (آل عمران 19).

وهذا يدفعنا إلى دراسة دلالة كلمة (عقل) في اللسان العربي، ثمَّ ندخل إلى عمق النّص القرآني.

إن ضد كلمة (عقل) مبنى ومعنى، كلمة (لقع)، وقديماً قيل: وبضدها تتبين الأشياء، فماذا تعني كلمة (لقع) ؟

لقع: كلمة تدل على رمي شيء بشيء وإصابته به، مقاييس اللُّغة.

فنلاحظ، أن نهاية كلمة (لقع) هي بداية كلمة (عقل) والعكس صواب، ما يؤكد، على أن مدلول كلمة (لقع) ـ في الواقع ـ يبدأ حيث ينتهي مدلول كلمة (عقل)؛ إذاً، لابُدَّ من أن نحلل دلالة أحرف كلمة (عقل).

ع: تدل على العمق.

ق: تدل على انتهاء ووقف وقطع شديد.

ل: تدل على حركة بطيئة متصلة لازمة.

ومن خلال معرفة دلالة الأحرف ـ في الواقع ـ تعالوا لنطبق ذلك على كل من دلالة كلمة (عقل) و (لقع) ؟

نلاحظ، أن كلمة (عقل) عندما بدأت بحرف (العين) أخذت فعل العمق، وعندما جاء بعدها حرف (القاف)؛ أعطى فعل العمق، وقفاً لحركته بصُورة شديدة، وجاء حرف (اللام)؛ ليحرك الفعل بهدوء متواصل، وفق القطع والوقف الذي تم، وإذا عكسنا تموضع الأحرف (لقع)، نلاحظ أنَّ العملية، تنعكس – في الواقع – من حيث ابتداء الكلمة بحرف (اللام)، الذي يدل على الحركة المتواصلة الخفيفة، وجاء بعده حرف (القاف)؛ ليدل على وقف هذه الحركة وقطعها، وجاء بعده حرف (العين)؛ ليدل على نهاية الحركة عند شيء معين أصابته، ومن هذا الوجه، فسر العلماء دلالة كلمة (لقع) برمي شيء بشيء، يصيبه به، وهذا دلالة تموضع أحرف (لقع) تماماً.

فهل أحسن العلماء، عندما فسروا كلمة (عقل) بحبس ومنع ؟

نلاحظ أنهم أتوا بجزء من الحقيقة؛ وهي دلالة حرف (القاف) فقط، وأغفلوا دلالة حرف (العين واللام)، انظر مثلاً القول المشهور: (اعقلها وتوكل) كيف فهمه

العرب؛ بمعنى تقييد وتوثيق الدّابة، بحيث تُمنع من الحركة، مع العلم أن كلمة: (اعقل الدّابة) غير دلالة (قَيِّد الدّابة)، فعندما يراد ذبح الشّاة، تُقَيد منعاً لحركتها، بينما عندما تكون في المرعى، أو داخل العمران، تُعقل؛ بمعنى تحديد حركتها، بمساحة معينة، لا تتجاوزها إلى غيرها، وذلك من خلال ربطها بحبل طويل.

إذاً، دلالة كلمة (عقل)، هي اختيار، يعقبه تحديد، يعقبه حركة منضبطة بما حُدد لها، وبناء على ذلك، يمكن أن نضبط تعريف كلمة (عقل) على الصّورة التّالية:

عقل: إرادة جازمة حابسة على حركة منضبطة؛ وبهذا المعنى، يتم التّوافق الضّدي مع دلالة كلمة (لقع).

إذاً، كلمة (عقل) تدل – ابتداء– على الإرادة الجازمة لساناً، وهذه الإرادة لا تتأتى - في الواقع - إلا بعد الإدراك والانتهاء عند أمر معين، يتوقف عنده، ومن ثمَّ، تتم الحركة وَفق هذا الأمر، بصُورة منضبطة به، مقصورة عليه، لا تتجاوزه إلى غيره.

وبناء على ما ذكرت، نلاحظ أن كلمة (عقل) لا تُستخدم إلا للإنسان، فهي من أفعاله، فهو الذي يعقل، ومن هذا الوجه قيل: الإنسان حيوان عاقل.

وسميت القوة المميزة (الفؤاد) المدركة في الإنسان (العقل) الذي هو منحة من الخالق للإنسان - دون سائر المخلوقات - وذلك من باب تسمية الشّيء بوظيفته ومآله؛ لأنَّ الفؤاد لا يمكن أن يظهر - في الواقع - إلا من خلال عملية التّعقل، فصار فعل (عَقَل) هو المعني بالدّراسة، وذلك أشبه ما يكون بفعل (كتب)؛ فنسمي من يقوم به (كاتب).

ولما نزل النّص القرآني، استخدم صيغة الفعل من كلمة (عقل)؛ لأن قيمة الفؤاد بفعله، انظر قوله تعالى:.

{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } (الأنفال 22)

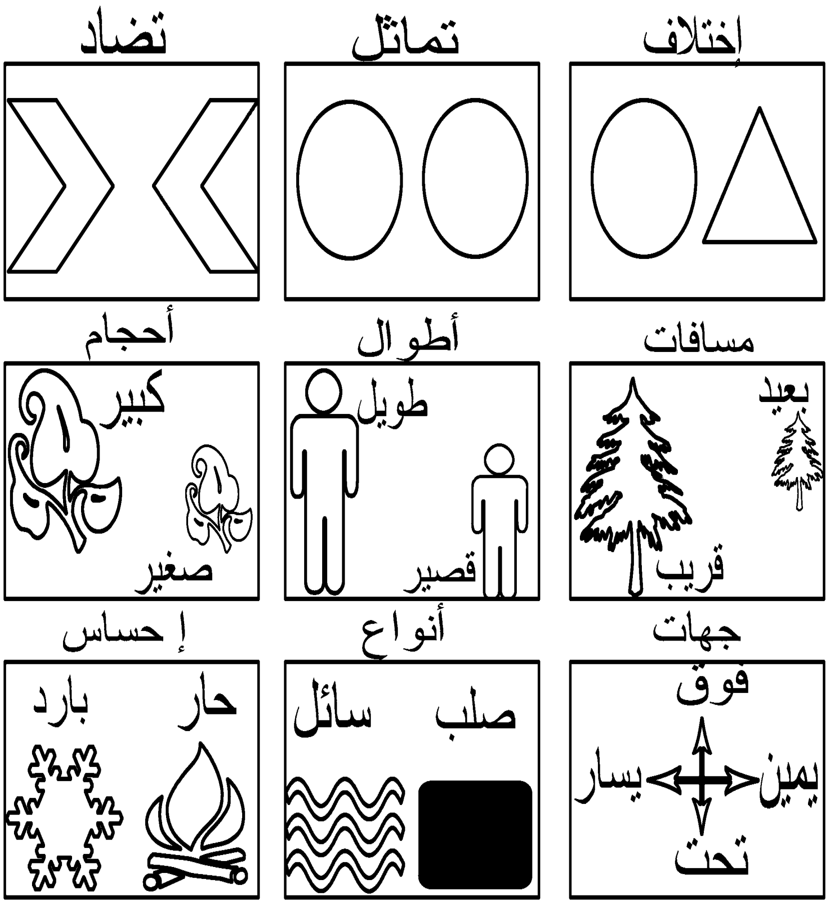
فالكائن الإنساني، يشترك مع الكائنات الأخرى، بصفة (الدَّبْ)؛ فهو من الدّواب، ويتميز عنهم بصفة (العقل)؛ فإذا لم ينتج عن هذا العقل (الفؤاد) فعل يعقلون؛ فهو شر من الدّواب على الإطلاق، وذلك لامتلاكه هذه المقدرات الإدراكية (النّفس) ويملك تعطيلها؛ فلا يستقبل شيئاً عن طريق الأذن، ولا يرسل شيئاً عن طريق النّطق، (صم بكم)، ومن ثمَّ، لا يصدر منه أي عمل عقلاني (بمعنى أي عمل، منضبط بقواعد، لمنفعة النّاس وخيرهم) بخلاف الدّواب الأخرى؛ فهي لا تسمع، ولا تنطق، ولا تمتلك - في الأصل - (الفؤاد)؛ حتَّى يصدر منها فعل (يعقلون) ومن ثمَّ، فليسوا بمحل المسؤولية، والحساب.

إذاً، كلمة (العقل) في الاستخدام القرآني، هي ذاتها التي دلَّ عليها اللسان العربي، فهي وظيفة وفعل للقلب (الفؤاد والدّماغ) تدفع الإنسان إلى التّحليل، والتّركيب وربط الأمور ببعضها، ومن ثمَّ، ضبط حركة هذا الإنسان، بما وصل إليه من وقائع وأحكام، وإلزامه بها دون غيرها من الأمور، التي خرجت من دائرة البحث العقلي (يعقلون).

فالعقل (الفؤاد) لا يمنع من الحركة، وإنَّما هو ضابط وموجه ومحدد للحركة، وهذا يدل على أن الحركة والعمل، هي من مقتضيات العقل، ومن هذا الوجه، جاء استخدام القرآن لكلمة (عقل) - دائماً - بصيغة الفعل (يعقلون)؛ للتّنبيه على أن قيمة الإنسان بحركته وعمله (تفاعل).

والإنسان الذي يفقد صفة التّفاعل، يكون قد حكم على نفسه؛ بالإعدام من حيث هو إنسان، ورضيَ بالوُجُود البشري فقط، ومن ثمَّ، يموت وتخبث نفسه، وينتظر أهله موته كبشر؛ لدفنه في التّراب ومواراة سوأته، ثم يعود إلى أصله؛ ليفيد البيئة من خلال تحلل جسده إلى العناصر الأولى.

التمييز


إختلاف
تماثل
تضاد
مسافات
بعيد
قريب
أطوال
طويل
قصير
أحجام
كبير
صغير
جهات
فوق
يمين
يسار
تحت
أنواع
صلب
سائل
إ حساس
حار
بارد

التّفكير (يتفكرون)

إن التّفكير في الاستخدام القرآني، لم يأت - أيضاً - بصيغة الاسم، وإنَّما أتى بصيغة الفعل [فكَّر، تتفكرون، يتفكرون] وذلك ليدل على أنَّ التّفكير هو فعل، وليس مجرد صفة يمتلكها الإنسان، فالمفكر قيمته الحقيقية في عملية تفكيره، وما يصدر عنه من أفكار، فإذا انتفى عنه الجانب العملي فقد الجانب النّظري قيمته، نحو غياب الفعل عن الفاعل[1] فإن ذلك يسلب منه فاعليته - في الواقع - ويصير مثله كمثل العاطل تماماً، من حيث النّتيجة؛ **لذلك قيل: قيمة الإنسان ما يتقنه، ويحسنه من العمل؛ فانظر ما هي قيمتك في المجتمع ؟**

فماذا تعني كلمة (فكَّر) ؟

إذا أزلنا حرف الرّاء من كلمة (فكر) تصير (فك) وضدها مبنى ومعنى، كلمة (كف) فماذا تدل كلمة (كف) ؟

ك: حرف يدل على قطع أو ضغط خفيف.

ف: حرف يدل على فتور وفتح خفيف متضام.

فتكون دلالة كلمة (كف) هي حركة متجهة نحو الدّاخل، على الشّيء نفسه نحو قولنا: كُفّوا أيديكم، وقولنا: كُفَّ الثّياب.

ومن ثمَّ، تكون دلالة كلمة (فك) اتّجاه من الدّاخل إلى الخارج، وإضافة حرف (الرّاء) لكليهما، يُعطي صفة الاستمرار، في دلالة كل منهما في الواقع.

فك: فكر: كلمة تدل على استمرار حدوث الحركة، من الدّاخل إلى الخارج، (انفتاح).

---

[1] هذه القاعدة تنطبق على الفاعل المحدود فقط، أما الفاعل الأزلي (الله) فلا يشترط صدور الفعل منه لاتصافه بالصمدية نفساً وصفاتٍ، فهو فاعل قدرة وصفة دون فعل، وصدور الفعل منه إرادة واختياراً، وليس ضرورة وحتمية.

كف : كفر : كلمة تدل على استمرار حدوث الحركة، من الخارج إلى الدّاخل، (انغلاق).

فالفكر انفتاح على الواقع، والكفر انغلاق على ما بداخلنا .

ومن هذا الوجه، أُطلق على الفلاح صفة (الكافر)؛ لأنه يقوم بعملية تغطية البذور وسترها، في التّربة { كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ } (الحديد 20).

ويُقال للأرض المنخفضة، أو الممتلئة بالأشجار (كَفْرْ)؛ لأنها تُغطي وتستر من بداخلها .

أما كلمة (تفكير) فقد أضيف لأولها حرف (التّاء)؛ ليعطيها دلالة الجهد في عملية الانفتاح على الواقع، وجاء حرف (الياء) بعد عملية الانفتاح (ك)؛ ليعطيها دلالة البُعد الزّمني، وهذا إشارة إلى أهمية الوقت، في عملية التّفكير - الدّراسة والبحث. وجاء حرف (الرّاء)؛ ليعطي لعملية التّفكير صفة الاستمرار والتّكرار، لما سبق من الخطوات.

لاحظ، من خلال تحليل دلالة كلمة (تفكير) ظهرت لدينا مسائل، وهي :

1 ـ بذل الجهد في تحصيل المعلومات، عن الشّيء المعني بالدّراسة، وهذا دلالة حرف (التّاء).

2 ـ ضم المعلومات إلى بعضها، بصُورة متجانسة مع عدم القطع بصوابها وحفظ خط الرّجعة (الفاء).

3 ـ التوقف والتأكد من المعلومات، وعدم استبعاد أي معلومات متعلقة بالموضوع (الكاف).

4 ـ أخذ الوقت الكافي للدّراسة، ومراجعة النّتائج، وعلاقتها بالمقدمات (الياء).

5ـ الالتزام بالأمور الأربعة، بصُورة مستمرة ومكررة، وعدم الوقوف أبداً (الرّاء).

فالتّفكير ، هو عملية راقية يأتي دورها -في الواقع - بعد عملية التّعقل ، ومن ثمَّ ، فهو مرحلة لاحقة له . قال تعالى :

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (آل عمران 191).

فالتّفكير هو استكمال للمعرفة النّاقصة ، وتحليل وتركيب ، واستنتاج واستقراء ، واستنباط ، واستنبات للمجهول من المعلوم ، لمعالجة الحاضر والتّحكم بالمستقبل .

إن التّفكير يخرج من الفكر ، والفكر يولد الفكر ، والفكر يشع نوراً ، والنّور يضيء الظّلمات ؛ ليعيش النّاس في سلام وأمان منفتحين على بعضهم ، الجميع يرى الجميع ، لا يصطدم أحد بأحد ، لا يعتدي أحد على أحد ، لأنَّ الفكر يشع نوراً ، والنّور يضيء للجميع طريقهم ، الكل يعرف ماذا له من حُقُوق ، وماذا عليه من واجبات ، ويسير منطلقاً من واجباته ليحصل على حقوقه .

التّكفير ؛ يخرج منه الكفر ، والكفر يُوَلِّد الحقد والكراهية ، وبدورهما يولدان العدوان ، الذي يُولد الظّلم ، ويصير ظلمات ، لا يرى الإنسان فيها إلا نفسه ، والكل يصطدم ببعضه بعضاً ، ويفتكون بمن يقع أرضاً دوساً وقهراً ، ويتخبطون في بحر الظّلمات ، لا يعرفون منه مخرجاً ولا اتّجاهاً ، يدورون حول أنفسهم كارهين لها ، ولمن حولهم ، يلعن بعضهم بعضاً ، إنه التّكفير الذي يُولَد منه الكفر .

فشتان ما بين التّفكير والتّكفير ، والفكر والكفر ، والنّور والظّلمات ، والانفتاح على الآخرين ، والانغلاق على ما بأنفسنا ، هل يستويان ؟! .

محل تعلق فعل التّعقل والتّفكر

بعد أن عَرَّفْتُ كُلاً من كلمة يعقلون ويتفكرون ؛ لابُدَّ من تحديد محل تعلق كل منهما في الواقع.

فما هي الأمور المتعلقة بفعل (يعقلون) ؟

وما هي الأمور المتعلقة بفعل (يتفكرون) ؟

إنَّ المصدر الذي يمدنا في تحديد محل تعلق كل من الكلمتين، هو الواقع والقرآن تعالوا ؛ لنقرأ استخدام كل من الكلمتين في سياقها القرآني ، كيف أتت ؟

1- قال تعالى : {قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (الأنبياء 66- 67).

2-{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون } (النّور 61).

3 - {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (الحديد 17).

4 - {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } (الحجرات 4).

5- {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (البقرة 164).

الملاحظ، أن كلمة (يعقلون) في الاستخدام القرآني، أتت متعلقة بالسُّلُوك الإنساني، نحو قوله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} (البقرة 44).

وتكون، لتقويم هذا السُّلُوك من خلال المطالبة بالتّعقل له، وذلك باستخدام التمييز، وربط الأمور ببعضها للوصول على الفهم والوعي، وهذه العملية تفاعل مع الحدث، بصُورة مُباشرة لا تحتاج إلى دراسة وتعمق وسير في الأرض.

ونلاحظ ـ أيضاً ـ أن فعل (يعقلون) في الآيات، أتى بعد تعداد وذكر آيات كونية، وهذه الآيات الكونية، مشاهدة بصُورة يومية، من خلال الواقع الذي نعيشه (نزول المطر وإنبات النّبات من الأرض) فهذه العملية لا يحتاج تعقلها إلى دراسة، وسير في الأرض، وإنَّما المطلوب تعقل ظواهر هذه الآيات المشاهدة، من خلال وقوع الحس عليها، واستخدام ذلك في عملية التّعقل أي التّمييز، والفهم والوعي والإدراك، من خلال التّفاعل مع هذه الآيات؛ للوُصُول إلى أنَّ الله إنَّما هو إله واحد.

أما عملية التّفكير (يتفكرون) فنلاحظ، أنَّ النّص القرآني، لم يستخدمها بسياق متعلق بالأحكام الشّرعية أو السُّلُوكية، و استخدمها مرة واحدة في سياق السّؤال عن الخمر والميسر بقوله:

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (البقرة 219).

وذلك؛ لأنَّ الخمر والميسر، ليسا اسماً لمادَّة عينية، وإنَّما هما وصف محدد، يظهر في الواقع، بصُور لا متناهية، حسب التّطور المعرفي والاجتماعي والاقتصادي، ووضع الشّارع من خلال الآية قاعدةً؛ لتستخدم في الأشياء الأخرى، فمحل تعلق النّص يحتاج من الإنسان إلى دراسة عميقة، وتحصيل علمي، لمعرفة مآل النّص، لذلك أتى فعل يتفكرون في آخر النّص، ولم يأت فعل يعقلون.

أما الاستخدامات الباقية، في النُّصُوص، فقد أتى فعل (يتفكرون) بعد سرد آيات كونيـة، أو اجتماعيـة، تحتـاج إلى دراسـة وسـير في الأرض؛ للحصول على معرفـة تأويلها انظر قوله تعالى:.

{اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ }{وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (الرّعد 2 – 3).

الملاحظ، من خلال دراسة دلالـة الآيـات، الـتي أتـت قبـل فعـل (يتفكـرون) أنهـا آيات لا يمكن أن تُعْلم، إلا إذا قمنـا بالدّراسـة، وبـذل الجهـد في تحصيل المعلومـات، من خلال السّير والبحث عن الكيف، ولـذلك استخدم فعل (يتفكـرون) ولم يقـل: يفكرون؛ لأنَّ العملية تحتاج إلى بذل جهد، ودل على هذا، وُجُود حرف (التّـاء) في فعل (يتفكرون)، وتسمى تاء الجهد، بل لم يأت فعل (يتفكـرون) في القـرآن، دون وُجُود حرف (التّاء) إلا مرة واحدة، في سياق الـذم والتأكيـد أنَّ الحكم الـذي وصـل إليه صاحب الفكرة، لم يكن عن طريق الدّراسـة، وبـذل الجهـد في البحث بـل كـان عن طريق الهوى ولنصرة الباطل على الحق؛ قال تعالى:

{إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ثُمَّ نَظَرَ ۞ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۞فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ } (المدثر 18ـ 25).

فعملية التّفكير، هي صفة الباحثين عن الحقيقة، على أرض الواقع، حيث أن الفكـر هو انفتاح على الواقع.

أما فعل (يعقلون)؛ فقد ذكره الخالق بعد أن غَيَّر الآيات، وأتى بآيات مناسبة لـه، انظر قوله تعالى، تتمة للنّص الأول، الذي ذكر فعل يتفكرون

{وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (الرّعد 4).

فقد ذكر الله آيات مشاهدة في الواقع، من خلال الحياة المعيشية كل يوم، وتحتاج إلى مجرد المحاكمة العقلية، من تمييز وفهم، ووعي، وربط الأمور ببعضها، وإدراكها والحكم عليها، وهذه العملية يستطيع فعلها كل النّاس، ولا تحتاج إلى دراسة وسير في الأرض لمعرفة الكيف؛ انظر أيضاً قوله تعالى:

{وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۞وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ ۞وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (النّحل 65ـ 67)

إن الآية المتعلقة بفعل (يعقلون) هي آية مشاهدة في الواقع، يمارسها الإنسان من خلال الزراعة و رعاية الماشية، فطلب الخالق من النّاس التّفاعل مع هذه الآية، وإدراكها للوُصُول إلى أنَّ الله إنَّما هو إله واحد.

بينما الآيات المتعلقة بفعل (يتفكرون)؛ فهي بحاجة إلى الدّراسة والبحث للوُصُول إلى النّتائج، فالعسل لا يشفي كلَّ الأمراض؛ بل يشفي أمراضاً معينة، ومعرفة ذلك بحاجة إلى دراسة، وتجارب، وملاحظة؛ فيطلب الله من النّاس صفة الفاعلية في الواقع، واستخدام نتائج دراستهم؛ للارتقاء بفكرهم والوُصُول إلى أنَّ الله، إنَّما هو إله واحد.

من خلال التّفريق، بين كل من فعل (يعقلون) وفعل (يتفكرون) نلاحظ أن فعل (يفقهون) مُرتبط بفعل (يعقلون)، وفعل (يعلمون) مُرتبط بفعل (يتفكرون). قال تعالى:

{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } (العنكبوت 43).

لاحظ أن عملية التّعقل (الفقه) للمثل، لا تتم إلا بعد العلم والدّراسة؛ لأن التّعقل للآيات المعنية، لا يمكن أن تحصل عند الإنسان إلا بعد أن يقوم بالتّفكير ويصل إلى النّتائج، عندئذ يعقلها وتصير في مجال المعرفة والفقه والفهم، فيُوجد علاقة بين التّفكير والتّعقل بصُورة تعاقبية.

فالأمثال في القرآن، رمز لشيء آخر، غير الظّاهر من اللّفظ، ينبه عليه المتكلم؛ وهو المراد والمقصد من الكلام، وفهم المقصد من المثل، لا يمكن للإنسان العادي الذي يستخدم فعل (يعقلون) فقط أن يفهمه، لأن عملية فهمه بحاجة إلى مستوى أعلى من التّعقل، وهو التّفكير، وبعد ذلك يتجاوز هذه العملية؛ ليصل إلى تعقل المثل (الفهم والفقه)؛ لذلك جاء ربط التّعقل للأمثال بالعلماء فقط، وبهم يُناط تعليم النّاس الآخرين لما وصلوا إليه، من نتائج ودراسات، انظر قوله تعالى:

{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (العنكبوت 41).

الظّاهر من النّص أنَّ الكلام عن شبكة العنكبوت وضعف خيوطها[1]؛ لكن الأمر ليس كذلك قطعاً، وأول أمر يجب الانتباه له، هو التّفريق بين دلالة كل من كلمة (بيت)، وكلمة (منزل).

المنزل: هو المكان الذي ينزل فيه الإنسان ليقيم فيه، سواء أكانت الإقامة طويلة أم قصيرة.

البيت: هو المنزل الذي يخيم فيه الحب والعاطفة، ويقوم على أسس الرّحمة والاحترام وقَبول الآخر، (العلاقات الأسرية العاطفية).

---

[1] مع العلم أن خيوط شبكة العنكبوت قوية جداً بالنسبة لقطرها.

إذاً ، النّص يتكلم عن العلاقات الأسرية العاطفية ، وليس عن المنزل (شبكة العنكبوت) هذا جانب للمسألة ، أما الجانب الآخر ؛ فهو وجوب معرفة العلاقة ، بين ذكر العنكبوت ؛ والأنثى ؛ على أي شيء هي مبنية ، ودراسة ذلك ؟

قال العلماء : إن أنثى العنكبوت ، إذا قام الذّكر بتلقيحها ؛ وانتهى من ذلك ، تقوم بالتهامه إذا كانت جائعة ، لذلك يُسارع الذّكر في الهروب منها .

ما يُؤكِّد ؛ أنَّ العلاقة في بيت العنكبوت ، قائمة في أساسها على رفض الآخر ، وعدم الاعتراف بحقه في الحياة ، ومن ثمَّ ، تنعدم المحبة والعاطفة والاحترام ويقوم البيت ـ ابتداء ـ على واحد دون الآخر ، ويعيش الأولاد قبل ولادتهم ، فاقدين الأب (يتامى) .

وهذه الصّورة ، يمكن أن تكون معنوية ، وذلك من خلال تهميش دور أحد الأبوين وعدم القَبول به ، والاعتراف بحقه الإنساني ؛ فهو موجود من النّاحية الفيزيولوجية ، معدوم من النّاحية النّفسية ، وهذا البيت هو بيت العنكبوت! .

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۞مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (الحج 73 ـ 74).

ولفهم المثل ؛ وفقهه ، لابُدَّ من دراسة كيفية قيام الذّباب بعملية الغذاء ، والعلم بها ؟

قال العلماء : إن الذّباب إذا وقف على الطّعام ، يريد أن يأكل ، يقوم بإخراج عصارات كيماوية من فمه (قيء) على الطّعام ؛ فيتم التّفاعل وتحليل الطّعام وتفكيكهُ وتحويله إلى سائل (هضم) ، ثم يقوم الذّباب بامتصاص هذا الطّعام المهضوم ؛ فإذا أخذ الذّباب حاجته من الطّعام وطار ، فلا يستطيع الإنسان استرداد ما أخذ الذّباب ، من طعام ، ولو أمسَكَ الذّبابة ؛ لأن ما بداخلها ليس هو الطّعام المسلوب ،

وإنَّما هو خلاصة الطّعام المحلل، بالمواد الهاضمة فصار شيئاً آخر، غير المادَّة الأولى (الطّعام) ومن هذا الوجه، قال تعالى: (ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)

إذاً، لمعرفة حقيقة الأمثال في القرآن، يجب دراسة ذلك من خلال الواقع، وبعد تحصيل الدّراسة والعلم، نعود إلى النّص القرآني، لنقوم بتأويله ومعرفة مقصد المتكلم من ضرب المثل.

فالعقل اصطلاحاً، هو القوة الإدراكية التي تقوم على التّمييز والتّحليل والتّركيب، والرّبط بين الأشياء (السّمع والبصر والفؤاد).

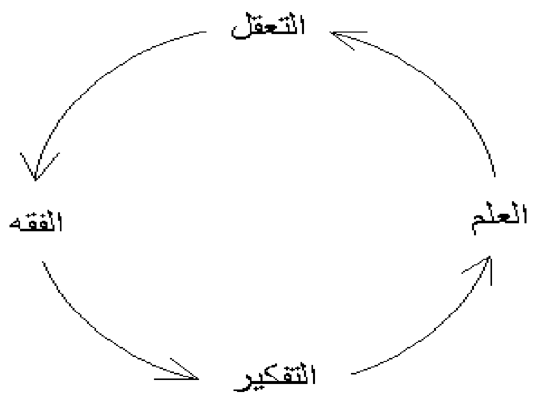
والقرآن، استخدم العقل الفاعل (يعقلون) ولم يستخدم العقل الكامن في الإنسان، لأنه تحصيل حاصل؛ فلا يُوجد أي حاجة لتذكر الإنسان بأن عنده عقل، وإنَّما يجب أن تحضه على تفعيل هذه القوة الفاعلة، من خلال تفعيل هذا الإنسان في الحياة، بفعل (يعقلون)، وهذه المرحلة في الإنسان هي مرحلة تفاعل، وحد أدنى لإثبات وُجُوده الإنساني الواعي.

أما التّفكير (يتفكرون) فهو عملية صعود ورقي، في المستوى الإنساني إلى مستوى الفاعلية المنتجة، التي تأخذ بزمام الأمور، وتقوم بقيادة النفس، والوُصُول إلى الإبداع، وامتلاك الحاضر والتّحكم في المستقبل.

فالتّفكير هو عملية نشطة لأمة فاعلة، والأمة التي تُصاب بعقم في تفكيرها، هي أُمَّة عاجزة كَلَّةٌ على الآخرين، أينما تحركت أو توجهت لا تأتي بخير، فهي أُمَّة هابطة تكتفي باجترار إنتاج الآخرين واستهلاكه، بل وصل الحمق بها إلى درجةٍ؛ أن تحمد الله ﷻ على ما هي عليه، من استهلاك لنتاج الأمم الفاعلة، وتَعُدُّ ذلك تسخيراً لها دون تعب منها أو بذل أي جهد؛ فالأمة الفاعلة وصلت إلى المريخ، والأمة الهابطة تأكل البطيخ!.

لذا ، ينبغي التّفريق ؛ والانتباه إلى دلالة (التّعقل) ، ودلالة (التّفكر) ، فالأولى تفاعل وسير في الأرض بصُورة بطيئة ، والأخرى تحليق في الجو وانفتاح في الأفق ، وفاعلية في الوُجُود ، وشتان ما بين الأمة التي تختار دور التّفاعل والاستهلاك ، والأمة التي تختار دور الفاعلية والإنتاج (أُمَّة التّعقل ، وأمة التّفكر) ، وليس وراء ذلك إلا عالم الحيوان المنفعل بالواقع ، وللأسف مازالت هناك أمم منفعلة بالواقع ، لا تدري ماذا يحدث على أرض الواقع ، فهي ميتة منذ زمن ، تنتظر أن يموت جسمها ؛ كي تدفن وترجع إلى أصلها (التّراب) ليتحلل إلى عناصره الأولى ، وعسى أن يخرج من هذه التّربة شجر ، يفيد النّاس بظله و ثماره .

دورة التعقل والتفكير



عملية التّعقل والتّفكير ونشأة اللسان

لقد ذكرت سابقاً، أنَّ الكائن البشري عندما تمت تسويته، وتعديله، والنّفخ فيه من روح الله، ظهرت النّفس فيه، وجُعل له السّمع والبصر والفؤاد، عندئذ صار إنساناً له وُجُودٌ واع، والقوة النّفسية العاقلة التي ذكرها الخالق{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } (السّجدة 9).

شكلت مع بعضها اصطلاحاً، ما أطلقنا عليه اسم (العقل) من باب تسمية الشّيء بوظيفته، فكيف يعمل هذا العقل في الواقع ؟

نلاحظ أن هذا الكائن البشري، عندما صار كائناً روحياً (إنسانياً) سَرت في دماغه طاقة روحية، فجعلته قلباً تموضعت النّفس فيه، كنظام برمجي معلوماتي، واستلم الفؤاد قيادة النّفس، وإدارتها، الذي وطَّدَ علاقته المُباشرة مع إدارة الجسم (الدّماغ) للتّعاون والتّواصل مع العالم الخارجي؛ فيقوم الفؤاد بقيادة الدّماغ، والدّماغ يقوم بإدارة الجسم، ومن خلال هذه العلاقة الجدلية، يتم التّعقل وإدراك الشّيء المعني بالأمر.

ولمعرفة كيفية التّعقل، كما تحصل تماماً؛ لابُدَّ من تحليل عناصر طريقة التّعقل ـ في الواقع ـ فنلاحظ:

إن أول أمر ضروري ليتم التّعقل، هو وُجُود الواقع الذي هو محل للتّعقل، لأن انتفاء الواقع يُؤدِّي إلى انتفاء التّعقل، فالواقع هو أساس عملية التّعقل، وإذا وُجد الواقع، فلابُدَّ من حواس تنقل الإحساس بالواقع إلى الدّماغ ليقوم بدوره في إرسال هذا الإحساس إلى الفؤاد فيستعين الفؤاد بالسّمع والبصر؛ للوُصُول إلى الفهم أو الحكم على الشّيء، وهذا الأمر يحتاج إلى معلومات، ليستخدمها الفؤاد في هذه العملية، فإن لم يكن هناك معلومات؛ أمر الفؤاد الدّماغ بأن يحصل على معلومات

من الخارج، فيقوم الدّماغ عن طريق الحواس، ليحصل على هذه المعلومات، وتكون من خلال نقل إحساسات جديدة بالواقع إلى الدّماغ، ومن ثم إلى الفؤاد والسّمع والبصر؛ ليقوم بعملية التّمييز، والتّصنيف، والتّحليل، والتّركيب، والرّبط للوُصُول إلى إدراك هذا الأمر.

والنّتيجة؛ هي مجرد محاكمة عقلية مُباشرة، ينتج عنها التّعقل والفقه والحكم على الواقع المحسوس، نحو قوله تعالى:

{أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (الأنبياء 67).

فإدراك أنَّ الأصنام، أو أي جهة كانت تعبد من دون الله، لا تنفع ولا تضر؛ لأنها مخلوقات محدودة عاجزة فانية؛ أمر لا يحتاج إلى تفكير (دراسة وبذل جهد في ذلك)، بل هو أمر يدرك بصُورة مُباشرة من خلال نقل الحس بالواقع إلى الدّماغ، وبعدها إلى الفؤاد، فيقوم بإصدار حكمه مُباشرة من جراء استحضار معلومات سابقة، أو لاحقة متعلقة بمحدودية هذه الجهة، فيصدر حكمه ببطلان عبادتها، ويحكم بوجوب توجه العبادة للخالق المدبر، كونه الإله الأحد الصّمد.

وكذلك إذا سمع إنسان طرقاً على الباب، يحكم بصُورة مُباشرة أن هناك فاعل يقوم بالطّرق، وهذه العملية لا تحتاج إلى تفكير، وإنّما هي عملية تعقل، ويتم إدراك الحدث بصُورة مُباشرة من جراء التّفاعل مع الواقع والإحساس به.

فالتّعقل هو الأساس والسّابق عن التّفكير، إذ كل تفكير هو تعقل، من غير عكس، رغم أن عملية التّفكير حالما ينتهي منها الإنسان، تنزل إلى التّعقل.

والكائن البشري عندما نُفخ فيه من الروح، وجُعِلَ السّمع والبصر والفؤاد له نتج عن ذلك مُباشرة التّعقل لما حوله من الواقع ـ تباعاً ـ حسب حاجاته وضروراته، وكان هذا التّعقل هو مجرد تفاعل مع الواقع، وعملية التّعقل بدأت في الإنسان قبل ميلاد اللسان؛ لأنَّ التّعقل (الإدراك والتّمييز) لا يحتاج إلى لسان، لأنه مجرد

تفاعل مع الواقع، (نحو إدراك الطّفل الرّضيع)، وكان الإنسان يتواصل مع الآخرين، بالحركة والإشارة ومحاكاة الأصوات، التي يسمعها كونه يمتلك جهازاً صوتياً، وممَّا لاشك فيه أنَّ الحاجة أم الاختراع، وحاجات الإنسان الأول، كانت محدودة جدًّاً، ومضى على ذلك زمن طويل، وعمليات الإنسان العقلية تزداد تعقيداً مع ازدياد حاجاته، وعلاقاته الجماعية، فبدأ اللسان يظهر - في الواقع - من جراء تفاعل فطري، ومحاكاةٍ لأصوات الطّبيعة، ومن هذا الوجه ظهر ارتباط بين الكلمة ومحلها من الواقع، وهو ارتباط فيزيائي صوتي، ومع ضغط الحاجة للتّواصل مع الآخرين، وتخزين الخبرات وتبادلها مع الأبناء، وميلاد المجتمع، اقتضى ظُهُور التّفكير عند الإنسان، مستخدماً الحد الأدنى للسان الذي وصل إليه، من جراء تفاعله مع الواقع، وبدأت أولى عمليات التّفكير تظهر، ضمن اللسان البدائي، الفطري، الصّوتي، الثّنائي، لتوليد وتوسيع المفردات، وبدأ الإنسان في مرحلة الفاعلية في اللسان، فاعتمد على المفردات الفطرية، وقام بتوليد كلمات، واستخدمها حسب وظائف الأشياء، فصار اللسان ككلمات ذات علاقة منطقية، فيزيائية مع الأشياء، تعتمد في أساسها على الأصوات، فظهرت الكلمات كصُور وظيفية أو حالية للأشياء، وهي الدّائرة الأكبر في اللسان، والتي مازالت في حالة توسع، تتناسب مع تطور الإنسان المعرفي والأدوات.

فالتّفكير، لم يكن موجوداً قبل ميلاد اللسان، لأنَّ اللسان هو أساس للتّفكير، إذ أن التّفكير هو انفتاح ودراسة، وتحصيل معلومات، وهذا لا يتأتى إلا بلسان يكون هو الوعاء الحامل لعملية التّفكير، والوسيط لها.

وبهذا الشّرح والفرق بين التّعقل، والتّفكير، نكون قد حللنّا مشكلة اللسان، هل هو أسبق من حيث الوُجُود؛ أو التّفكير؟ لأن التّفكير لا يكون إلاّ ضمن لسان(لغة)، وأثبتنا أنَّ اللسان كأساس بدائي فطري، **وُلد في مرحلة التّعقل نتيجة**

تفاعل الإنسان مع الواقع، أما توسع اللسان، وجعله وعاءً ووسطاً وحاملاً للمعلومات؛ فقد كان ذلك نتيجة ولادة المجتمع، وبدأ الإنسان في التّفكير، مستخدماً اللسان البدائي، كمجال وحقل لعملية التّفكير؛ فتزامن نمو اللسان مع أول عملية تفكير، وبدأا في علاقة جدلية؛ كلما اتَّسع التّفكير، اتَّسع اللسان ونما ليسع التّفكير.

فالتّفكير عملية أرقى من عملية التّعقل، ولا يمكن للتّفكير أن يتم إلا على أساس التّعقل، وكل تفكير هو تعقل، والعكس ليس صواباً، مع العلم أنَّ الأمر عندما ينتهي التّفكير فيه ينزل إلى التّعقل.

والتّفكير كونه فاعلية؛ فلابُدَّ له من سبب ـ دون شك ـ يدفع الإنسان إلى التّفكير، و إلاَّ، لماذا يفكر ويتعب نفسه ؟!، وعنصر اللسان هو أساس في التّفكير، لأن عملية التّفكير، لا يمكن أن تتم دون لسان يكون حاملاً ووسطاً يتم التّفكير من خلاله.

ومع وُجُود الدّافع واللسان؛ فإن التّفكير لا يتم في الواقع، إلا إذا قام الإنسان بحمل المسؤولية، والأخذ بزمام الأمور مبادرة، والوعي لأهمية الأمر، وما يترتب عليه، وإن غابت صفة حمل المسؤولية، فقد تعطل التّفكير لعدم جدواه، وتقاعس الإنسان عن الفاعلية، وأخلد إلى الدّعة والنّوم، وغرق في أحلام التّخلف.

وإذا حمل الإنسان المسؤولية، ظهر العنصر الرّابع في عملية التّفكير، وهو تحصيل المعلومات، وهي مرحلة الدّراسة والبحث ـ استقراء واستنباطاً للمعرفة، وتجربة واستنباطاً ـ وبها تُفَعَّل عناصر التّفكير للوُصُول إلى الفاعلية والتّغيير، والارتقاء، وتحقيق فاعلية مقام خلافة الإنسان في الأرض، والقيام بعمران البلاد وسعادة العباد.

الخلاصة:

- **التّعقل**: هو نقل الإحساس بالواقع، عن طريق الحواس إلى الدّماغ الذي بدوره يرفعها إلى الفؤاد، الذي يقوم مستخدماً المعلومات السّابقة أو اللاحقة للحكم على الشّيء، وإدراكه والتّفاعل معه، وينتج عنه عملية الفقه والفهم.

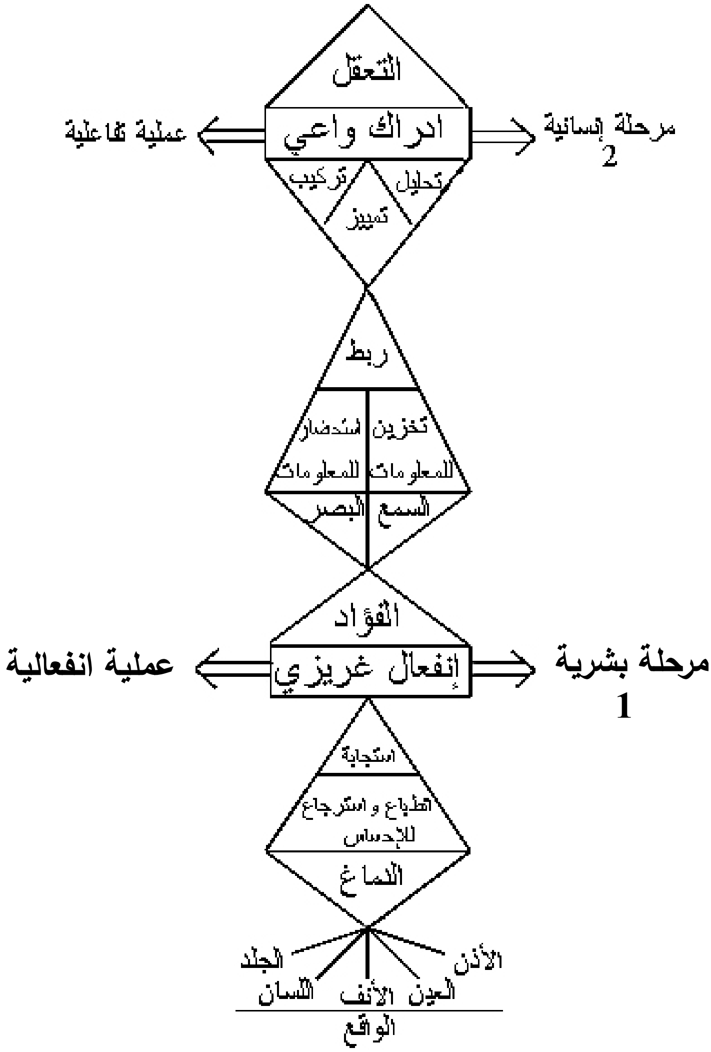
واقع + إحساس بالواقع + دماغ + الفؤاد + دافع + ربط وتحليل الظواهر+ تفاعل= تعقل وفهم وفقه.

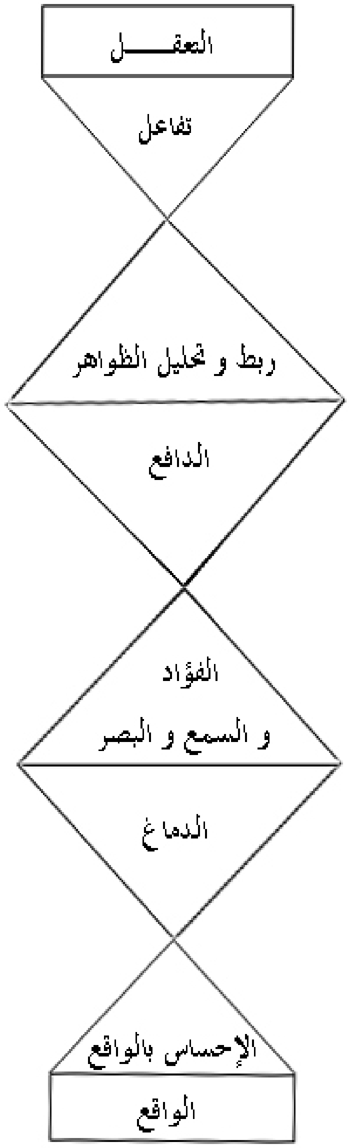
- **التّفكير**: هو تعقل ضمن انتماء اجتماعي مع وُجُود لسان وحمل المسؤولية، وتحصيل المعلومات ودراستها للوُصُول إلى الفاعلية وتحقيق الهدف، وينتج عنه عملية العلم.

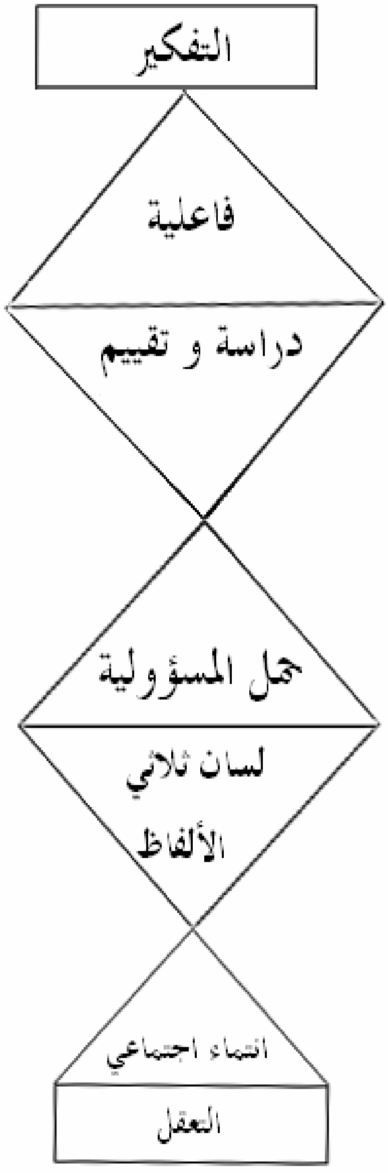
تعقل+ انتماء اجتماعي+ لسان (لغة)+ حمل المسؤولية+ دراسة = تفكير وعلم وفاعلية.

- **نشأة اللسان**: وُلد اللسان كصُور صوتية فيزيائية في مرحلة التّعقل، من خلال تفاعل الإنسان فطرة في الواقع وتواصله مع بيئته الجماعية، ونتج عن ذلك ظُهُور الكلمات الثّنائية وفعل الفقه، وعندما وُلد المجتمع، وصار الإنسان فاعلاً، وبدأ يفكر، نمى اللسان وتوسع ضرورة؛ ليلبي حاجات المجتمع، فظهرت الكلمات الثّلاثية، وكان ذلك ملازماً لبداية التّفكير، واستمر بناء اللسان وتوسعه بأصليه(الثنائي والثلاثي)، مع التّفكير في سيرهما بصُورة جدلية ونتج عنهما فعل العلم[1].

(1) راجع كتابي، علمية اللّسان العربي وعالميته.

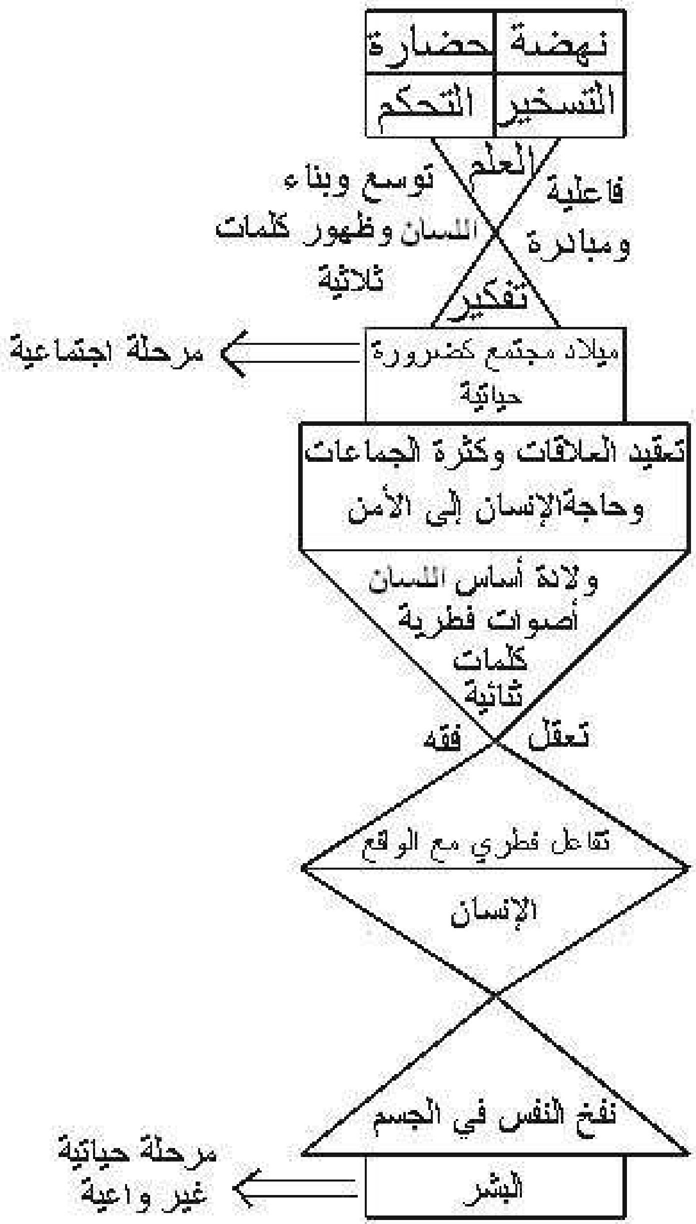

التعقل
ادراك واعي
عملية تفاعلية
مرحلة إنسانية 2
تحليل
تركيب
تمييز
ربط
تخزين للمعلومات
استحضار للمعلومات
السمع
البصر
الفؤاد
إنفعال غريزي
عملية انفعالية
مرحلة بشرية 1
استجابة
انطباع واسترجاع للإحساس
الدماغ
الأذن
الجلد
العين
الأنف
اللسان
الواقع

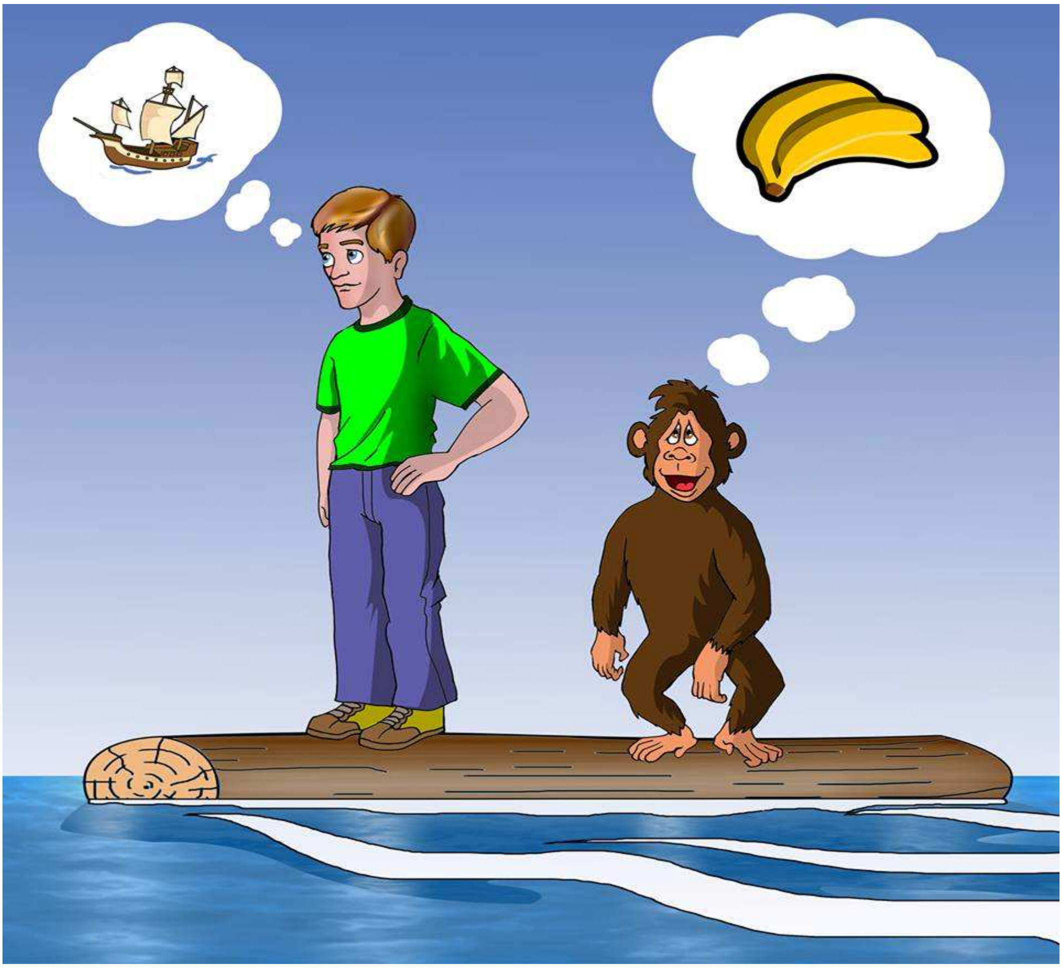

العقــــــل
تفاعل
ربط و تحليل الظواهر
الدافع
الفؤاد
و السمع و البصر
الدماغ
الإحساس بالواقع
الواقع



عملية التفكير

نشــأة اللسـان





الفصل الرابع

مصادر العلم

1 ـ الواقع

2 ـ التّاريخ

3 ـ الوحي الإلهي

4ـ التّفكير

طريقة التّفكير

مصادر العلم

إن دراسة المصادر العلمية، وتحديدها، وتسليط الضّوء عليها، مسألة على درجة من الأهمية؛ لأنها تشكل الأرضية المعرفية التي يعتمد عليها الباحثون، أثناء بحثهم عن الحقيقة، وتشكل الأرضية المرجعية لهم؛ كما أنها تشكل القاسم المشترك بينهم؛ للانطلاق منها والبناء عليها والاحتكام إليها.

إن كلمة (مصدر) من (صَدَرَ) التي تدل على خُرُوج بعد ورود، (مقاييس اللُّغة).

فنقول: أصدرت دار النّشر كتاب العلم والمعرفة، بمعنى ورود مادَّة الكتاب إلى دار النّشر وبعد ذلك خُرُوجه منها.

قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ} (الزّلزلة 6).

وقال: {قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} (القصص 23).

الملاحظ من فعل (صدر) في الواقع، أنه يكون بعد ورود الشّيء، ومن ثمَّ الخُرُوج منه، وبناء على ذلك، فالمصادر هي التي نَرِدُ إليها ثم نخرج منها بالمعلومات، ومن هذا الوجه؛ ينبغي استبعاد كل ما ليس له علاقة بالمصدر، نحو (الحس) فنحن لا نرد إليه ونخرج بالمعلومات منه، وإنَّما نرد به إلى المصدر، الذي هو الواقع ونخرج منه بالمعلومات، ومن ثمَّ، فالحس هو ناقل ووسيط للمعلومات، وليس مصدراً، وكذلك العقل، فنحن نرد به إلى المصدر، ونخرج منه بالمعلومات، لهذا، فالعقل ليس مصدراً، وإنَّما هو قوة إدراكية، تحاكمية، وميزان نزن به الأمور؛ فينبغي الانتباه إلى الفرق بين القول: (نرد إليه)، والقول: (نرد به).

أما العلم، فهو إدراك كيف بدأ الشّيء، وسار، وصار، وإدراك للقانون الذي يحكمه ضمن المنظومة التي ينتمي إليها ترتب عليه تحكم وتسخير وتنبؤ بحركته القادمة[1]، واستخدمنا كلمة (العلم) عوضاً عن كلمة (المعرفة) في العنوان (مصادر العلم)؛ لأنَّ المعرفة كلمة تدل على السّكون والطّمأنينة. (مقاييس اللُّغة).

وهذه المعنى لاحق للعلم، وليس قبله، وتأتي أيضاً، بعد الإدراك المشخص.

نحو قوله تعالى: {وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ} (يوسف 58).

---

(1) راجع تعريف العلم سابقاً من البحث ذاته.

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (البقرة 146).

{ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ } (البقرة 273).

إذاً، المعرفة هي السّكون والطّمأنينة، وتكون نتيجة العلم، أو الإدراك المشخص، والواجب على الإنسان هو طلب العلم، وليس المعرفة؛ لأنَّ المعرفة لا تُعطى، بل يحصل الإنسان عليها، نتيجة العلم وتفاعله معه.

فما هي مصادر العلم ؟

من خلال عملية السّبر والتّقسيم، نلاحظ أن مصادر العلم أربعة، وهي :

الواقع، التّاريخ، الوحي الإلهي، التّفكير.

1. الواقع :

إن بين العقل والواقع، علاقةً جدليةً، إذ كل منهما يؤثر في الآخر، أخذاً وعطاء، وذلك من خلال عملية التّفكير، فكيف تكون العلاقة بينهما؟

إن دارس العلاقة بين العقل والواقع، يجد أنَّ العلم بالواقع، والحكم عليه يتأتى من خلال إحساس الإنسان بهذا الواقع عن طريق حواسه الخمسة أو أحدها، والأدوات المعرفية التي يمتلكها، فينتقل هذا الإحساس إلى الدّماغ، ومن ثم يقوم الدّماغ برفع هذا الإحساس إلى الفؤاد، فيقوم الفؤاد بتحليل هذه المعلومات الجديدة، و تفكيكها، وتصنيفها، وتمييزها، محاولاً قراءتها من خلال استحضار معلومات قديمة مخزنة عنده - سابقاً- أو يستجلب معلومات جديدة من الواقع ليربطها بهذه المعلومات الجديدة، ويُركبها؛ حتّى يستخدمها في التّفكير، ويقوم بتحصيل المعلومات من الواقع المعني بالدّراسة، سواء بصُورة مُباشرة منه، عن طريق التّجربة، أم من خلال الاستنتاج والاستقراء، أم من خلال التّعلم ممن سبقه في هذا المجال، فعلى كل الحالات يحصل على المعلومات من الواقع، ليعود إليه مفكراً؛ فيكون الواقع مصدراً للمعلومات بصُورته الكُلِّيَّة، وموضعاً للتّفكير بصُورته الجزئية.

قال تعالى : {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ } (العنكبوت 20).

وهذا أمر رباني تعليمي للسّير في الواقع والتّفكير فيه، فهو من هذا الوجه محل للتّفكير وموضع له، والعلم بكيفية الخلق، وسيرورته، وصيرورته من خلال السّير، وهو مصدر للمعلومات.

فالمعلومات من الواقع وإليه.

وهذه حقيقة، لا تقبل النّقاش؛ أو المراء، فالواقع سابق عن المعلومات في الوُجُود؛ لأنَّ المعلومات مُرتبطة به، فالأشياء موجودة قبل أسمائها، وهذا بالنسبة للإنسان، انظر قوله تعالى:

{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } (البقرة 31).[1]

فالرب عرض الواقع على الملائكة، ثم طلب منهم معلومات عنه، فقالوا: لا علم لنا بهذا الواقع المعروض علينا؛ وهذا يُؤكِّد أسبقية الواقع في الوُجُود على المعلومات عنه، وهذا ما نستخدمه في عملية التّربية والتّعليم، نقوم بعرض الواقع أولاً، ثم نقوم بإعطاء معلومات عنه.

هذا جانب للمسألة،أما الجانب الآخر، فهو السّؤال من أين تأتي المعلومات؟

إن الإنسان يأتي بالمعلومات، ويحصل عليها من الواقع ذاته، وذلك من خلال السّير فيه، ودراسته، وملاحظته، وتجربته، وعبر التّراكم المعرفي، والتّرابط والتّكامل، وتواصل الخبرات بين المجتمعات.

فالعلم، كالمشعل ينتقل من أُمَّة إلى أخرى، لا يخمد ولا ينطفئ، ولا يتأثر بضعف حامله؛ لأنه سرعان ما تأتي أُمَّة قوية تحمله، وتتداوله الأمم فيما بينها، باتِّجاه الأمام والرّقي والتّطور.

2. التّاريخ:

إن التّاريخ هو السّجل الذي يحفظ الأحداث، على صعيد الآفاق والأنفس؛ فصفحات تاريخ الآفاق، هي الوُجُود الموضوعي خارج الذهن، نحو الآثار

(1) راجع تفسير هذه الآية في كتابي: القرآن بين اللُّغة والواقع، دار الأوائل.

والمستحاثّات، وطبيعة الوُجُود ذاته، من حيث احتفاظ كل موجود بمعلوماته في بنيته، نحو طبقات الأرض، وبنية الشّجر، وما شابه ذلك، فكل منهم يُخبر عن تاريخه بلسان خاصٍ به، فمن يكتشف ذلك اللسان؛ يستطيع أن يحصل على معلومات ذاتية عن تاريخ هذا الشّيء.

أما تاريخ الأنفس، فهو يعتمد على ما تركته المجتمعات السّابقة من آثار وحضارات، ويعتمد على التّراكم المعرفي بين الأجيال والمجتمعات من خلال نقل التجارب، والأحداث، والمعلومات من جيل إلى آخر، مستخدمين التّرابط، والتّكامل، والتّواصل بين المعلومات.

إن دراسة التّاريخ؛ دراسةً علمية تُؤدِّي - عند الإنسان - إلى تغيير واقعه، وصنعه من جديد، والتّطلع إلى امتلاك المستقبل، والتّحكم به، وتوجيهه حسب ما يحقق له الخير والمنفعة، بل والتّنبؤ بحركته، من خلال معرفة قوانين حصول الأحداث الاجتماعية، فيقوم ـ ابتداء ـ بالتّأثير في حركة التّاريخ، ويصير الإنسان هو الذي يصنع التّاريخ، ولا يسمح للأحداث أن تجعله مادَّة للتّاريخ تركمه في صفحاته، ودراسة التّاريخ هي التي تمنع الإنسان من أن يعيد الماضي، ويجتره، ويدفع ثمن أخطائه، مرة تلو أخرى، ويكرر نفسه باستمرار.

فالتّاريخ، هو مخبر معلوماتي ـ على صعيد الآفاق والأنفس ـ يُمَكِّنُ الإنسان من رؤية عواقب الأمور، التي تدفعه إلى دراسة كيفية حصول ذلك، فيصل إلى القوانين الاجتماعية، التي تحكم حركة التّاريخ، وبناء على تلك الرّؤية، والدّراسة، يستطيع أن يغير الحاضر، ويتحكم بالمستقبل، ويوجهه حسب ما يريد.

3 ـ الوحي الإلهي:

المشاهد في الواقع أنه يوجد مصدر آخرَ للعلم، وهو مهم جدًّاً، وقد أغفله علماء الغرب، ألا وهو الوحي الإلهي[1] الذي يمد المجتمعات الإنسانية بالعلم، نحو أصل خلق الإنسان جسماً، ونفساً، وفطرة، وروحاً، وعقلاً، وتفكيراً، غير ذكر

---

(1) سوف نفرد بحثاً في دراسة ظاهرة الوحي، في كتاب آخر إن شاء الله.

العلاقات التي تربط الإنسان بالحياة والكون، وبما قبل الحياة، وما بعد الحياة، وتنظيم أموره كفرد ومجتمع... الخ.

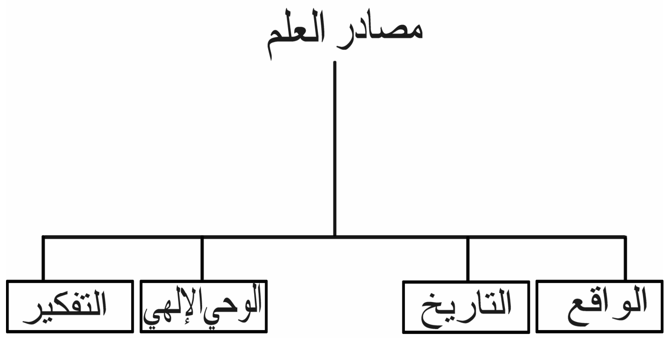
فالوحي الإلهي، مصدر معلوماتي أو تشريعي على صعيد الآفاق والأنفس لا يمكن أن يُستغنى عنه أبداً، ولاسيما فيما يتعلق بالإنسان والمجتمع، ناهيك عن احتوائه على مادَّة ضخمة من أحداث مفصلية في التّاريخ الإنساني تصلح لأن تكون أساساً للدّراسة الاجتماعية التّاريخية، والوُصُول من خلالها إلى قوانين كُلِّيَّة تحكم حركة التّاريخ الإنساني الاجتماعي؛ فينبغي أن يُعطى الوحي الإلهي حقه بين مصادر العلم، بل إن له الأولوية والقيادة مع مصدر الواقع، - تماماً - لا يفترقان أبداً.

فالواقع يؤازر مادَّة الوحي، والوحي الإلهي يؤازر الواقع، فما أُبهم وأُجْمِلَ في أحدهما، يقوم الآخر بتوضيحه، والعلاقة بينهما، علاقة جدلية تكاملية، وذلك يكون بعد إثبات صواب نسبة مادَّة الوحي إلى الله ﷻ ابتداء، وحفظ تلك المادَّة من التّحريف واستمرارها على هذا النّمط.

4. التّفكير:

التّفكير- بالمعنى الذي ذكرناه سابقاً - هو ارتقاء بالتّعقل إلى مستوى البحث والدّراسة، وتحصيل المعلومات من خلال سير الإنسان في الأرض، واستخدامه لما يصل إليه من معلومات في عملية استنبات معلومات جديدة منها، والتّنبؤ بمعلومات أخرى، إن ذلك كله جعل التّفكير مصدراً من مصادر العلم؛ فيستطيع الإنسان من خلال استخدام المعلومات كتربة خصبة أن يستنبت معلومات تجريدية منها، ويرتقي بها، نحو العلوم الرّياضية، والتّنبؤ ببعض المعلومات الفيزيائية، وذلك من خلال استحضار المنظومة الكُلِّيَّة للأمر المعني بالتّفكير.

فالعقل هو دليل نرد به إلى المصادر، وليس هو مصدراً بحد ذاته، بينما التّفكير نرد إليه؛ لنحصل على أفكار مستنبتة من أفكار سابقة، حصلنا عليها عن طريق الورود إلى المصادر الأخرى المذكورة.


مصادر العلم
الواقع
التاريخ
الوحي الإلهي
التفكير

طريقة التّفكير

كلمة طريقة، تدل على الشّيء المستمر الثّابت على ما هو عليه من صفات، ومن هذا الوجه؛ فللتّفكير طريقة ثابتة، وأساليب مختلفة.

فما هي طريقة التّفكير ؟

طريقة التّفكير أمر مُرتبط بنوعية الشّيء الذي نفكر فيه، وفي الواقع نلاحظ، أنه يوجد طريقتين للتّفكير، هما :

الطّريقة الأولى: هي التّفكير الذي يعتمد على العملية العقلية عن طريق الوُصُول من المعلوم إلى المجهول، وقياس الغائب على الشّاهد، المُماثل له، ولأن هذه الطّريقة، تعتمد على العملية العقلية، التي هي التّمييز، والتّحليل، والتّركيب، والرّبط، والاستقراء، والاستنباط، والاستنبات للمعلومات، فسوف نسميها : طريقة التّفكير العقلية، وهذه الطّريقة مُوَجِّهة لكل تفكير يتم، وهي أساس له.

الطّريقة الثّانية: طريقة التّفكير العلمية (التّجريبية) وهذه الطّريقة، تعتمد على التّجربة ـ بصُورة أساسية ـ وتستخدم الملاحظة، والاستنتاج، من خلال إخضاع الشّيء إلى ظُرُوف غير ظُرُوفه، وملاحظة ما يحصل ويتغير فيه، ومن ثمَّ يمكن القيام بعملية الاستنتاج.

مثلاً : إذا عرضنا قطعة حديد إلى الحرارة؛ نلاحظ أنَّ الحديد يتمدد، فنستنتج أنَّ الحديد يتمدد بالحرارة، وننتقل من الاستنتاج إلى الاستقراء، وذلك بتعميم النّتيجة، على كل ما يشارك الحديد من المعادن؛ فنقول : المعادن تتمدد بالحرارة.

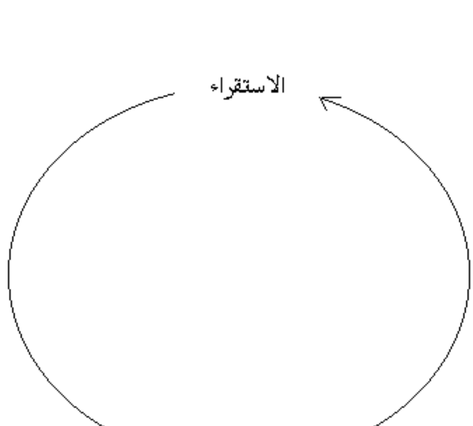
فالاستنتاج: هو نزول من الحكم الكلي المعمم؛ إلى الجزء، والحكم عليه من خلال الملاحظة والتّجربة.

الاستقراء: هو انتقال من الاستنتاج (الحكم الجزئي)؛ إلى التّعميم على الكل، فنلاحظ أنَّ الاستقراء يتضمن الاستنتاج، والاستنتاج يوصل إلى الاستقراء، وبينهما علاقة تكاملية تضمنية لا ينفصلان عن بعضهما أبداً.

وهذه الطّريقة للتّفكير تعتمد على الملاحظة والتّجربة؛ لمعرفة مصداقية الفكرة في الواقع، والوُصُول إلى المعلومات، وهذا يعني أنها خاصَّة في الأشياء التي تخضع للتّجربة، فلا تشمل الأمور المعنوية أو الغيبية أو التّجريدية... الخ، ومن ثمَّ، فمن الغلط تعميم هذه الطّريقة على كل شيء، وإنَّما ينبغي حصرها في مجالها فقط، وهي في النّهاية تابعة لطريقة التّفكير العقلية، وسميت طريقة؛ لأن أسلوبها في التّفكير ثابت على منهج التّجربة والملاحظة، ووضع الشّيء في غير ظُرُوفه، والاستنتاج بصُورة دائمة.

وينبغي العلم أنَّ الحكم الذي نصل إليه من خلال طريقة التّفكير العلمية (التّجريبية)، هو أمر نسبي مُرتبط بظُرُوفه، بينما الحكم الذي نصل إليه من طريقة التّفكير العقلية هو ثابت ومستمر، مثل المفاهيم الرّياضية.

والإنسان كمجتمع، لابُدَّ أن يقوم بالطّريقتين في التّفكير؛ ليحقق النّهضة ويبني حضارة إنسانية، أساسها قائم على الإنسان وليس على الأشياء.



الفصل الخامس

أســـلوب التّفكير

1 ـ أسلوب التّفكير التّشريعي أو القانوني

2 ـ أسلوب التّفكير السّياسي

من أهم المفاهيم السّياسية

3 ـ أسلوب التّفكير الاجتماعي

4 ـ أسلوب التّفكير المنطقي الأرسطي

5 ـ أسلوب التّفكير الجدالي

6 ـ أسلوب التّفكير الموضوعي والذّاتي

7 ـ أسلوب التّفكير المنطقي الرّياضي

8 ـ أسلوب التّفكير النّفسي

9 ـ أسلوب التّفكير العلمي

أسلوب التّفكير

إنَّ لعملية التّفكير طريقتين:

الأولى: طريقة التّفكير العقلية، وهي الأساس لكل تفكير يحدث.

والأخرى: طريقة التّفكير العلمية (التّجريبية)، ولكلٍ أساليب في التّفكير متغيرة حسب تغير الشّيء الذي نفكر فيه؛ لأن لكل مادَّة أو موضوع، أسلوب يناسبه في التّفكير فيه.

1. أسلوب التّفكير التّشريعي أو القانوني:

هو تفكير لوضع نظام ومعالجة منبثق من ثوابت ليحقق مقاصد ضمن متغيرات؛ فالمفكر التّشريعي ينطلق ابتداء من المقاصد، ويضعها نصب عينيه، ومن ثم يحدد الثّوابت، وبعد ذلك يدرس الأحداث، ويضع القانون أو الحكم الذي يعالج به الحدث، ويُنظم حدوثه ـ في الواقع ـ بصُورة تضمن للإنسان التّحرك؛ لتحقيق المقاصد وفق الثّوابت.

2. أسلوب التّفكير السّياسي:

هو تفكير للعناية بالنّاس ـ كمجتمع ـ من خلال الحركة والمناورة بين المتغيرات ضمن الثّوابت لتحقيق المقاصد وَفق سُلَّم الأولويات.

مثلاً: المقاومة ضد الاحتلال الغاشم أمر مشروع، بل واجب شرعي وواجب وطني؛ ولهذه المقاومة أساليب، وكلها مشروعة، و ليست كلها مُجدية في الواقع، وتُحقق الغاية؛ فمن هذا الوجه ينبغي على القائد السّياسي، والمفكر السّياسي أن يختار أسلوب المقاومة النّاجح المجدي حسب ظرفه الرّاهن الذي يحقق المقصد والمصلحة، فإن كان الأسلوب الذي اختاره لا يحقق المصلحة، ولا يوصل إلى المقصد، فينبغي على السّياسي أن يغير أسلوب المقاومة، وينتقل إلى أسلوب آخر، أجدى في الظّرف الجديد، وهكذا دواليك.

ومن هذا الوجه، يتبين لنا أهمية وُجُود الفكر السّياسي قبل المقاومة، لأن أي مقاومة دون فكر سياسي، هي عمل غوغائي؛ نتيجته الفشل والإحباط والضّرر الذي ينعكس على الأمة، وهي التي تدفع الثّمن غالياً، من كرامتها، وأبنائها، وأمنها، واستقرارها، وممتلكاتها، ومستقبلها.

من أهم أساليب المقاومة

1 ـ أسلوب المقاومة الثّقافية.

2 ـ أسلوب المقاومة السّياسية الإعلامية.

3 ـ أسلوب المقاومة الاقتصادية.

4 ـ أسلوب المقاومة المدنية (الصيام).

5ـ أسلوب المقاومة المسلحة (وهذا خاص في حال الاحتلال والاستعمار والإخراج من الأرض).

فكل أسلوب للمقاومة له وقته وظرفه، وعلى السّياسي أن يناور ويتحرك بين الأساليب، التي تخدم مصلحة الأمة وتحفظ وجودها وكيانها وبنيتها الدّاخلية.

فليس الموت هدفاً في المعركة أو المقاومة، كما أن قتل العدو دون مقصد سياسي، ليس هدفاً بحد ذاته، ويجب دفع الضّرر بالمنفعة، واختيار أهون الضّررين إن كان لابد من ذلك، والانطلاق من حفظ دماء أنفسنا وأبنائنا وحقنها، وليس من سفك دماءَ أعدائنا، فالقيمة الحقيقية هي للإنسان والمجتمع، فالإنسان ـ كمجتمع ـ هو الوطن وليس الأرض، فمن الحمق أن أفوز بالأرض مقابل التّضحية بالمجتمع، وينطبق علينا مقولة الأطباء الحمقى: نجحت العملية الجراحية نجاحاً منقطع النظير، ولكن المريض مات!.

لذلك؛ ينبغي على السّياسي أن يكون على مستوى اللّعبة السّياسية، فلا يَستَخفَّنه الأعداء، ولا يسمح لهم بإثارته؛ للقيام برد فعل يدفع ثمنه غالياً فيما بعد، ويندم حين لا ينفع النّدم.

فينبغي على السّياسي، ألا تكون أفعاله هي انفعالات، وردات أفعال للآخرين، لأنه إذا كان كذلك؛ سَهُل التّحكم به، وتوجيهه، حسب مصالح الأعداء.

مثلاً: يمكن أن يختار السّياسي أسلوب مقاومة الصيام المدني؛ فيقوم العدو ليجهض هذا الأسلوب بدس فئة من النّفعيين بينهم، ويمارسون المقاومة المسلحة، ومن ثمّ، يجد العدو مبرراً ليجابه المقاومة ككل؛ متهماً إياها بالعنف الإرهابي، ويقوم بضرب المقاومة كلها، وهكذا دواليك.

وينبغي ألا يتصدى لقيادة الأمة - فكرياً وسياسياً -، رجال من عامّة النّاس، أو حديثو عهد بالسّياسة، وذلك لسهولة التّحكم بهم، من خلال انفعالاتهم وردات أفعالهم التي تقتضيها ضحالة ثقافتهم أو صغر سنهم، وعلى الأمة أن لا تتبع كل من ينادي للمقاومة، بأي أسلوب كان بصُورة عاطفية غوغائية، ومن هذا الوجه، تبرز أهمية العلماء المفكرين، والتّفاف الأمة حولهم؛ ليبينوا صواب هذا الأسلوب أو خطئه، وتعرية الدّعوات على أرض الواقع، وكشف المخططات والمؤامرات التي تُحاك ضد الأمة.

فوُجُود التّفكير السّياسي أمر هام جدّاً في الأمة، لأن مصير الأمة مُرتبط به.

لذا، ينبغي نشر أسلوب التّفكير السّياسي في الأمة؛ لتحفظ نفسها من الهلاك، ومن أن تكون ألعوبة بيد الآخرين.

وينبغي أن لا تكون قيادة الأمة سياسياً وفكرياً، محصُورة بشخص رجل واحد، تكون الأمة بكاملها تحت رحمته، وتتحمل نتيجة أي قرار يصدر منه بصُورة خاطئة أو نزوة خاصَّة به، لذا، ينبغي أن يصدر القرار السّياسي من مجموعة قوى، تمثل الأمة بمعظمها؛ حتَّى يكون القرار السّياسي نابعاً من فكر الأمة غالباً، ومن ثمّ تقف الأمة وراء قيادتها تحميها وتدافع عن قرارها وتضحي من أجله.

من أهم المفاهيم السّياسية

1ـ الصّراع قانون اجتماعي، لا يمكن إزالته من الواقع، وذلك لأن الواقع الاجتماعي يقوم على قانون العلاقات الثنائية النقيضية أو الضدية، ويكون من حالة الصّراع السّلمي إلى حالة الصّراع الدّموي (الحرب) فينبغي على المجتمعات أن تُقلص حالة الصّراع إلى حده الأدنى السّلمي، وتجعله هو الأساس، وتجعل العنف، والقتل، والحرب، والدّمار، حالة مَرضية، ينبغي أن تكون على الحد الأدنى واضطراراً؛ لا اختياراً، من باب آخر الطّب الكي.

وهذا يقتضي من المفكرين، نشر الثّقافة السّلمية من مفهوم حق الحياة للجميع، والجميع متساوون بالإنسانية، ويملكون الحُرِّيَّة بمعناها العام، وما في الأرض من ثروات وخيرات إنَّما هي ملك للجميع، الأَوْلى فالأولى، ومحور الحياة هو الإنسان.

2 ـ لا يمكن للذئب أن يصادق الحَمَل.

إذا رأيت الذئب يرعى الغنم؛ فاعلم أنه يسمنها ليأكلها.

3 ـ النّظر إلى الأعمال، وليس إلى الأقوال.

4 ـ قيمة الأمور بالمآل وليست بالبدايات. (إنَّما الأعمال بمآلها).

5 ـ اخْفِ الأهداف المرحلية ما استطعت. (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان).

6 ـ احفظ خط الرّجعة، في كل أمر أردت.

7 ـ لا تُدر ظهرك لعدوك، ولو ألقى سلاحه.

8 ـ لا تثق، ولا تأمن لمن تقوم ثقافته على العنف، ورفض الآخر؛ فسُلُوكه الحالي هو مجرد مناورة.

9 ـ إذا ظفرت بعدوك؛ فلا تدع له فرصة أخرى ليقتلك، جرده من قوته.

10- لا تُصَرِّح بكل ما تعلم، وإذا تحدثت فليكن حديثك عامّاً غير محدد.

11 ـ لا تصدق كل ما تسمع.

12 ـ إذا أقدمت على أمر، فليكن في جعبتك مجموعة من الحُلُول البديلة الجاهزة في حال الفشل.

13 ـ ينبغي التّفريق بين السّياسة، والأخلاق فلكل منهما دوره ومكانه.

14 ـ تتحرك الشُّعُوب بالعاطفة، وليس بالمنطق، ولها الظّاهر ولا تدرك الباطن.

15- ينبغي أن نفرق بين مفهوم الرعاية؛ التي هي للمواشي، ومفهوم العناية التي هي للإنسان.

16- لاتجمد عند الألفاظ واهتم بالمضمون.

17- لامانع من التنازل عن الوسائل أو صيغ الاتفاق اللسانية طالما أنها لاتمس المضمون وتحفظ الهدف وتحققه.

18- التفاوض على شيء يعني وجود التنازل عن شيء، فليكن بجعبتك ما تتنازل عنه.

19- ادخل التفاوض وارفع سقف مطالبك حتى تحصل على ماتريد وجئت من أجله.

20- ادخل التفاوض ومعك الحلول البديلة عن ماترفضه أو تريد تغييره.

21- لاتسمح بتشعب نقاش الأمور أو عرض أكثر من أمر في جلسة النقاش.

22- لاتناقش اي موضوع خارج عن الموضوع الذي جئت من أجله.

23- لاتسمح باستفزازك من خلال فتح السيرة الذاتية أو الهجوم الشخصي واطلب العودة لموضوع النقاش.

23- لاترد على أي سؤال يطلب تبرير سلوك فئة أو شخص ما.

24- ليس لكل سؤال جواب جاهز.

25- السائل حر بسؤاله وأنت حر بجوابك.

26- لاتسمح بحصرك في فكرة معينة أو الضغط عليك في الجواب عن مسألة معينة.

27- قم بقيادة الحوار وتوجيه الأسئلة.

28- أجل اي سؤال لاتريد الجواب عنه إلى آخر الجلسة وبعد ذلك أهمله وتجاهله وانصرف.

29- إن توجه إليك عدة أسئلة اختر منها ما تريد الجواب عنه واهمل الباقي.

30- إن خيرت في عرض كل الأسئلة عليك دفعة واحدة أو كل واحد بعينه فاختر العرض لها جميعا واختر منها ماتريد الجواب عنه واهمل الباقي، وسوف ينسى الجمهور ماسال.

31- ليس كل مايعلم يقال.

32- لاتفصح بمعلومات لاعلاقة لها بموضوع محل النقاش.

33- اظهر بمظهر الفاهم والذكي والماكر والمناور.

34- اظهر بمظهر القوي والواثق من قضيتك ولو كنت ضعيفاً.

35- لاتظهر التردد والارتباك في كلامك أو عدم معرفتك لأبعاد القضية وحاول أن تقرأ الآخر وماعنده.

36- لاتناقش الجزئيات وصغائر الأمور والشكليات.

37- لاتعرض نقاش الأمور على عامة الناس.

38- لاترد على اشكاليات الناس وبادلهم الابتسامات والنظرات مشجعاً ومهتماً بهم.

39- وافق على رغبة الناس أوالأكثرية فيما لايضر القضية أو الهدف.

40- شاور الناس وخذ برأيهم في المسائل التي تتحمل عدة خيارات صائبة في التطبيق وفق الخطة العامة.

41- شاور الناس في ماكلهم ومشربهم ومسكنهم وعملهم وكل ما يخصهم مما لا علاقة له بالسياسة والاختصاص العلمي .

42- خفف من الاحتكاك والاختلاط بالناس لتحافظ على مكانتك .

43- انتق من اللباس مايظهرك واثقا من نفسك وأنيقاً .

44- ثبت نظرك بقوة في عين المتكلم معك أو الذي تخاطبه.

45- أنشئ فريق عمل يساعدك في قيادتك ويحمل أمرك ويحوله إلى عمل ويتابعه

3. أسلوب التّفكير الاجتماعي :

هو أسلوب يهتم بالإنسان كمجتمع وأسرة، وذلك من خلال النّظر إلى الظّواهر والعواقب الاجتماعية، والأنفع والأجدى والأبقى للنّاس مما يحقق السّعادة والصّحة والرّقي والنّهضة الاجتماعية.

فلا يبحث في المشاكل الفردية، وما يتعلق بها، ولو أنه يأخذ بعين الاعتبار علم النّفس، والفلسفة ـ كعلوم مساعدة ـ في فهم المجتمع والأسرة.

لذا، ينبغي الانتباه، حين دراسة النُّصُوص القرآنية المتعلقة بالمجتمع، وعدم النّظر إليها من النّاحية الفردية؛ لأن قوانين المجتمع غير قوانين الفرد. نحو قوله تعالى:

{ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (الرعد 11).

وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (محمد 7).

فهذان نصان اجتماعيان، وليسا فرديين، فالفرد؛ ولو قام بتغيير ما بنفسه فإن الواقع لا يتغير؛ لأن تغير الواقع مُرتبط بالقوم (المجتمع) وتغيير المجتمع له قوانين خاصَّة به.

فمن الغلط الفاحش، أن يتناقش اثنان، أحدهما ينظر إلى الأمر من النّاحية الفردية، والآخر من النّاحية الاجتماعية، والنّتيجة هي نقاش عقيم لا يمكن أن يتم التّفاهم بينهما.

لذا، لابُدَّ أولاً من تحديد الموضوع؛ هل هو اجتماعي أو فردي؟ وبناء على تحديد الموضوع، يستخدم العلم والأصول المتعلقة بالموضوع؛ فإن كان الموضوع اجتماعياً، فالعلم الذي ينبغي أن يستخدم هو علم الاجتماع بالدّرجة الأولى، وهكذا لكل موضوع علمه الذي ينبغي أن يستخدم في الدّراسة والنّقاش، لأننا كثيراً ما نرى أو نسمع حواراً بين عالمين أو باحثين في موضوع معين، ويختلفان بصُورة كبيرة إلى درجة التّسفيه والاتهام المتبادل بينهما، وعندما نطلع وندرس الموضوع محل النّقاش بينهما، نلاحظ أن كلاًّ منهما ينظر من زاوية مختلفة عن الآخر ـ تماماً ـ، أحدهما يعالج الموضوع بصُورة فردية، والآخر بصُورة اجتماعية، أو أحدهما ينظر إلى الأمر سياسياً، والآخر ينظر إليه أخلاقياً، أو يتناول أحدهما الأمر ظاهرياً، والآخر يغوص إلى باطنه، أو يقف أحدهما على منطوق النّص، والآخر يتجاوزه إلى المقصد، وهكذا دواليك.

فينبغي الانتباه أثناء الدّراسة والنّقاش، وإعطاء كل موضوع حقه من العلم، والنّظر إليه من جوانب متعددة ليُتمكَّن من بناء صُورة، وفكرة كُلِّيَّة، وبعد ذلك؛ يتم اختيار جزءٍ منه؛ للتّوسع في دراسته، وَفق منظومته التي ينتمي إليها.

4 . أسلوب التّفكير المنطقي الأرسطي:

وهذا التّفكير هو أسلوب صُوري عقيم، لا ينشئ فكراً، وإنّما يقرر واقعاً.

وهو أسلوب يعتمد على ربط المقدمات بالنّتائج، والقضايا بصُورة يُراعى فيها الشّكل دون المضمون وصوابه؛ فهو أسلوب زئبقي، يتلاعب فيه المتكلم المتمكن

منه؛ ليشكك النّاس البسطاء في معتقداتهم أو ليسخر منهم، ويظهرهم في موقف الجهل والعجز.

كنت ذات يوم، أستمع إلى محاضرة في أحد المراكز الثقافية – في دمشق– من دكتور مرموق في الفلسفة، وتطرَّق أحد الحاضرين إلى مسألة إثبات وجود الخالق من الناحية الفلسفية؛ فقال الدكتور: (إن الطريقة التي تُستخدم في إثبات وجود الخالق هي نفسها تصلح لنفيه) وذلك لإثبات نسبية وجود الخالق، و لا يمكن للعلم أن يثبتها، وضرب على ذلك مثلاً فقال: (كل موجود بحاجة إلى موجد، الله موجود، إذن بحاجة إلى موجد)، وانطلت هذه الجملة على معظم الحاضرين، وسكتوا؛ لا قناعة، بل حيرة وارتباكاً من هذا المنطق الأعوج.

ولا أدري، هل قال الدّكتور ذلك جهلاً منه، أو إشكالاً؛ ليثير التّفكير عند الحضور، فهو لم يصرح بأي موقف تجاه مقولته.

إن هذا الأسلوب من التّفكير، لا يزيد العالم علماً، ولا يرفع عن الجاهل جهله؛ فهو كما قيل: **الذّكي لا يحتاجه، والإنسان العادي لا يفهمه.**

ولنحلل المقولة السّابقة؛ لتبيين التّلاعب فيها وإظهار بطلانها.

1 ـ كل موجود بحاجة إلى موجد (مقدمة كاذبة).

ذلك لأنَّ الخالق المدبر، يتصف بالوجود دون احتياج لموجد، وهذا ثابت من جراء أن لابد لكل فعل من فاعل ـ ضرورة واقعية ـ وإلاَّ اقتضى نفي وُجُود الفعل أصلاً، وكون الفعل موجوداً في الواقع المشاهد، اقتضى ضرورة ووجوباً وُجُود الفاعل الأزلي.

2 ـ الله موجود (قضية حقيقية صادقة رغم خطأ الصياغة).

3 ـ الله محتاج إلى موجد (قضية باطلة نتيجة كذب المقدمة الأولى).

ونقول:

1 ـ كل فعل لابُدَّ له من فاعل (مقدمة صادقة).

2 ـ الكون فعل (قضية صادقة متطابقة مع الواقع، من حيث صفة الكون بالمحدودية).

3 ـ الكون، لابُدَّ له من فاعل (قضية حقيقية، نتيجة صدق المقدمة الأولى والثّانية)

مع العلم أن صفة الموجود، لا يصح استخدامها على الله؛ لأنَّ الله له صفة الوجود فهو واجب الوجود، بخلاف دلالة كلمة (موجود) فهي تدل على احتمال الغياب سابقاً ؛ أو لاحقاً. وينبغي التفريق بين التصديق بوجود الخالق المدبر الذي هو فطرة، والإيمان أو الكفر به الذي هو حرية واختيار، وليس المطلوب التصديق بوجود الخالق لأن ذلك تحصيل حاصل، وغير قابل للبرهنة لثبوته بداهة في الواقع المشاهد، وإنما المطلوب اتخاذ موقف تجاه هذا التصديق إما الإيمان أو الكفر، فالتصديق بوجود الله فطرة وبداهة، والإيمان به حرية وإختيار، وكلاهما لايخضعان للبرهنة أو النقاش.

5. أسلوب التّفكير الجدالي:

الجدال في موضوع معين لإثبات صوابه، هو أمر مرتهن بأسلوب عرض الفكرة، وقوة البرهان، والرّبط العقلي ما بين الفكرة وبرهانها بحيث يكون البرهان من جنس الفكرة، وليس مجرد عرض أفكار متتابعة ونقل أقوال الرّجال، فالفكرة تستمد صوابها من برهانها، الذي هو من جنسها، وليس من عرض براهين مختلفة؛ لا علاقة لها بالفكرة، ولا من استعراض أقوال الرّجال، أو الأكثرية، أو القِدَم الزّمني للفكرة، أو المكانة الاجتماعية للقائل بالفكرة.

أسلوب جدال النبي إبراهيم

لِنَرَ جدال النّبي إبراهيم ـ إمام النّاس ـ كيف جادل موضوع إثبات توحيد ربوبية الله من خلال استخدام ثبوت توحيد الخالقية لله واقعاً[1] ؟.

الموضوع الأول: قال تعالى:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (البقرة 258).

الملاحظ ،في نقاش النبي إبراهيم، أنه اعتمد على عدة أمور في جداله، وهي:

1. **إرجاع الفكرة الفرعية إلى أصلها الثّابت**؛ وذلك واضح من خلال نقاشه قضية توحيد ربوبية الله؛ إذ أرجعها مُباشرة إلى الأصل، وهو مقام الخالقية، فالخالق يحيي ويميت، فمن يدَّعي ربوبية هذا الكون (الرّب الأعلى) يجب أن يكون أولاً هو الخالق، فإذا انتفى عنه مقام الخالق؛ انتفى عنه بداهة مقام الربوبية ، لأنَّ الخالق هو رب الكون، والعكس صواب.

2. **إسقاط الفكرة على الواقع عملياً**؛ وذلك عندما أتى النّبي إبراهيم بصفتي فعل لله ﷻ هما الإحياء والإماتة.

3 . **عدم الانزلاق في مكابرة المجادل**، وترهاته، وشططه، إن حاد عن الموضوع، وتمادى، واستغفل الموجودين؛ فالملك يعلم يقيناً أنه لا يستطيع إحياء الميت، ومع ذلك قال مدعياً: أنا أحيي وأميت؛ يحاول في ذلك تمييع الموضوع، والسّخرية منه.

---

[1] راجع كتابي الألوهية والحاكمية لمعرفة الفرق بين كل من الخالق، الملك، الرب، الإله.

4ـ **تغيير المثل الذي عُرض**، وعدم الدّخول مع المجادل في مغالطّاته؛ لأنَّ النّقاش، إنَّما هو على فكرة معينة (توحيد الرّبوبية) وليس محل النّقاش المثل، الذي يُضرب لتوضيح الفكرة.

5ـ **الاحتفاظ بإدارة الجدال**، وعدم تمكين الطّرف الثّاني من الإدارة، وهذا يقتضي المرونة وسرعة البداهة.

6 . **ضبط الجدال حول موضوع محدد** ، وعدم إقحام أي موضوع آخر فيه، فينبغي الانتباه إلى هذه النّاحية، وعدم السّماح للطّرف الثّاني بمحاولة تشتيت الموضوع، من خلال طرحه أسئلة إشكالية لا علاقة لها بالموضوع، وهذا الأسلوب التشتيتي للموضوع هو أسلوب فرعون عندما قال للنبي موسى: { فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى }طه51 وذلك ليسطح الموضوع، ويشتت انتباه الناس.

مثل: من قال بقولك ؟ ولماذا لم يقل النّاس بقولك ؟ ما بال القرون الأولى؟

7. **الاستماع وفهم وجهة نظر الطّرف الثّاني**، والحجة التي يأتي بها؛ وذلك للقدرة على الرّد المناسب، وجعل الآخر يسمعك كما سمعته.

8. **عدم إهانة المجادل**، أو تسفيه رأيه؛ حتَّى لا يتحول الجدال إلى جلسة لتبادل الشّتائم؛ لأنَّ المجادل ـ قطعاً ـ سوف ينفعل ويدافع عن نفسه، ورأيه، وذلك بإرجاع ما وُجِّهَ إليه من هجوم إلى الآخر.

9. **عدم إدخال مسألة تقويم الأشخاص في النّقاش بالأفكار**.

10. **إنهاء الجدال** إذا أعطي حقه، وعدم الدّخول في تكرار، وثرثرة غير مبررة؛ لأن ذلك سوف ينتج عنه الضّيق والكره والملل والتّوتر والانفعال.

11 . **إنهاء الجدال باحترام** وصدر رحب دون إنقاص من قيمة أحد.

12 . **التّواضع بعد ظُهُور صواب الفكرة**، وقيام الحجة على الآخر.

الموضوع الثّاني: قال تعالى:

{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۞فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (الأنعام 75 ـ 79).

الملاحظ من الحوار ـ كنظم كلي ـ أن إبراهيم، كان مصدقاً بوجود خالق للسّماوات والأرض، دلَّ على ذلك قوله (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) ، والفاطر هو الذي بدأ فعل الشّيء.

وكان إبراهيم ـ أيضاً ـ مصدقاً بربوبية الله الخالق، دلَّ على ذلك قوله (لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي) ما هو موضوع الحوار إذاً؟

موضوع الحوار، هو تجسيدُ الرّب في الواقع، وتعدد الأرباب، وكون مفهوم خالق السّماوات والأرض مسألة محل تسليم وإقرار؛ ينبغي أن يكون الخالق هو الرّب الأعلى ضرورةً، ولكن قوم إبراهيم أشركوا مع الله لمّا اعتقدوا أنَّ الكواكب،هي أرباب مستقلة بنفسها قائمة على تدبير أمور الخلق، فالله يخلق، والكواكب تُدبر الأمر، ومن ثمَّ توجه قوم إبراهيم إلى عبادة الكواكب مع إقرارهم بأنَّ الله هو الخالق الفاطر للسّماوات والأرض، فوقعوا في شرك الرّبوبية، وهنا جاء دور النّبي إبراهيم في الأخذ بيد قومه خطوة خطوة؛ لإيصالهم إلى الحقيقة.

أول خطوة في الحوار قام النّبي إبراهيم بها هي **مجاراة قومه، والنّزول إلى مستواهم في التّفكير**، والملاحظ أنَّ النّبي إبراهيم اختار كوكباً غير الكوكب الذي يعبده قومه؛ وذلك لإيصال فكرة هي أنَّ الكواكب متماثلة، وكما لكم الحُرِّيَّة في الاختيار، وأنا لي الحُرِّيَّة في الاختيار، وكوكبكم ليس أولى من كوكبي، وقال لهم: هذا ربي؛ (وذلك من باب الجدال) فلما أفل (غاب) قال: لا أحب الآفلين؛ لأنَّ الرّب

هو القائم على شؤون تدبير أمور عباده، فما ينبغي أن يغيب عنهم أبداً، وما ينطبق على كوكب إبراهيم، ينطبق على كوكب قومه، قياساً أولوياً لتماثل الكواكب في الأفول، وكان اختيار إبراهيم كوكباً آخر، لفتة منه لعقل قومه؛ وحتّى لا يتعرض لإنكار ربوبية كوكب قومه ـ بصُورة مُباشرة ـ فيثيرهم عليه ابتداء.

ولما بزغ القمر؛ انتقل إليه وقال: هذا أولى أن يكون رباً من الكوكب الذي أفل، وذلك لإضاءته، فلما أفل؛ أنكر ربوبيته لكونه متصفاً بصفة الكوكب السّابق، إذاً، هو مثله مُسيَّر من قبل جهة معينة، وألقى كلمة على قومه تقربهم من الحقيقة، فقال: لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } **فهو مؤمن بربوبية الله، وكذلك قومه،** ولكنهم أشركوا معه أرباباً (مدبرين) للكون، واعتقدوا أنهم الكواكب التي تشارك الرّب الأعلى، في عملية تدبير أمور الكون؛ فعبدوها من دون الله.

واستمر الحوار طوال اللّيل، إلى أن أشرقت الشّمس؛ فقال إبراهيم لقومه بعد أن هيأهم وحفز التّفكير عندهم: الشّمس ربي، وهي أكبر من كل ما مرَّ ذكره من الكواكب، إلى أن أفلت، فقال: يا قوم إني بريء ممَّا تشركون؛ والملاحظ أنَّ الحوار استمر إلى أن غابت الشّمس، وقد استخدم إبراهيم القاعدة ذاتها، وهي **أنَّ أفول الكواكب، يدل على محدوديتها، وعجزها، وتسييرها** من قبل الغير، ومن ثمَّ فكل من يأفل فهو محدود ـ قطعاً ـ، وكون الشّمس قد أفلت، فهي محدودة مثل الكواكب السّابقة، وأثار التّفكير في قومه؛ فقال لهم: إذا كنتم تعبدون هذا الكوكب، لأنه كبير؛ فالشّمس أكبر، وهي أولى حسب قياسكم بالعبادة، وكون الشّمس، وهي أكبر تأفل مثل الكواكب الأخرى؛ ممَّا يدل على انتفاء صفة الرّبوبية عن الشّمس-ابتداءً- ومن باب أولى عن الكواكب المحدودة كلها.

وقام بإرجاع الأمر إلى الخالق الفاطر(يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)، ووجَّه قومه إلى منحى آخر في التّفكير، وهو أنكم مؤمنون بوُجُود الخالق الفاطر للسّماوات والأرض، وأنه الرب الأعلى رغم عدم رؤيتكم له، والإيمان بتوحيد ربوبيته، مسألة تابعة للإيمان بتوحيد صفة الخالق له، وهي مثلها في المستوى، فلماذا آمنتم بواحدة

وأشركتم بالثّانية، بمعنى آخر، لماذا كانت مسألة الخالقية إيماناً مجرداً دون تجسيد، ومسألة الرّبوبية قمتم بتجسيدها في الواقع، فأنا وجهت وجهي للذي فطر السّماوات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين بربوبيته، وكما آمنت بتوحيد مقام الخالقية له؛ أؤمن بتوحيد مقام الرّبوبية له تجريداً دون تجسيد له في الواقع؛ فالخالق هو الرّب الأعلى، والرّب هو الخالق.

الملاحظ من الحوار ككل، مجموعة من الأمور أهمها:

1 ـ النّزول بمستوى التّفكير، إلى مستوى الطّرف الثّاني.

2 ـ فهم أفكار الطّرف الثّاني تماماً؛ لدحضها.

3 ـ مجاراة الطّرف الثّاني بأفكاره، والأخذ بيده.

4 ـ الابتداء من الشّك، وبصُورة موضوعية؛ للوُصُول إلى اليقين.

5 ـ إلزام الطّرف الثّاني بمُماثلة أفكاره، (كوكبكم مثل كوكبي كلاهما يأفل).

6ـ ينبغي أن يأخذ النّقاش مجراه، ولو اقتضى الأمر أن يستمر عدة أيام مع الفاصل الزّمني؛ لتترسخ الأفكار.

7 ـ عدم مجابهة أفكار الخصم بصُورة مُباشرة.

8ـ نقض الأفكار الجديدة ليتمكن الآخر ويتجرأ على نقض أفكاره القديمة من خلال عملية المُماثلة.

9ـ الإتيان بأمثلة أكبر من أفكار المجادل، ودحضها؛ حتَّى يتبين له أن أفكاره باطلة من باب أولى،(هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ)

10 ـ إسقاط الأفكار على الواقع بصُورة تدريجية.

11ـ التّصريح ببطلان الأفكار بعد تفنيدها، وعدم ثبوتها في الواقع، واتِّخاذ موقف الرّفض، والبراءة من الأفكار الباطلة.

12ـ عرض الفكر الحق، وإظهار الولاء له، والتّمسك به، والاستعداد الدّائم لتغيير الأفكار وتحديثها نحو الحق.

13 ـ التّصريح في النّقاش والجدال، بأنَّ المقصد هو الوُصُول إلى الحقيقة.

***الموضوع الثالث*:** قال تعالى:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ ۞إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ ۞قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۞قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۞وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۞فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۞قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۞قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ۞فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ۞قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۞قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ } (الأنبياء 51 ـ 69)

لن ندخل في تفسير النّص، وتأويله، وأبعاده العظيمة، فهذا مجاله في بحث آخر، والذي يهمنا من النّص، في موضوع بحثنا هو أسلوب تفكير جدال النّبي إبراهيم.

الملاحظ في الحوار، مجموعة من الأمور وهي:

1 ـ روح المبادرة والمسؤولية من النّبي إبراهيم.

2 ـ الحكم بالضّلال على إتباع الآباء؛ لمجرد أنهم آباء.

3 ـ الجدية في الحوار وتبيين الحق.

4 ـ التّخطيط العملي لإثبات الحق.

5 ـ إظهار تهافت الباطل بصُورة واضحة وصريحة.

6 ـ عدم استخدام الكذب في الدّعوة إلى الحق؛ لأنه خُلق ذميم يقدح في نزاهة المفكر؛ لذلك لم يقل النّبي إبراهيم: لا؛ لم أفعل، ولو قال ذلك لأخذ الجدال منحى آخر، وأثبتوا كذبه بالشّهود، وأمام النّاس، وخسر دعوته وفشل في تحقيق ما يريد، بل قال:

{ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ }

7ـ الحيدة عن جواب السؤال، وتوجيه فكر السّائل إلى الأهم في الموضوع، الذي هو محور البحث.

فجواب النّبي إبراهيم السّابق، واضح وصريح للسّائل ومفهوم مقصده، فهو لم يكذب، ولم ينكر فعله، بل حاد عن الجواب ـ مستغلاً عقيدة السّائل ـ من كونه يعتقد بربوبية هذه الأصنام، فإن كان الأمر كما تقولون؛ فالفاعل هو الصّنم الكبير؛ أراد لنفسه الزّعامَّة المطلقة، ومعلوم عندهم ـ بداهة ـ أن ذلك لا يمكن في الواقع، فهذه التّماثيل هي مجرد حجارة، أو خشب، لا تسمع، ولا تنطق، ولا تضر، أو تنفع، فأدركوا ما يرمي إليه إبراهيم؛ فلم يدخلوا معه في نقاش، أو جدال في هذا الموضوع، بل كعادة السّدنة والكهنة، المستفيدون من هذه العقائد والمعابد في تذليل النّاس وأكل أموالهم بالباطل؛ لجؤوا إلى أسلوب إثارة غوغاء النّاس، وطالبوا بدعمهم ونصرة معتقداتهم، وقتل هذا الإنسان، الذي يريد أن يهدم عقيدة الآباء، ومن ثمَّ، تغلق هذه المعابد، ويخسرون الزّعامَّة واستعباد النّاس، ومص دمائهم، من خلال أخذ أموالهم، واستغلال جهودهم، فالحل هو: حَرِّقوه وانصروا آلهتكم!.

8ـ استخدم النّبي إبراهيم جواباً، يدل ـ ضمناً ـ على أنه الفاعل حقيقة، فلم يقل: لا؛ لست أنا الفاعل؛ بل أجاب بجوابٍ لا يمكن أن يكون في الواقع حقاً، والسّائل يدرك ذلك، وقد وصل إليه الجواب تماماً، وعلم أنَّ النّبي إبراهيم هو الفاعل حقيقة، ولكنه أحرجهم بجوابه ذاك أمام النّاس، واضطرهم لأن يقوموا بالتّعقل (الإدراك) للحدث في أنفسهم وأمام النّاس؛ فلم يستطيعوا إلا أن يعترفوا بالحقيقة، وأنهم ظالمون لأنفسهم لمّا اغتالوا العقل، ومع ذلك استمروا في ظلمهم، وتمثيلهم أمام النّاس للمحكمة العادلة؛ فقالوا له وهم خجلون من أنفسهم ،ومن إبراهيم عليه السلام: { ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ }.

وأرادوا في محاولةٍ منهم يائسةٍ إرجاع النّقاش إلى موضوع التّماثيل، ومن فعل ذلك بهم؛ ولكن النّبي إبراهيم لم ينجرف معهم في هذه المهزلة واستمر يناقش في محور الفكرة الأساسي، فقال: إن كان الأمر كما تقولون فلماذا تعبدوهم ؟!

9. بعد أن ينقطع المجادل عن النّقاش، ويثبت للنّاس كذبه، أو خطؤه ويستمر في ظلمه وتماديه بالباطل؛ فلابُدَّ لصاحب الفكر الحق من أن يُظهر استياؤه وأسفه عليه، ويعاتبه ويوبخه.

{أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }

6. أسلوب التّفكير الموضوعي والذّاتي:

إن **التّفكير الموضوعي** هو تناول الموضوع الذي هو محل للتّفكير والدّراسة دون تبني رأي مسبق عنه، والتّعامل معه بصُورة حيادية تماماً كما هو في الواقع، وتثبيت النّتائج التي يصل إليها الباحث، ولو كانت مخالفة لرأيه السّابق.

أما **التّفكير الذّاتي**، فهو وضع رأي مسبق، أو تَبَنِّيه، ثم البحث في الموضوع لإثبات هذا الرّأي، ولو اقتضى لوي الحقائق، وإغماض العين عن الأدلة، فهو تفكير إيديولوجي قاصر.

7. أسلوب التّفكير المنطقي الرّياضي:

هو أسلوب يعتمد على التّوليد والاستنتاج والاستقراء يُحلل ويُركب المعلوم للوُصُول إلى المجهول من خلال استنباته من المعلوم، ويتميز بصرامته، ودقته، ومقدرته على التّنبؤ، وهو أسلوب تفكير إنشائي تنمو بوساطته العُلُوم، ورقيها، والوُصُول إلى معلومات جديدة.

8. أسلوب التّفكير النّفسي:

هو أسلوب، يعتمد على كشف الدّوافع الكامنة في نفس الإنسان، التي يظن أنها الأسباب وراء السُّلُوكيات السّلبية، وإظهارها إلى ساحة الوعي والإدراك؛ لتُعالج من خلال ترسيبها، وتجاوزها إلى الحاضر، والتّعامل معه بصُورة إيجابية.

9 ـ أسلوب التّفكير العلمي :

إن هذا الأسلوب من التّفكير، يعتمد على طريقتي التّفكير العقلية، والعلمية (التّجريبية)، والإمام في هذا الأسلوب، هو النّبي إبراهيم عليه السلام إذ قال الله عز وجل له : { قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً } ، وبدأ إبراهيم يتعلم المنهج العلمي؛ فقال: { رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } (البقرة 260)، فالنّبي إبراهيم مؤمن بقدرة الله على إحياء الموتى؛ وذلك من جراء طريقة التّفكير العقلية، ولكنه طلب من الله رؤية كيفية هذه العملية في الواقع، فهو لم يطلب البرهان على القدرة، بل طلب شيئاً آخر، وهو الكيفية، أي أراد أن يضيف إلى إيمانه ـ الحاصل بواسطة التّفكير العقلي الذي أوصله إلى علم اليقين ـ بقدرة الله على الإحياء، الإيمانَ بالكيف، من خلال طريقة التّفكير العلمية (التّجريبية) التي ترفع مستوى الإيمان إلى عين اليقين، وهذه العملية تكسب القلب (الفؤاد والدّماغ) طمأنينة، واستقراراً في التّعامل مع هذه الفكرة.

وهذا يعلمنا، أن نحاول ـ بصُورة دائمة ـ البحث عن الكيف للأفكار التي نحملها، مهما كانت الأفكار ثابتة في علم اليقين، فيجب محاولة إنزالها على أرض الواقع؛ لمعرفة كيف تحصل ؟ لأن معرفة الكيف؛ هي التي توصلنا إلى التّسخير، والتّنبؤ، والتّحكم بحركة الأمر ـ حاضراً ومستقبلاً ـ واستنبات المعرفة منه؛ لإيجاد أشياء وابتكارها لم تكن موجودة سابقاً، ولولا تدخل الإنسان، ومعرفة كيف بدأ الخلق لما وجدت في الواقع؛ مثل الأدوية الكيماوية، والنّبات المهجن، وإخراج النّبات في غير أوانه وما شابه ذلك من أمور، وذلك على صعيد الآفاق، أما على صعيد الأنفس؛ فمعرفة كيف بدأت الظّاهرة الاجتماعية، ومآلها في الواقع من خلال دراسة التّاريخ الإنساني، وعواقب الأقوام الذين مضوا؛ يوصلنا إلى تغيير هذه الظّاهرة، والتّحكم بها، وتوجيهها بصُورة إيجابية.

فأسلوب التّفكير العلمي، يستخدم على صعيد الآفاق والأنفس، وكلاهما يخضعان لسنن قابلة للاكتشاف، واكتشاف سنن الآفاق؛ يُؤدِّي إلى التّسخير، والتّنبؤ، والتّحكم بها، والابتكار، والارتقاء على صعيد التّقنية والمدنية والرّفاهية.

أما اكتشاف سنن الأنفس، من خلال النّظر والدّراسة لعواقب الأقوام؛ فيُؤدِّي إلى تغيير الحاضر إيجابياً، وامتلاك المستقبل والتّنبؤ بحركة التّاريخ، وإطالة عمر الدّول والمجتمعات، والوُصُول إلى حضارة إنسانية، قائمة على القيم والأخلاق، والعدل والحُرِّيَّة والحب، والسّلام والتّعايش والتّعارف بين النّاس، والتّعاون على عمارة الأرض بالخير والسّعادة، وتحقيق مقام الخلافة للإنسان في الأرض على أتم وجه، وأحسن حال. فالتّعامل مع سنن الآفاق والأنفس ـ بصُورة إيجابية ـ يوصل الإنسان إلى النّهضة بصُورة صائبة تكون القيمة فيها والأساس هو الإنسان، وليس الأشياء.

قواعد منهج النبي إبراهيم

أهم القواعد التي اعتمد عليها الإمام إبراهيم عليه السلام في المنهج العلمي هي :

1 ـ الانتقال من الإثبات العقلي، إلى الكيف العيني (من علم اليقين إلى عين اليقين) أرني كيف تحيي الموتى؟.

2 ـ التّعامل مع الأمر بصُورة موضوعية، لا ذاتية (الواقع وليس القناعات)

3 ـ الانطلاق من الشّك ـ ولو افتراضاً ـ للوُصُول إلى اليقين.

4 ـ الحنيفية في البحث.

وقد أمر الرّب ـ تبارك وتعالى ـ، إتباع ملة إبراهيم، ومنهجه في البحث؛ فقال: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (النّحل 123).

{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (الأنعام 161).

حنف: كلمة تدل على الميل وفق محور ثابت، والحنيف المائل إلى الحق.

ورجل أحنف، إذا كان يميل في مشيته، ذات اليمين وذات اليسار، ضمن محور مستقيم، أما إذا مال إلى جهة واحدة، ولم يرجع إلى الاستقامة؛ فهو رجل أعرج.

فالحنيف الذي يميل يمنة ويسرة ضمن محور ثابت، وصفة الحنيف إذا أطلقت على الفكر والمنهج، فيقصد بها عملية التّحديث المستمرة للمعلومات؛ حسب متغيرات الواقع، ضمن المحور الثّابت، فلا يجمد على وضع أبداً؛ لأنَّ الجمود سوف يعطي المعلومات المتغيرة صفةَ الثّبات، ومن ثمَّ ابتعد عن المحور الثّابت ووقع في الشّرك.

ويقابل منهج النبي إبراهيم الحنيف منهج اليهود والنصارى[1].

---

[1] يهود: كلمة تدل على انغلاق الإنسان على نفسه بقوة شديدة، ورفض الآخر واغتيال حقه في الحياة والفكر.

نصارى: كلمة تدل على تعصب الإنسان لفكره ونصرته على الآخرين دون برهان.

الفصل السادس

أهم أسس التّفكير العلمي

أهم صفات التّفكير العلمي

1 ـ التّراكم المعلوماتي

2 ـ التّنظيم للمعلومات

3 ـ امتلاك الأدوات المعرفية اللازمة

4 ـ التّرابط المعلوماتي

5 ـ اليقين

6 ـ الدّقة والتّجريد

7 ـ حركة المعلومات والتّفكير

8 ـ الحُرِّيَّة للمعلومات

9 ـ السّلطان للعلم

10 ـ العلم سنن وقوانين ثابتة

عقبات في وجه التّفكير العلمي

أهم أسس التّفكير العلمي

منهج إمام النّاس، إبراهيم عليه السلام هو أسس التّفكير العلمي[1] وهذه الأسس تتلخص في مجموعة أمور، وهي:

1 ـ الانطلاق من الواقع في البحث، والسّير فيه.

2 ـ الاعتماد على بعض النّقاط في الواقع مبدئياً للبحث.

3 ـ سبر المعلومات وتقسيمها، واستبعاد الخطأ، أو الباطل، منها.

4 ـ ضرورة موافقة الفكرة، وانسجامها، مع المنظومة الكُلِّيَّة التي تنتمي إليها.

5 ـ النّظر إلى المعلومات الجزئية من خلال المعلومات الكُلِّيَّة.

6 ـ النّظر للموضوع من منظومات أخرى، والتّحقق من عدم تناقضها معها.

7 ـ الشّك في كل معلومة يُحصل عليها ابتداءً.

8 ـ التّعامل مع الأفكار من خلال الواقع، وليس من القناعات، (موضوعي لا ذاتي).

9 ـ إثبات الأفكار يكون بقيام البرهان العقلي عليها.

10ـ العمل على نقل هذه الفكرة من البرهان العقلي إلى المشاهدة على أرض الواقع؛ أي من علم اليقين إلى عين اليقين (التّجربة).

11ـ التّحديث الدّائم للمعلومات، والأفكار، وفق قانون الحنيفية (محور الثّابت والمتغير والتحديث المستمر).

12ـ إعادة دراسة ما سبق من أمور ـ بصُورة مستمرة ـ (فرمتة وتحديث).

---

[1] إطلاق التّفكير العلمي– دون قيد– يقصد به طريقتا التّفكير العقلية، والتّجريبية معاً.

أهم صفات التّفكير العلمي

إن للتّفكير العلمي صفات لابُدَّ من تحققها في التّفكير حتَّى تأخذ عملية التّفكير اسم التّفكير العلمي، وينتج عن ذلك تقدم ورقي، وبناء صرح علمي، وهي:

1 ـ تراكم المعلومات:

العلم هو نتيجة حصاد إنتاج إنساني طويل، فلا يمكن أن يأتي أحد ويتجاهل هذا الصّرح العلمي، ويبدأ من الصّفر، فهو ملزم بأن يبدأ من حيث انتهى العلم، ويتابع رحلة العلم ومشواره الطّويل، ويزيد لبناته في هذا الصّرح العظيم، والعلم كونه تراكمياً يدل على أنه قائم على الثّابت والمتغير، ضرورةً.

2 ـ تنظيم المعلومات (التقليم):

دراسة مسألة معينة لا تكون بمجرد قراءة عابرة هنا وهناك؛ لأن من دلالة التّفكير الانفتاح، وعملية التّفكير لا تتم إلاَّ من جراء تحصيل المعلومات ـ التقليم ـ وترتيبها حسب الأولوية؛ للوُصُول إلى صُورة كُلِّيَّة، ومنها إلى الجزئية، وذلك لا يتحقق بداهة إلا بعامل الوقت، ومن هذا الوجه تبرز أهمية الوقت، كعامل أساسي في التّفكير العلمي.

3 ـ امتلاك الأدوات المعرفية اللازمة:

التّفكير العلمي في رحلته الطّويلة قد تجاوز الاعتماد على الإحساس ـ بصُورة مُباشرة ـ لسعة المعلومات وتعقيدها، فلابُدَّ إذاً من استخدام الأدوات المعرفية التي وصل إليها الإنسان ـ كمجتمع ـ نتيجة رحلته العلمية الطّويلة، وأي دراسة لا تستخدم الأدوات المعرفية؛ فهي مجرد نقل إحساس، ووصفه بناءً على استخدام الحواس فقط، كالرّؤية بالعين المجردة للأشياء، بخلاف رؤية الأشياء بواسطة المجهر الإلكتروني وشتان ما بين الرّؤيتين، هل تستويان؟.

4 ـ التّرابط بين المعلومات :

إن النّتيجة التي يصل إليها الإنسان نتيجة تفكير علمي ليست صُورة كُلِّيَّة للوُجُود ، بل هي جزء من صُورة كُلِّيَّة، ولا يمكن أن يتم فهمها بصواب، إلا إذا أضيفت، وَوُضعت في منظومتها الكُلِّيَّة ؛ لأنَّ الكون منظومة كونية واحدة، وعند وضع الجزء ضمن الإطار والمنظومة في مكانه المناسب ؛ نصل من هذه العملية إلى تصويب بعض النّتائج الأخرى، وتهذيبها وتعديلها ؛ كي تسقط في مكانها تماماً ، بل وتساعدنا في تهذيب المعلومة السّابقة وتعديلها ، إذ أنها ستتصل بها ؛ ليقوما معاً في عملية تلاحم وتناغم وانسجام في المنظومة ككل، وهذه العملية ستساعدنا في إعطاء صفاتٍ للمعلومة الجديدة، وومضات لها ؛ فنتنبأُ بها ، ونمسك بطرف الخيط للبحث، وهكذا دواليك.

5 ـ اليقين :

ليس اليقين شُعُوراً داخلياً في الإنسان ينتج بسبب انفعالات نفسية، وإنَّما هو اليقين الذي ينتج من قيام البرهان على صواب الفكرة، ونزولها في مكانها من المنظومة الكونية، فيصل الإنسان إلى اليقين، ويكون هذا اليقين بمثابة المحور الثّابت ؛ ليستخدمه في عملية تحديث المعلومات المستجدة، والمتغيرة، والتّأكد من صوابها .

وهذا اليقين (المحور الثّابت) هو نسبي في الوُجُود ؛ لأنه مُرتبط بمعطياته وحيثياته فيُوجد :

أنواع اليقين

- **يقين زمكاني** : وهو اليقين المُرتبط بالزّمان والمكان، نحو ثقل الأشياء في النّظام الأرضي، وسقوطها إلى أسفل نتيجة الجاذبية؛ فهذه الصّورة يقين في النّظام الأرضي، ولكن ليس كذلك في نظام الكواكب الأخرى.

- **يقين كوني** : وهو مجموعة السّنن والقوانين الكُلِّيَّة، التي تحكم الوُجُود غير مُرتبطة بزمان ولا بمكان، نحو قانون الزّوجية في الخلق، وقانون الحركة، وارتباط الحياة بالماء ... الخ.

- **اليقين العقلي** : مثل قاعدة، لابُدَّ لكل فعل من فاعل ضرورةً، وفاقد الشّيء لا يعطيه، والجزء أصغر من الكل ضرورةً، وواحد زائد واحد يساوي اثنين... الخ.

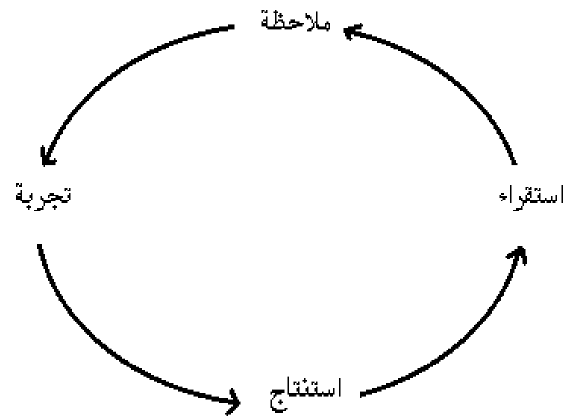
وهذا النّوع من اليقين، ثابت، لا يتغير أبداً، لا في الدّنيا ولا في الآخرة.

6 ـ الدّقة والتّجريد :

البحث العلمي يقوم على الدّقة،في تسجيل وتحصيل المعلومات كي لا تختلط ببعضها، ولا يُساء فهمها، أو يصعب تحديد المقصد منها، وبعد هذه الدّقة في المعلومات وتسجيلها تُحوَّل إلى صُور تجريدية كي يستطيع الباحث تخيلها في عقله، واستخدام ذلك في التّنبؤ بالمعلومة الجديدة.

7 ـ حركة المعلومات والتّفكير :

حركة التّفكير العلمي، هي حركة دائرية، حلزونية، تصاعدية، مستمرة، لا تقف أبداً، فهي ـ دائماً ـ في عملية تحديث للمعلومات وإضافات (فرمتة وتحديث).



8 ـ حُرِّيَّة المعلومات :

العلم الذي يصل إليه الإنسان في الصّين، مُلزم للإنسان في المغرب؛ لأنَّ العلم لا يأخذ هوية مكتشفه، ولا علاقة له به، فالعلم لا شخصية له، أو انتماء، أو ولاء، فهو مُرتبط بالوُجُود الموضوعي ومعه ـ دائماً ـ شاهدا عدل نزيهان، وهما الآفاق والأنفس.

فلا ضيرَ، إنْ قال بالفكرة ماركسي أو رأسمالي، بوذي أو هندوسي، يهودي أو نصراني، أمريكي أو روسي، أوربي أو عربي ... الخ . فإتباع الفكرة كفكرة، إنَّما هو إتباع للعلم، وليس للإنسان الذي قال بها، أو اكتشفها، ولا يعني ـ أبداً ـ أنَّ الإتباع للفكرة العلمية، هو إتباع لدين أو مبدأ قائلها؛ وإنَّما الأمر هو إتباع للحقيقة، والحقيقة أحق أن تتبع بصرف النّظرعن مصدرها (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها؛ فهو أحق بها).

9 ـ السّلطان للعلم :

العلم له سلطان يبسطه على الجميع لا يُحابي أحداً ، فكل النّاس أمامه سواء ، فكل من يضع يده مُباشرة في النّار ؛ فسوف تحترق ، سواء أكان رجلاً صالحاً أم رجلاً فاسداً ، وكل من يجابه العلم ؛ فسوف يقهره العلم عاجلاً أو آجلاً ، وذلك على صعيد الآفاق والأنفس على حد سواء ، والمستقبل للعلم دائماً

10 ـ العلم سنن وقوانين ثابتة :

إن الذي يتعامل مع العلم ينبغي أن ينتبه لهذه النّاحية ، فما يكتشفه من قوانين وسنن في الوُجُود الموضوعي ، إنَّما هي بمثابة المحور الثّابت ، الذي بموجبه يتم التّعامل ، وتسخير الأمور الأخرى ، فلا يذهب في عملية بحثه أو حركته ـ بصُورة عِنادية ـ يريد أن يغير القانون ، فالنّتيجة محسومة ـ سابقاً ـ بالفشل والمسألة مسألة وقت يأخذ مجراه ، ومثل ذلك كمثل من يريد أن يغير وجهة شروق الشّمس من المشرق إلى المغرب فسوف يذهب عمله هباء منثوراً .

إن السّنن والقوانين ، لا تعرف المحاباة ولا تتوقف أو تتغير لحياة أحد أو موته ، ولكن تخضع لمن يكتشفها ؛ فتسمح له بامتطائها وتوجيهها .

{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً }الأحزاب62

عقبات في وجه التّفكير العلمي

إن العقبات التي تقف في وجه التّفكير العلمي من أن يأخذ مجراه ويسير بصُورة صائبة هي كثيرة ومتطورة بتطور العُلُوم، ومن أهم العقبات الحالية التي تقف حاجزاً وسداً هي:

1 - إتِّباع الآباء لمجرد أنهم آباء، دون التّأكد من كونهم على حق أو باطل.

2 - إتباع الأكثرية، وذلك لانتشار هذه الفكرة أو المعلومة، بين جمهور النّاس.

3 - الرّبط السّببي بين حدثين، توافق حدوثهما، في وقت واحد.

مثلا: عندما مات إبراهيم ابن النّبي محمد ﷺ، تزامن مع موته حدث كسوف الشّمس؛ فقال النّاس: كُسفت الشّمس لموت إبراهيم. فوصل ذلك إلى سمع النّبي؛ فقام مُباشرة إلى تصويب مفاهيم النّاس، والحفاظ على طريقة التّفكير وتحليل الأحداث؛ فقال: **إن الشّمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان أو ينكسفان لموت أحد أو حياته.**

ويحضرني تجربة طريفة قرأتها منذ فترة تُسلط الضوء على سبب تكريس التقليد الأحمق، وانقياد الناس لما يفعله الأكثرية دون وعي وإدراك، والربط بين حدثين لمجرد حصولهما في زمن واحد.

أُحضر خمسة قرود، وضعها في قفص! وعلق في منتصف القفص حزمة موز، وضع تحتها سُلّما. بعد مدة قصيرة ستجد أن قرداً ما من المجموعة سَيعتلي السلم محاولاً الوصول إلى الموز. وما إن يضع يده على الموز، أطلق رشاشاً من الماء البارد على القردة الأربعة الباقين وأرعبهم! ؛ بعد قليل سيحاول قرد آخر أن يعتلي نفس السلم ليصل إلى الموز، كرّر ذات العملية، رش القردة الباقين بالماء البارد. كرر العملية أكثر من مرة لتعزيز الفعل، بعد فترة ستجد أنه ما إن يحاول أي قرد أن يعتلي السلم للوصول إلى الموز؛ تسارع المجموعة من منعه خوفاً من الماء البارد.

الآن، أبعد الماء البارد، وأخرج قرداً من الخمسة إلى خارج القفص، وضع مكانه قرداً جديداً (لنسمه سعدان) لم يعاصر، ولم يشاهد رش الماء البارد، سرعان ما سيذهب سعدان إلى السلم لقطف الموز، حينها ستهب مجموعة القردة المرعوبة من الماء البارد لمنعه وستهاجمه !. بعد أكثر من محاولة سيتعلم سعدان أنه إن حاول قطف الموز سينال (علقة قرداتية) من باقي أفراد المجموعة.

الآن؛ أخرج قرداً آخر ممن عاصروا حوادث رش الماء البارد (غير القرد سعدان) وأدخل قرداً جديداً عوضاً عنه. ستجد أن المشهد السابق سيتكرر من جديد، القرد الجديد يذهب إلى الموز، والقردة الباقية تنهال عليه ضرباً لمنعه. بما فيهم سعدان على الرغم من أنه لم يعاصر رش الماء، ولا يدري لماذا ضربوه في السابق، كل ما هنالك أنه انطبع في دماغه أن لمس الموز يعني (الضرب) على يد المجموعة. لذلك ستجده يشارك، ربما بحماس أكثر من غيره بكيل اللكمات والصفعات للقرد الجديد (ربما تعويضاً عن حرقة قلبه حين ضربوه هو أيضاً) !.

استمر بتكرار ذات الموضوع، أخرج قرداً ممن عاصروا حوادث رش الماء، وضع قرداً جديداً، وسيتكرر ذات الموقف، كرر هذا الأمر إلى أن تستبدل كل المجموعة القديمة ممن تعرضوا لرش الماء حتى تستبدلهم بقرود جديدة، في النهاية ستجد أن القردة ستستمر بضرب كل من يجرؤ على الاقتراب من السلم لقطف الموز. لماذا ؟ لا أحد منهم يدري !! لكن هذا ما وجدت المجموعة نفسها عليه منذ أن جاءت !. (إتباع الآبائية والأكثرية).

وهكذا تتعامل الشعوب، والأكثرية مع كل من يحاول التفكير، أو التجديد أو تغيير القديم المألوف ! .

ويحضرني أيضاً حادثة رواها لي بعضهم؛ مفادها، أن رجلاً أحضر لزوجته سمكة، وطلب منها أن تقليها، فقامت وأحضرت المقلاة، وكانت كبيرة، وأمسكت بالسمكة، وقطعت رأسها وذنبها، ووضعتها في المقلاة، فسألها زوجها : لماذا قطعت رأس السمكة وذنبها ؟! فقالت: هكذا رأيت أمي تفعل عندما تقلي السمك،

وعندما زار أم زوجته سألها: لماذا تقومين بقطع رأس السمكة وذنبها ؟ فأجابته هكذا رأيت أمي تفعل، وعندما زار جدة زوجته سألها: لماذا تقومين بقطع رأس السمكة وذنبها عند قليها ؟ فضحكت ! وقالت: يا بُنَي إن مقلاتي صغيرة لا تسع السمكة كلها، فأقوم بقطعها !.

4 ـ إتباع الأهواء، وذلك لتحقيق منافع ومكاسب شخصية، دون النّظر إلى موضوع الحق أو الباطل، الحرام أو الحلال....الخ.

5 ـ قِدَمُ المعلومات؛ يُؤدِّي عند جمهور النّاس إلى التّسليم بها لمجرد أن هذه الأفكار قد مضى عليها مائة عام أو ألف عام دون معرفة نقدٍ لها من قِبَل أحدٍ.

6 ـ وُجُود الأساطير والخرافات في المخيال الاجتماعي، يعطيها صفة القداسة، وتصير مسلَّماتٍ غير قابلة للنّقاش أو الدّراسة، نحو الكائنات الجنية الشّبحية، التي يعتقد بها معظم النّاس في مشارق الأرض ومغاربها على مختلف مللهم ونحلهم.

7 ـ ميل الإنسان إلى تفسير الظّواهر الطّبيعية أو الاجتماعية، التي يعجز عن معرفة سببها، بنسبتها إلى القوى الغيبية؛ ذلك لأن التّعلمَ والمعرفة غريزةٌ إنسانيةٌ فهو يحاول أن يضعُ لكل شيء سبباً، وجواباً مقنعاً.

والجواب على هذه الظّواهر، بحاجة إلى دراسة وتفكير وتحصيل معلومات، وهذا يقتضي بذل الجهد والصّبر والوقت الكافي للدّراسة، والإنسان يحب العجلة في حصوله على الأمور، فالأسهل والأسرع، هو عَزو هذه الأمور إلى القوى الغيبية، ناهيك عن وُجُود طبقة مستفيدة، من هذه المفاهيم.

8 ـ الاستبداد، والاستعباد السّياسي، والثّقافي.

إن المُؤسَّسات السّياسية والثّقافية المستبدة، والمستعبدة للنّاس، تقوم بفرض أفكار ومعلومات معينة؛ لخدمة سياستها، وتوظف لذلك الأموال والرّجال؛ فيقومون بإضلال النّاس عن الحقيقة.

9 ـ الثّقة بمكانة الرّجال علمياً أو اجتماعياً أو سياسياً، سواء في زمن ماضٍ أم في الزّمن الحاضر؛ تمنع من تقبل النّاس للحقيقة، إذا خالفت هؤلاء الرّجال العظام ! فهل يمكن أن يخطئ نابليون؟وهل يمكن أن يخطئ ديكارت أو أنشتاين؟ وهل يمكن أن

يخطئ ابن سينا أو الفارابي أو الكندي ؟ وهل يمكن أن يخطئ الإمام أبو حنيفة أو الشّافعي أو الإمام جعفر الصّادق ؟!.

10 ـ **الإعلام المضلِّل، من قبل المُؤسَّسات السّياسية والثّقافية.**

ويكون ذلك بنشر أفكار ومعلومات مشوهة، أو ممسوخة بهدف خدمة مصلحة المُؤسَّسة، التي تنشر هذا الخبر، وتقوم بنشر الأفكار التي تريدها، وهي تعلم أنَّ الإعلام هو السّلطة التي تفرض نفسها على الجميع، وتغزو البيوت والعقول، ولها تأثير عجيب وغريب على النّاس، فبمجرد أن يشاهدوا الخبر، أو يسمعوه في أي وسيلة إعلامية، إذا به يدخل عقولهم دون استئذان، ويصير يقيناً ويتبنوه، لا فرق في ذلك بين الرّائي أو المذياع، أو الجريدة أو الكتاب، أو الخطيب في مسجد، أو محاضر في قاعة.. الخ؛ فهل يعقل أن يكذب هؤلاء أو يخطئون ؟!.

11ـ **التّعصب الأعمى للفكرة**؛ يُؤدِّي إلى رفض الفكرة الأخرى، وعدم السّماح بالتّفكير المعارض، ومن ثمَّ، إغلاق باب العلم والتّطور واغتيال الرّأي الآخر.

12 ـ **عدم وُجُود الثّقة بأنفسنا**، والنّظر إلى قدراتنا العقلية؛ بأنها أقل من أن نفهم أو نفكر أو نخالف الغرب، أو أن نصل إلى بحث علمي إبداعي، والشُّعُور بالنّقص والدّونية يلازمنا ـ غالباً ـ بالنّسبة للأمم المتقدمة.


العلم
الأنفس
الآفاق
1- نراسة وملاحظة ونظر للمجتمع الانساني والتاريخ
2- معرفة العواقب والكيف والمآل والتنبؤ بها
3- الاعتماد على قانون التوازن
4- الاعتماد على الأنفع للناس
5- الاعتماد على الدوام والمكوث
6- التوجيه الإيجابي
1- اكتشاف
2- تسخير
3- تنبؤ
4- تحكم وتوجيه
5- ابتكار
6- ارتقاء
حضارة إنسانية
قيم وأخلاق
تقنية ومدنية
رفاهية
النهضة

الفصل السابع

1- سرعة البداهة والملاحظة
2- كيف يتم الحكم على الشّيء
3- أنواع التّفكير
4- البرهان والعلم
5- أهمية تعلم التّفكير

سرعة البداهة والملاحظة

الأمة تحتاج إلى سرعة البداهة والملاحظة في التّعامل مع الأحداث والحياة الاجتماعية، لذا، ينبغي تعريف كل منهما ؛ ليسهل تعلمهما والتّدريب عليهما .

سرعة البداهة : هي عملية عقلية لفهم ما يجري في الواقع من أحداث، والتّفاعل معه ؛ من خلال استحضار المعلومات المتعلقة به، والحكم عليه، وأخذ الإجراء المناسب، والانتقال إلى حالة الفاعلية، فهي متعلقة بالأفكار .

سرعة الملاحظة : هي عملية تعتمد على الانتباه، والإحساس بالواقع، ونقل هذا الإحساس إلى الدّماغ، والقيام باستحضار المعلومات المتعلقة بهذا الإحساس، وأخذ الإجراء المناسب، وهي متعلقة بالأشياء والظواهر .

وتنمية سرعة البداهة والملاحظة، تكون من خلال تفعيل مجموعة من الأمور، والتّدريب عليها وهي :

1ـ تكوين نمط من المعلومات المتجانسة مع بعضها لسرعة استحضارها واستخدامها .

2 ـ تفعيل الانتباه من خلال الحواس الخمسة .

3 ـ الاهتمام بما يجري في الواقع من أحداث .

4 ـ سرعة استحضار المعلومات المتعلقة بالحدث .

5 ـ سرعة الرّبط بين المعلومات والواقع .

6 ـ فهم الحدث وإدراك أهميته، وعدم الاستخفاف بشيء (السّلامة أفضل من النّدم) .

7 ـ أخذ الإجراء اللازم عملياً بما يناسب الحدث لمعالجته .

8 ـ أخذ زمام المبادرة، وعدم إلقاء المسؤولية على أحد .

9 ـ التّمتع بالجرأة، والشّجاعة في اتِّخاذ القرار .

10ـ عدم تضييع الوقت في الجدال، ودراسة الأمر، إذا كان بحاجة إلى قرار سريع .

كيف يتم الحكم على الشّيء

إن الحكم على الشّيء ، يكون من خلال وقوع الحواس على الواقع مُباشرة ، فيقوم الإنسان بدراسة هذا الواقع المحسوس تجربة واستنباطاً واستقراء ؛ فيصل إلى الحكم عليه وُجُوداً وتصُوراً ، لأنَّ تصُور ماهية الشّيء هو جزء من إدراك الوُجُود حسياً ، أما إذا وقع الحس على أثر الواقع فقط ؛ فالحكم عليه ينحصر في إثبات وُجُوده مع امتناع تصُوره كذات ، كأن يسمع الإنسان طرقاً على الباب ؛ فيحكم بسبب ذلك الإحساس بأثر الواقع أنَّ طارقاً يقوم بفعل الطّرق ، ومن ثمَّ ، يُكَوِّن الحكم ، حكم وُجُود للشّيء وإثبات له دون تصُور .

فالحكم بوُجُود الشّيء ، وإثباته ، لا يقتضي تَصَوُّره ، ومعرفة الكيف ، أمَّا التّصُور ومعرفة الكيف في الواقع فيتضمن الحكم على الوُجُود والإثبات .

إذاً ؛ التّصُور لاحق للتّعقل ، وكل تصُور هو تعقل ، من غير عكس .

والوسائل التي تستخدم في الحكم على الشّيء ، كوُجُود أو تصُور ، أو كلاهما ، هي :

1 ـ وقوع الحواس على الشّيء مُباشرة ، فينتج عن ذلك إمكانية الحكم على وُجُوده ، وتصُوره .

2ـ وقوع الحواس على أثر الواقع ، فينتج عن ذلك ، حكم على وُجُوده مع امتناع تصُوره ، نحو التصديق بوجود الخالق المدبر .

3ـ وقوع الحواس على الحدث وممارسته ، ويكون من خلال اتصال ممارسة الحدث بمن سبق في الواقع ، فإن كان يصلح لوقوع الحواس عليه بصُورة مُباشرة فيكون

الحكم على وُجُوده، *وإمكانية تصُوره من خلال قياس الغائب على الشّاهد، أما إن كان من النّوع الذي يقع الحس على أثره دون ذاته؛ فيتعلق الحكم بوُجُوده فقط، مع امتناع تصُوره.*

والحكم على قطعية الخبر أو الحدث كحصول؛ يتأتى من وجهين:

1 ـ خبر مقترن ببرهان.

2 ـ ممارسة حدث متواتر في المجتمع إلى من بعده دون انقطاع.

والمتواتر، هو ممارسة حدث لا سند له، لأنه بداية هو ممارسة جمع كثير من النّاس حاضري الحدث لا يوجد علاقة شخصية ببعضهم إلى جمع مثلهم، يتنامى مع الزّمن. مثل: تواتر النّص القرآني في الأمة الإسلامية وهيئة الصلاة .

بمعنى آخر، هو تحول المعرفة بالحدث، إلى ظاهرة ثقافية متنامية متراكمة مع الزّمن، والتواتر أداة معرفية، لا أداة علمية، فهو يتعلق بصدق حصول الحدث، لا بكيفية حصول الحدث أو صواب مضمونه.

أنواع التّفكير

التّفكير فاعلية؛ كما ذكرت سابقاً، وهو عملية الشُّعُور بالمسؤولية، والمبادرة لحملها في الواقع، وتحصيل المعلومات، من خلال دراسة الأمر المعني، وبناء على ذلك؛ فأي عملية عقلية، لا تتحقق فيها تلك الدّراسة لا تُسمى تفكيراً، ولو أطلقوا عليها ذلك؛ فإنه تساهل من العلماء، فالحكم على الشّيء دون دراسة وفهم؛ لا يسمى تفكيراً، بل هو عملية عقلية سطحية لا أكثر، وكذلك قول أحدنا: أنا أفكر؛ فليس أكثر من تدوير المعلومات في الذّهن، والحكم عليها نتيجة فهم وتعقل لها، أو ربما هو شارد الذهن ومشتت.

فالأولى أن تُسمى عملية تعقل فقط، لا تفكير؛ وبناء على ما ذكرت من كون التّفكير، تحصيلَ المعلومات عن الشّيء و دراستها؛ فله نوعان لا ثالث لهما:

1ـ **التّفكير العميق**: وهو تحديد الشّيء المراد دراسته، والقيام بتحصيل المعلومات المتعلقة به، (كيف، وسار، وصار في الواقع) ومن ثمَّ، الوُصُول إلى القانون الذي يحكمه، والحكم عليه بناءً على نتيجة الدّراسة، وهذا النّوع من التّفكير هو صفة العلماء والباحثين، الذين يغوصون في الجزئيات، ويبتعدون عن الكليات.

2 ـ **التّفكير المستنير**: هو تفكير عميق، أو استخدام التّفكير العميق للآخرين يضاف له النّظرة الكُلِّيَّة لهذا الأمر، ضمن منظومته التي ينتمي إليها، وعلاقة منظومته بالمنظومات الأخرى، وتعلقه بما حوله وما قبله وما بعده، وما يمكن أن ينتج عنه من عواقب، لذا؛ فهو تفكير مقاصدي عواقبي كلي شمولي، وهذا التّفكير، صفة القادة السّياسيين و علماء الاجتماع، والأمة بحاجة ماسة لنوعي التّفكير، العميق، والمستنير؛ كي تنهض وتُنشئ حضارة.

وبناء على ما ذكرت، نلاحظ ؛ أن معظم الناس هم في دائرة التعقل فقط، (فهم وفقه وتفاعل) لم يصلوا إلى دائرة التفكير(الفاعلية)، وقد لا يصلون إليها في حياتهم كلها، ناهيك عن وجود فئة من الناس لم تصل إلى مستوى التعقل أصلاً، ويعيشون في حالة الانفعال مثل باقي الكائنات الأخرى !.

لذا ؛ ***ينبغي أن نفرق بين الانفعال، والتفاعل، والفاعلية .***

البُرهان والعلم

البرهان كلمة، تدل أحرفها على تجمع مستقر متكرر بأرجحة منضبطة، يعقبها إثارة وامتداد ؛ ودُخُول ذلك إلى النّفس؛ بمعنى تجمع مستقر لأمور معينة بصُورة مكررة يترتب عليها ثبات الأمر على ما هو عليه كلما حدث لا يتخلف أبداً عن ذلك، ويترتب عليه تسليم النّفس له؛ فالبرهان على أمر معين يكون نتيجة دراسة الأمر في الواقع والوُصُول إلى حقيقته، واكتشاف القانون الذي يحكمه، حيث يستخدم هذا القانون ؛ لنصل إلى ذات الأمر بصُورة دائمة لا تتخلف أبداً، وبناء على هذا الكلام، نستطيع أن نميز بين الأمور المبرهن عليها، والأمور الظّاهرية التي تحدث في الواقع، ولكن العلم لم يطلها بعد، ومن ثمَّ، لم يُكتشف قانون هذه الظّاهرة، نحو :

1 ـ توارد الخواطر.

2 ـ رفع الأشياء المادِّيَّة عن الأرض، بواسطة التّركيز العقلي عليها.

3 ـ قراءة أفكار الآخرين.

4 ـ القدرة على التّنبؤ بالأحداث.

5 ـ الإخبار عن أحداث، جرت قبل ميلاد الإنسان، دون علم مسبق بها.

6ـ إدخال أشياء معدنية، كالسّيف والسّكين وما شابه ذلك، في أنحاء الجسم وإخراجها دون الإصابة بأي أذى.

7 ـ العلاج من خلال الطّاقة والإيحاء والإيماء .

8 ـ إجراء عمليات جراحية بواسطة أصابع اليد والتئام الجرح مُباشرة دون أن يترك أي أثر .

9- السير على وجه الماء دون واسطة ملاحظة .

10- الارتفاع للإنسان في الهواء دون واسطة مرئية .

وما شابه هذه الأحداث، التي تحصل في الواقع؛ فهذه الأمور، لم يطلها العلم بعد، ولم يكتشف قانونها، ومن ثمَّ ينتفي عنها صفة العلم[1]، وتبقى ظواهرَ تستحق التّفكير والدّراسة، وينبغي الانتباه إلى أن نفي العلمية عنها لا يعني نفي حصولها في الواقع؛ فليس كل ما يحصل في الواقع، هو تحت متناول إدراك الإنسان، فما نجهله أضعاف ما نعلمه، ونحن نتعامل مع عالم لا مرئي، وما نراه لا يمثل الحقيقة، إنَّما يمثل الصّورة النّسبية المُرتبطة بأدواتنا المعرفية، والعلم في صعود، وتراكم معلوماتي هائل على محور الثّابت والمتغير .

ونفي العلمية عن هذه الظّواهر، لا يعني انتفاء التّعامل معها؛ لأنَّه أمر مُرتبط بالمصلحة، والفائدة التي يحصل عليها الإنسان من هذا الأمر؛ فالمريض يريد العلاج والشّفاء، فإن حصل على مبتغاه من طريق العلم فبها ونعمت، وإن حصل عليه من طريق هذه الظّواهر يكون قد حقق مبتغاه، ولا يعنيه عجز العلم الإنساني عن تفسير هذه الظّاهرة؛ لأن هذا مشكلة العلماء، لا مشكلته هو .

فالقاعدة، للتّعامل مع هذه الظّواهر هي المصلحة، ويكون ذلك من خلال تكرار التّجربة وصدقها على غالب الظّن، حيث يتكون عند الإنسان الثّقة بنتائجها، مع انتفاء العلم بكيفية حصولها وتفاعلها مثل الأدوية النفسية .

---

[1] نقصد بقولنا(نفي صفة العلم): إن العلم الإنساني الحالي لم يطلها بعد، لا أنها تحدث دون سنن أو قوانين.

ولا يصح اتِّخاذ موقف الرّفض والإنكار، تجاه هذه الأمور؛ لمجرد عجز العلماء عن معرفة كيفية حصولها، فيكفي أنَّ الأمر قد أخذ صفة الحدوث في الواقع، والتّكرار على غلبة الظّن، فهذا الأمر سبب كاف، للتّعامل والاستفادة من هذه الأمور، دون معرفة القانون، ***فإنكار حصول هذه الظّواهر؛ ليس موقفاً علمياً، بخلاف إثبات حصولها؛ فهو موقف علمي لأنَّ الحصول هو أمر واقعي، والواقع دائرته أوسع بكثير من دائرة العلم، وإثبات وُجُود شيء، لا يعني تصُوره، ومعرفة كيفية حصوله في الواقع، فهذا أمر آخر؛ لذلك يُطلق على هذه الأمور تسمية (ظواهر تستحق التّفكير والدّراسة)؛*** لنصل إلى مرحلة تصُورها، واكتشاف قانونها؛ حتَّى يتم تسخيرها.

وينبغي عدم الخلط، بين تواتر الإخبار بالحدث ومسألة البرهان، فتواتر الحدث، يدل على مجرد الحصول، ولا يتناول حقيقة هذا الأمر، وكيفية حصوله، نحو أن يتواتر خبر رؤية أشياء معينة في الواقع، ويقوم هؤلاء المخبرون بتفسير هذا الحدث، بأنه صحن طائر أتى من الفضاء الخارجي.

فخبرهم بحصول الحدث متواتر، وهذا يفيد القطع واليقين عند السّامع له، بينما تفسيرهم لهذا الحدث، هو أمر ظني متعلق بالمستوى المعرفي، والأدوات الذي يملكه الفرد، فيمكن أن يتفق الجميع على تفسير واحد، وهذا لا يعني أن تفسيرهم أخذ صفة التّواتر، ومن ثمَّ، وصل إلى درجة القطع واليقين، لأن هذه النّظرة التّفسيرية للحدث، هي في الحقيقة نظرة سطحية فردية، تواترت في مجموعة من النّاس، ومن ثمَّ، فالنّتيجة هي وَهْمٌ في الحكم على الحدث، نحو: قصة السّحرة والنّبي موسى عليه السلام.

فقد قام السّحرة بسحر أعين النّاس، وجعلوهم يتخيلون أنَّ الحبال والعصيَّ صارت تسعى؛ فالحدث من حيث الحصول متواتر؛ فجميع النّاس حضروا الحدث،

وشاهدوه بأعينهم؛ فأفاد القطع واليقين في حصول الحدث، أما تفسير الحدث، والحكم عليه - حقيقة - فهو أمر ظني سطحي فردي.

إذن، مجرد تواتر الحدث، يفيد القطع واليقين بحصوله، ولكن لا يفيد القطع واليقين في تصور حقيقة الشّيء في الواقع.(ليس كل ما تراه العين يكون حقيقة بالضرورة).

فما تخيله النّاس مجتمعين، هو أن الحبال والعصي تسعى، فهذا تواتر لحصول الحدث كحدث، أمّا تفسيرهم للحدث؛ فكان وَهْماً خلاف الواقع تماماً، فما زالت الحبال والعصي ـ كما هي في الواقع ـ لم تتحرك إلاّ في ذهنهم!.

ماذا يعني هذا الكلام؛ وماذا يفيد؟

انتفاء العلم بالكيف ليس برهاناً لإثبات التصور

يفيد هذا الكلام في طريقة تعاملنا مع الظّواهر وتفسيرها، إذ ينبغي أن نفرق بين الحكم على عملية إثبات الحصول، والحكم على عملية التّفسير وحقيقة كيفية الحصول.

مثل مسألة إخبار إنسان بأحداث حصلت قبل ميلاده، وهو لا يملك أي معلومات عنها؛ فهذا الحدث من حيث الحصول، ثابت عند من شاهده وحضر ذلك الحدث، وأفاد القطع واليقين في حصوله، فهل يصح ذلك أن يكون برهاناً على مسألة التّقمص؟

فهذا التّفسير، هو احتمال وظن صدر من فرد، عنده مفهوم إمكانية حصول التّقمص سابقاً؛ فجعل هذه المسألة برهاناً، على مفهوم ظني مع أن هذه المسألة لا تصلح أن تكون برهاناً على مفهوم التّقمص؛ لانتفاء التّصُور، والتّفسير العلمي لكيفية حصول ذلك الأمر مع إثبات حصوله في الواقع.

أما قول بعض الباحثين، في هذا المجال: إن القاضي إذا جاءه شاهد على مسألة، وأقسم اليمين على صواب أقواله؛ فإنه يحكم على موجب تلك الشّهادة، فكيف إذا تواترت الشّهادة في حدث معين، ألا يفيد ذلك القطع واليقين في صواب ما جرى، ومن ثمَّ، يحكم على الحدث وَفق هذه الشّهادة المتواترة؟

يريد هذا الباحث، أن يقرر قاعدة علمية في التّعامل مع هذه الظّواهر، وهي قاعدة التّواتر للخبر، ويطالب بأن نتعامل مع تفسير هذه الظّواهر بصُورة علمية، نتيجة تواتر خبرها، ولو انتفى التّصُور، والعلم بكيفية حصول هذه الظّواهر.

وهذا الكلام خطأ في الواقع، من حيث عدم تطابق المثل، الذي ساقه ليستدل على مسألته، فمسألة تواتر شهادات النّاس في الإخبار عن حدث، هو مجرد إخبار في حصول الحدث، وليس في تفسيره أو حقيقته، فهذا أمر آخر غير الإثبات، وما أَخْذُ القاضي بشهادتهم في الأمور المعيشية بين الناس، والاعتماد عليها في حكمه، إلا على غلبة الظّن، وليس القطع واليقين لتعذر معرفة الحقيقة، وهذا أمر اجتماعي لابُدَّ منه لحفظ حُقُوق النّاس؛ فلا يصلح الأخذ به في المسألة العلمية، وجعله برهاناً وأساساً، نتعامل به.

انظر مثلاً، لو أن رجلاً وَجد رجلاً مقتولاً، بسكين مغروزة في قلبه فانحنى عليه، وأمسك بقبضة السّكين، فدخل مجموعة من النّاس عليه - في هذه اللّحظة - دفعة واحدة، أو كانت هناك آلات تصوير، تبث بصُورة مُباشرة، وشُغلت بالتزامن مع إمساك قبضة السّكين! فماذا يكون حكم القاضي بناء على هذه الشّهادة المتواترة، من مئات النّاس أو الآلاف؟ فلا شك أنَّ الجميع سوف يشهدون، بناء على ما رأوه، من غرز الرّجل السّكينَ في قلب الضّحية، وسوف يعتمد القاضي على هذه الشّهادات ويُجَرِّمُ الرّجل، ويحكم عليه بجريمة القتل بناء على المعطيات التي وصلت إليه مع العلم أنَّ الحقيقة غير ذلك، ممَّا يُؤكِّد أن حكم القاضي فيما يتعلق بحُقُوق النّاس، إنَّما هو على غلبة الظّن، وحسب المعطيات التي تصله، وهو مضطر أن يقوم

بذلك؛ لأنه لا يملك أدوات يعرف بها الحقيقة، فهذا الأمر خاص في التّعامل والحكم بين النّاس، ولكن لا يصلح معياراً يعتمد عليه في العلم، وتفسير حقيقة الظّواهر.

إذاً، مسألة الحكم على حقيقة الشّيء، وكيفية حصوله وتفسيره، ينبغي أن تخضع للدّراسة العلمية، وذلك باستخدام الأدوات المعرفية، والتّقنية التي وصل إليها الإنسان كمجتمع؛ لأنَّ الدّراسة دون أدوات معرفية، صارت مجرد نظرة سطحية بدائية، لا يعول عليها أبداً، نحو دراسة نقطة الدّم قبل اختراع المجهر، فهي مجرد سائل أحمر، **فهل تستوي الدّراسة قبل الأدوات المعرفية، وبعد وُجُود الأدوات المعرفية؟ لا يستويان!.**

{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ } (الزّمر9).

فتواتر الحدث شيء (أداة معرفية)، والحكم على حقيقته شيء آخر (أداة علمية) ينبغي التّنبه للفرق بينهما، أثناء الدّراسة والحوار والنّقاش.

لقد بُنيت مفاهيم خطيرة نتيجة هذا الخلط بين إثبات الحصول، وكيفيته وبسبب عدم معرفة الكيف مع إثبات حصول الحدث تم تَوهم مجموعة من المفاهيم، نحو:

1. ***مفهوم الاستنساخ:*** الذي يدل على ظُهُور صُورة طبق الأصل عن الشّيء المستنسخ، وهذا يكون في المستوى ذاته من إنسان إلى إنسان آخر في زمان ومكان مختلف، وهو غير الاستنساخ الطّبي المعروف.

2. ***مفهوم المسخ:*** وهو جعل الكائن بصُورة أدنى من صُورته الأولى، وذلك لإهانته وإذلاله، نحو مسخ الإنسان إلى حيوان (خنزير أو قرد أو كلب).

3. ***مفهوم النّسخ:*** وهو تغيير صُورة الكائن الإنساني إلى أدنى صُورة من صُور الحياة وهي النّبات.

4. ***مفهوم التّقمص:*** وهو عملية اتِّصال نفس ميتة بنفس مازالت على قيد الحياة في جسم واحد، ويمكن أن يكون في خروج النفس من جسمها، ودخولها في جسم جديد في مكان آخر بعد هلاك الجسم الأول.

5 ـ ***مفهوم الكائنات الجنية الشّبحية*** ، وذلك نتيجة أحداث، لم يُعرف فاعلها في الواقع؛ فعُزيت إلى كائنات شبحية، أو نتيجة َفهم ِنُصُوص قرآنيةٍ بشكل خطأ ورد فيها كلمة (الجن).

فجميع هذه المفاهيم، وغيرها، انطلقت من حكم بعض الناس على حقيقة الحدث، وكيف صار دون علم ودراسة، بل اعتمدوا على ثبوت حصول حدث ـ في الواقع ـ فأطلقوا العنان لخيالهم، في اختراع وتصُور حقيقة هذه الأحداث، فوصلوا إلى الأوهام وجعلوها مفاهيم أو عقائد، وهي لا تمت إلى الواقع بأي صلة، ولا يمكن البرهنة عليها؛ فهي مجرد أوهام موجودة في ذهن من اخترعها ومن تبعهم في ذلك.

إن عدم معرفة الفاعل ـ في الواقع ـ ليس مبرراً لتوهم أي فاعل في ذهن الإنسان يتم اختراعه، كما أن عدم معرفة كيفية حصول الحدث ليس مبرراً لتوهم أي تفسير والحكم عليه بناء على التّفسير الوهمي (***عدم العلم بالكيف لا يصح استخدامه في إثبات شيء***).

فهذه ظواهر، تستحق الدّراسة والتّفكير، ويسير العلم ـ الآن ـ نحوها رويداً؛ رويداً، وتتسع دائرة العلم، وكلما توسعت دائرة العلم؛ اكتشفنا سعة اللا معلوم، كم هي كبيرة في واقع الحال.

{ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً } (الإسراء 85).

وأخيراً ينبغي أن نفرق بين مفهوم البرهان، ومفهوم الدليل، فالبرهان يفيد إثبات الأمر بصورة قطعية، أما الدليل فهو أمارة وعلامة وتوجيه ليس إلاَّ، ومن هذا الوجه أُطلق على الأحاديث النبوية أنها دليل، وليست برهاناً، وذلك لأن ثبوتها على غالب الظن سواء أكان من ناحية السند أم المتن وإشكالياته.

أهمية تعلم التّفكير

إن التّفكير كما ذكرت ـ سابقاً ـ هو مرحلة متقدمة على التّعقل، فهو رفع مستوى تعقل الشّيء؛ كإدراك وفهم، إلى الدّراسة وتحصيل المعلومات؛ من أجل القيام بتغيير الواقع من الحالة السّلبية إلى الحالة الإيجابية، ومن حالة التّفاعل إلى حالة الفاعلية والنّهضة، ومن حالة الاستهلاك إلى حالة الإنتاج، ومن حالة التّابعية إلى حالة القيادة، ومن حالة الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النّفس، وأخذ زمام المبادرة.

فالتّفكير هو عملية رقي وصعود وتحليق بالإنسان ـ في الجو عالياً ـ وتسخير للكون وعمارة للأرض، والأمم تقاس بكثرة مفكريها، وباحترام الأمة لهم، وتسليط الضّوء عليهم، ومنحهم فرص الظّهور، وتشجيعهم على أقل تقدير مثل نجوم الفن والرّياضة!؛ لأنَّ المفكرين في الأمة؛ بمنزلة العقل بالنّسبة للجسم؛ فلذلك ينبغي على المجتمع أن يحتضن المفكرين، ويهيئ لهم الأجواء المناسبة، والحياة الكريمة؛ كي يفكّروا، ويساهموا في إنهاض الأمة من حالة السّبات التي تعيشها منذ فترة طويلة.

وينبغي على القائمين بالأمر أن يقوموا بوضع مناهج ومقررات في المراحل المدرسية الأولى تعني في تعليم التّفكير ـ كمهارة عملية ـ؛ عوضاً عن حشوِ الدّماغ بالمعلومات الفارغة واجترارها، وتلاوتها حفظاً وكتابة، وليس التّفكير تعلمَ المنطق الأرسطي العقيم وتعليمه، وإنّما هو تعليم كيفية إدراك الواقع من خلال تحصيل

المعلومات عنه ـ دراسة وتنظيماً وترتيباً لها ـ وفق سلم الأولويات، والنّظر للأمر ـ ابتداء ـ من عواقبه ومقاصده، والعودة إلى البداية، والسّير وفق الدّراسة؛ لتحقيق الأهداف المرسومة مسبقاً.

لابُدَّ أن يتعلم الإنسان عملية التّحليل، والتّركيب، وربط المعلومات ببعضها، والنّظر إليها وفق منظومتها التي تنتمي إليها بصُورة كُلِّيَّة.

فالقيمة ـ ابتداءً ـ هي للمعلومات، فإذا صارت المعلومات في حيز المعرفة، تنتقل القيمة إلى المهارة في استخدام المعلومات، وتحويلها إلى أعمال، وعندئذ يصير العمل مُمارسة؛ وهكذا يرتقي التّفكير؛ حتَّى يصير عند النّاس عادة وطبعاً.

وينبغي على الإنسان، أن يصنع أنماطاً من خلال عمليات التّفكير السّابقة؛ ليستحضرها عند عملية التّفكير الجديدة، ويوظفها؛ ليحصل على مستوى تفكير سريع ومجد وفعال، ويكون تعليم التّفكير من خلال التّعرض لأحداث الحياة الاجتماعية اليومية التي تمر على الإنسان في حياته العملية؛ ليتعلم الجانب العملي بصُورة مُباشرة وفعالة، ويسقط التّفكير على مشكلاته وأحداثه لوُجُود الدّافع عنده، وحصوله على المنفعة؛ لأنَّ التّفكير كمهارة هو كالسّباحة تماماً، فالنّزول إلى حوض السّباحة؛ شرط لازم لتعلم السّباحة، وإلا بقي الإنسان يتكلم عن السّباحة، مادام حياً، ويقرأ الكتب ويسمع المحاضرات، ويحصل على الشّهادات ـ في الثّرثرة الفارغة من المضمون ـ، وعندما ينزل إلى حوض السّباحة يغرق عند أول محاولة له في العوم! على عكس الإنسان الذي يتلقى درسه الأول في السّباحة، وهو في

حوض السّباحة يغمر جسمه الماء ويشعر ببرودته، فبأقل المعلومات النّظرية، يحقق نجاحاً أولياً، ثم يعوم في الماء.

فالتّفكير مهارة عملية، ينبغي على الإنسان أن يتقنها؛ وذلك من خلال مُمارسته على أرض الواقع، وأول خطوة لذلك هي القراءة المتعلقة بالموضوع المعني بالتّفكير، والقراءة، كلمة تدل على التّدبر، والدّراسة وتحصيل المعلومات؛ لذلك كان أول أمر رباني ـ نزل في القرآن ـ هو أمر{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} العلق1 اقرأ صفحات الخلق، وتدبر آياته، كيفاً ومآلاً، وسخِّرْ ما اكتشفته لنفسك، ولسعادة النّاس، وعمارة الأرض {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}العلق3 لأنَّ القراءة توسع الإدراك، وتزيد المعرفة وترفع مستوى المقدرات العقلية لفهم معلومات جديدة، لم تكن معلومة مسبقاً {عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}العلق5.

فالقراءة هي باب التّفكير الواسع، التي تدخل منها إلى الكون الفسيح، القراءة هي انفتاح على الآخرين، وقَبُول قراءاتهم وتبادل وتعاون فيما بينهم؛ لأنَّ القراءة اللاحقة لا تُلغي السّابقة، وإنَّما تكملها من خلال التّراكم المعرفي، وَفق محور الثّابت والمتغير (الحنيفية).

الفصل الثامن

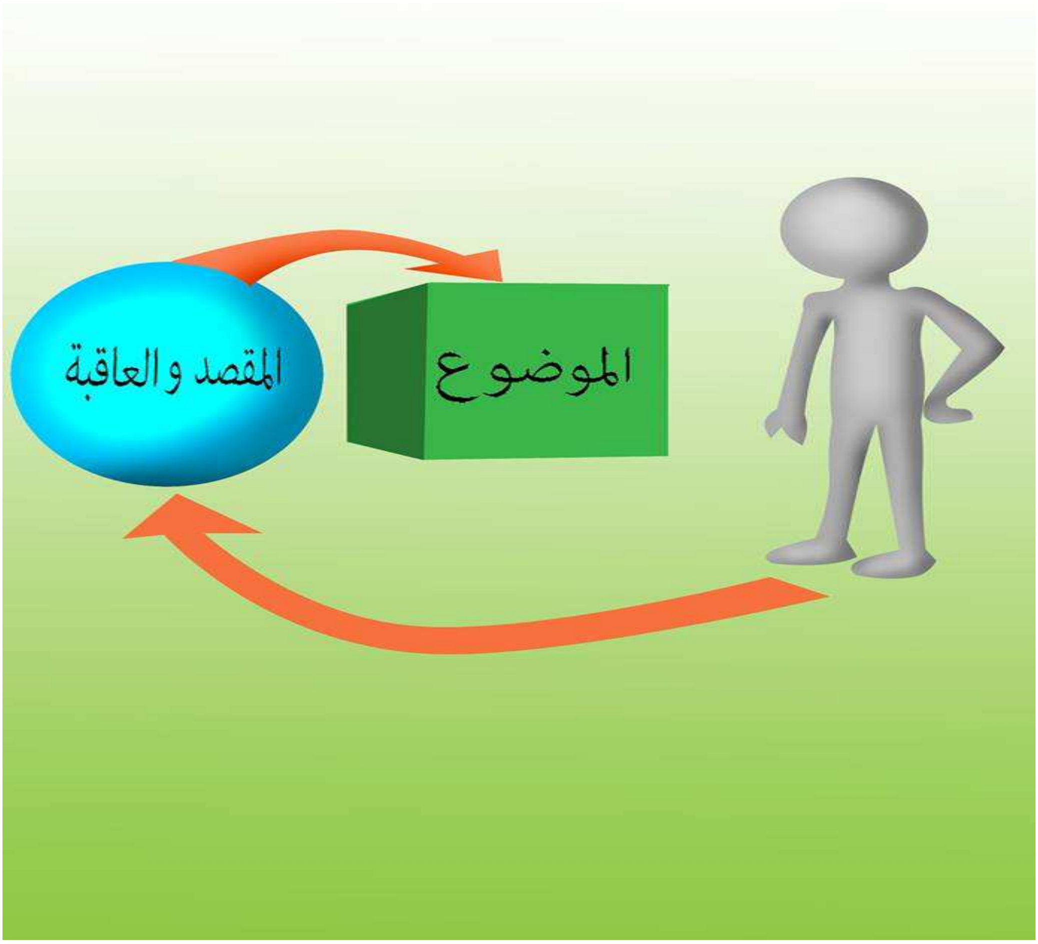
مجموعـة أســاليب إيجابيـة للتّفكيـر والحوار

1 ـ أسلوب التّفكير المقصدي والعاقبي
2 ـ أسلوب التّفكير المستقيم المحدد
3 ـ أسلوب تفكير المجاراة
4 ـ أسلوب التّفكير الكلي
5 ـ أسلوب التّفكير الدائري (الحيدة)
6 ـ أسلوب التّفكير المختلف
7 ـ أسلوب التّفكير الرّياضي
8 ـ أسلوب التّفكير الإيجابي
9 ـ أسلوب التّفكير المتنوع
10 ـ أسلوب التّفكير الأمامي

مجموعة أساليب إيجابية للتّفكير والحوار

1. أسلوب التّفكير المقصدي والعاقبي :

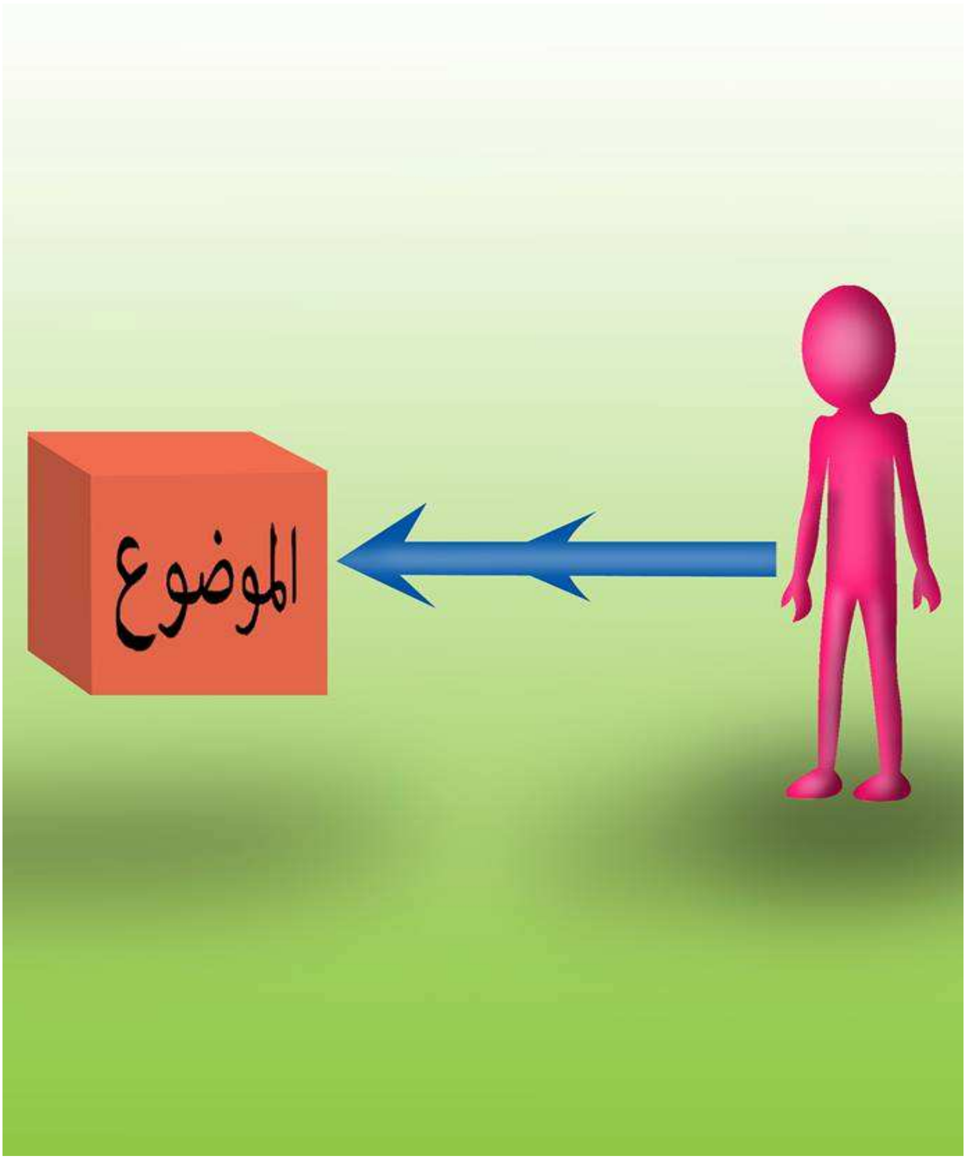
هو أسلوب يعتمد على دراسة مآل الأمر، وعاقبته في الواقع، قبل الإقدام عليه، وأخذ القرار، والحكم على هذا الأمر بناء على رؤية مقصدية وعاقبية، وهو أسلوب تفكير اجتماعي، وشرعي، وقانوني، وسياسي. انظر المُصور (1)



رقم (1)

2. أسلوب التّفكير المستقيم المحدد :

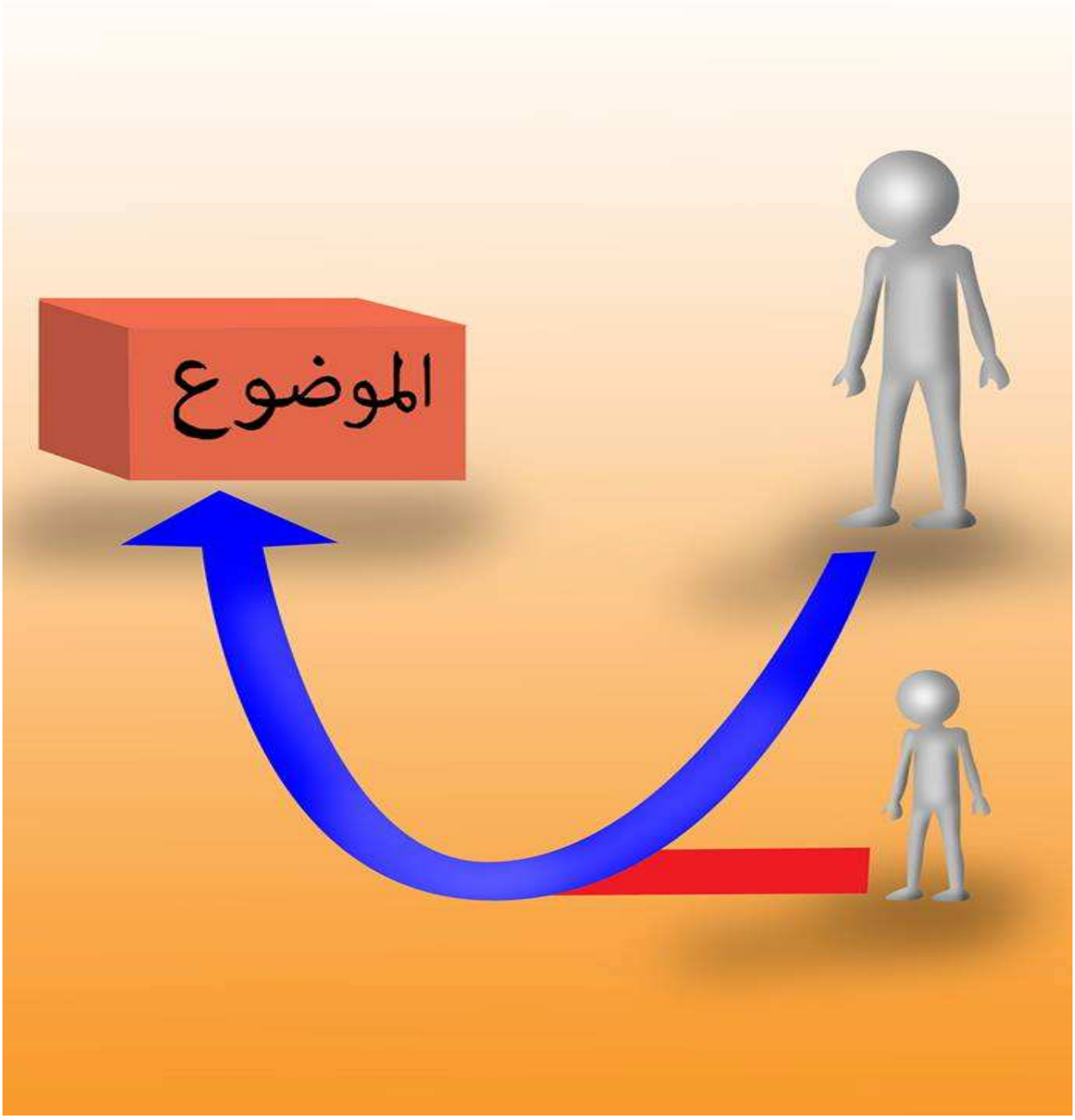
هو أسلوب يعتمد على تحديد الموضوع، والدّخول فيه بصُورة مُباشرة، مع استبعاد كل ما ليس له علاقة بالموضوع. انظر المُصور رقم (2)



مصور (2)

3. أسلوب تفكير المجاراة :

وهو النّزول إلى مستوى الطّرف الثّاني، ومجاراته في تفكيره، ومن ثمَّ، الصّعود به إلى الموضوع المقصود بالتّفكير، مع تحسين أدواته الفكرية؛ وهو أسلوب، مارسه النّبي إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع قومه. انظر المُصور رقم (3)



رقم (3)

4. أسلوب التّفكير الكلي :

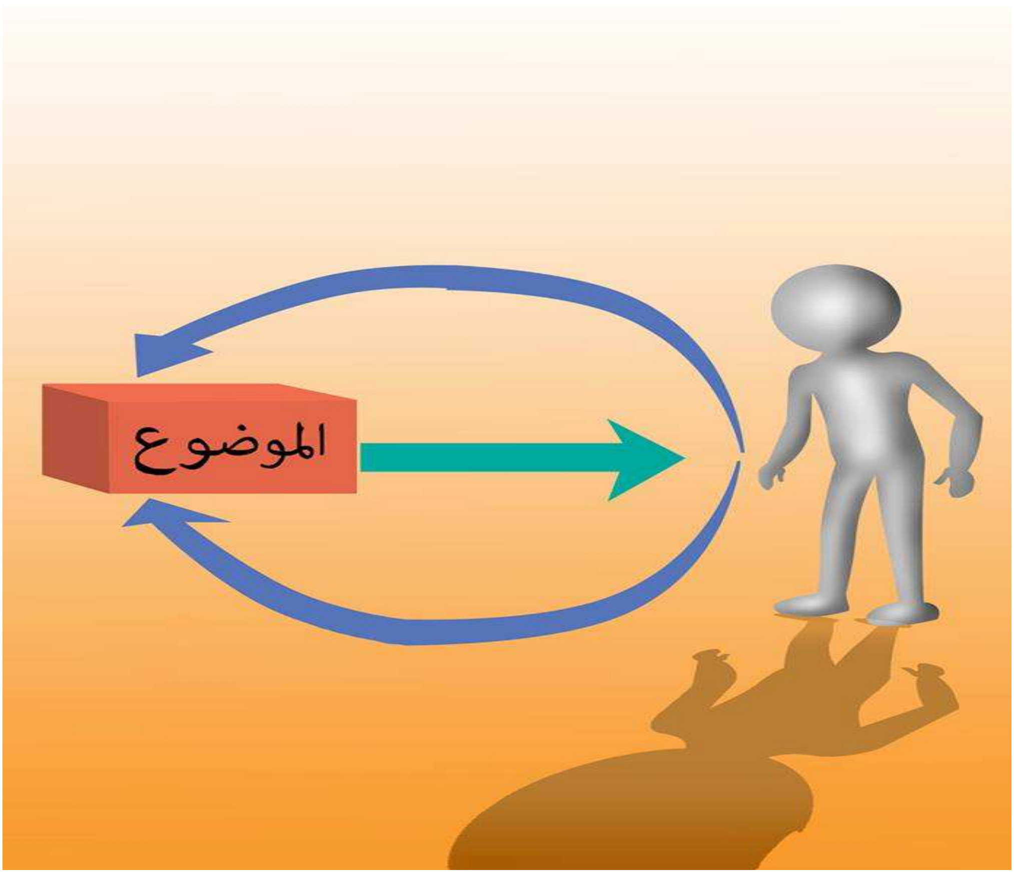
هو النّظر إلى الموضوع برمته، من كل الجوانب، وعدم الدّخول في جزئياته. انظر المُصور (4)



رقم (4)

5. أسلوب التّفكير الدّائري (الحيدة) :

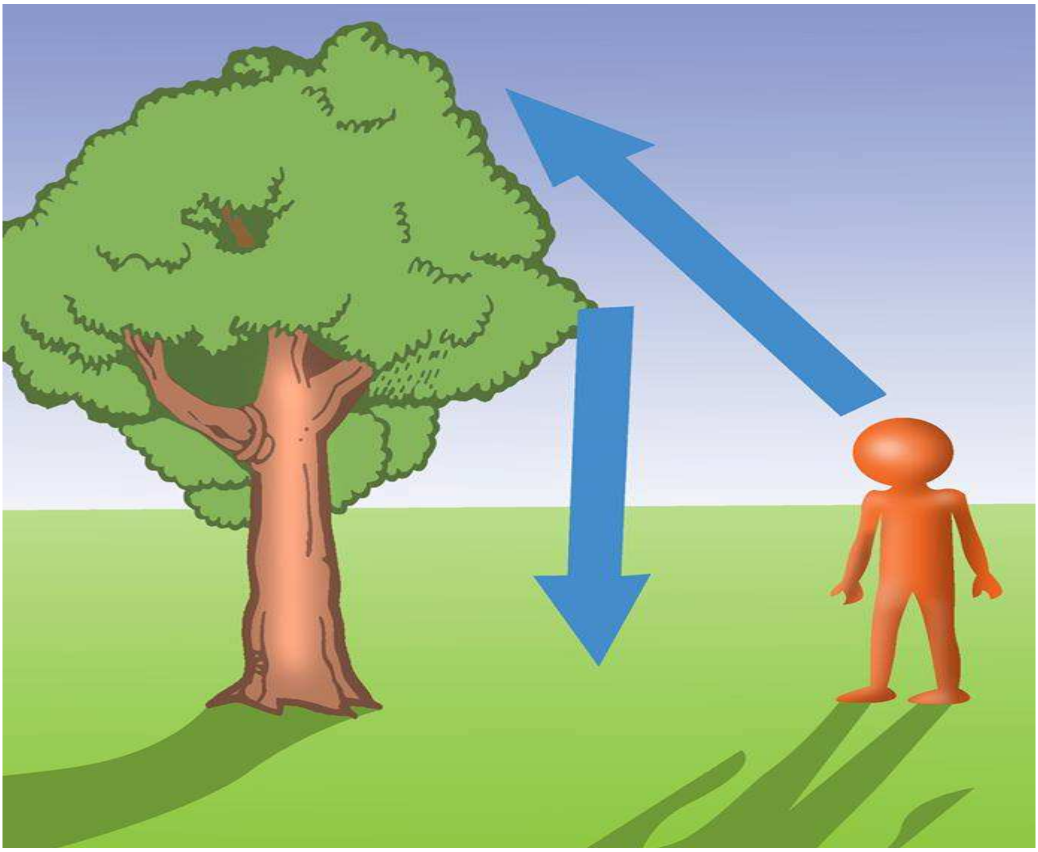
هو أسلوب يعتمد على الحيدة، عن جواب السّؤال المُباشر، وعدم تمكين الآخر، من القدرة على تحديد الموقف تماماً، فهو أسلوب يعتمد على التّورية، وذلك للحفاظ على المقاصد، والثّوابت وسرية الأهداف، وهذا أسلوب التّفكير السّياسي النّاجح، ولكن ينبغي الانتباه إلى عدم استخدامه في الحياة الاجتماعية، من علاقات وتجارة وبيع؛ لأنه يتحول إلى أسلوب سلبي لما يترتب عليه من خلاف، وضرر بين النّاس. انظر المُصور (5)



رقم (5)

6. أسلوب التّفكير المختلف:

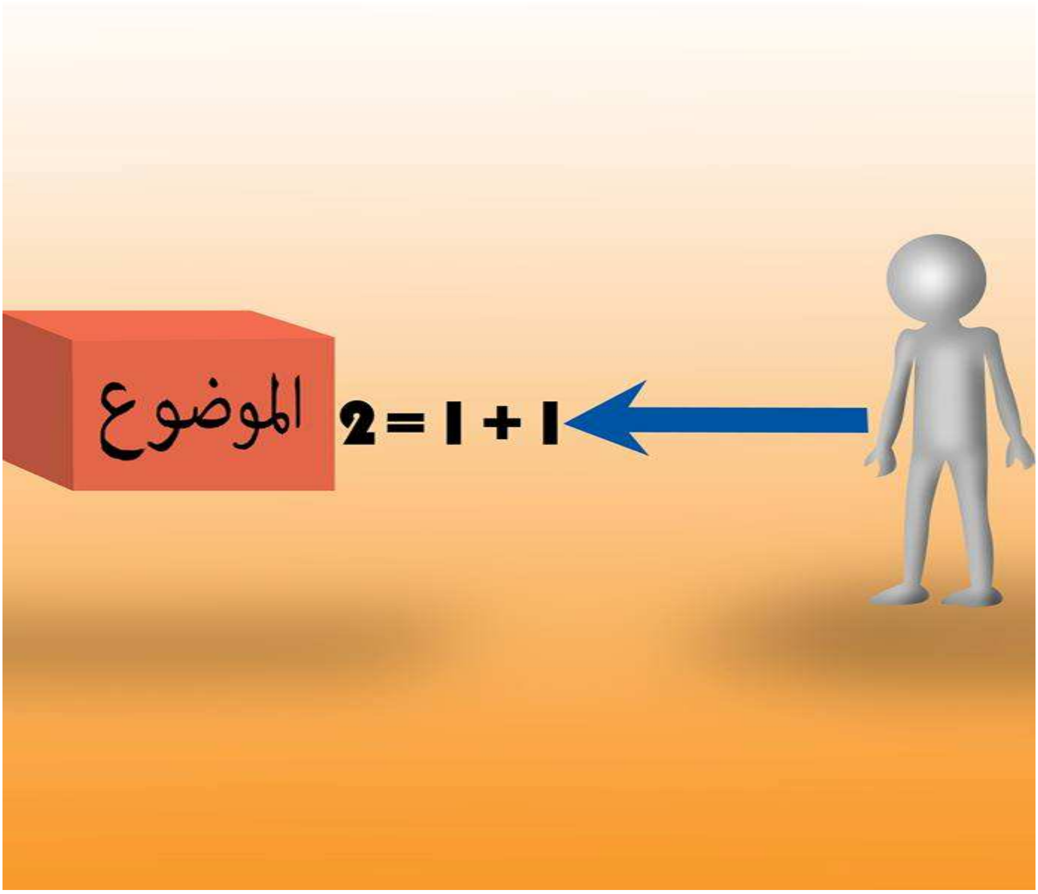
هو أسلوب، يعتمد على تغيير نمط التّفكير السّائد- التّقليدي - الذي يتناول الأمور، بصُورة مستقيمة ومحددة وصريحة وسهلة، بمعنى آخر، النّظر إلى الشّيء، وتناوله من زاوية أخرى مختلفة لا ينظر النّاس منها عادة، أي التّفكير في الشّيء الذي يستبعده النّاس؛ فالنّاس ـ مثلاً ـ تنظر عادة إلى البناء أو السّلم أو الجبل من الأسفل إلى الأعلى، فلننظر إليها من الأعلى إلى الأسفل؛ فنلاحظ أن شُعُورنا وتصُورنا، يختلف ونكتشف أموراً وحُلُولاً، لم تكن تخطر لنا على بال. انظر المُصور (6)



رقم (6)

7. أسلوب التّفكير الرّياضي :

هو أسلوب تفكير، يعتمد على المقدمات والنّتائج ؛ فهو يتعامل مع الأرقام بصُورة تجريدية، ويتميز بصرامته ودقته، والذي يستخدم هذا الأسلوب في حياته الاجتماعية، يصعب التّعامل معه، وينفض النّاس من حوله؛ لأن هذا الأسلوب، لا يستخدم فيما يتعلق بالعُلُوم الإنسانية، من نفس واجتماع، وشرع، وسياسة، واقتصاد ..... الخ ؛ لأنها عُلُوم تعتمد على الظّن الغالب، والنّسبية في التّطبيق، ولا يجزم بها، إلا بعد حدوثها في الواقع. انظر المُصور (7)



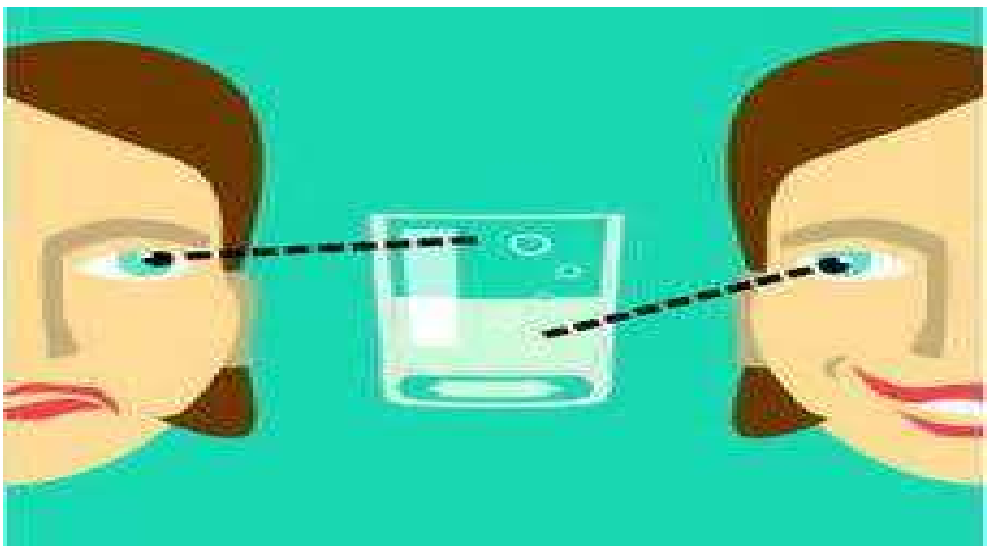
رقم (7)

8. أسلوب التّفكير الإيجابي:

هو أسلوب، يعتمد على التّعامل مع الحياة، والنّظر إليها بصُورة ايجابية؛ لأنَّ الحياة قائمة على قانون الثّنائيَّة، فهناك خير وشر، عدل وظلم، صحة ومرض، غنى وفقر.... الخ، ويستحيل أن يُوجد أحدهما - في الواقع - دون الآخر؛ لأن كل واحد يستمد وُجُوده من الآخر، الكامن فيه، إذ لولا القبح؛ لما ظهر الجمال، ولولا المرض؛ لما ظهرت الصّحة، ولولا الظّلم؛ لما ظهر العدل..... الخ.

والعلماء، يشبهون هذا الوضع الثّنائي الضّدي - في الحياة - بكأس نصفه مليء بالماء، والإنسان هو الذي يحدد تعامله مع الكأس، فله أن ينظر إلى النّصف المليء بالماء؛ فيشرب ويروي عطشه، وله أن ينظر إلى النّصف الآخر الفارغ، فيبقى عطشانَ يلعن حظه.

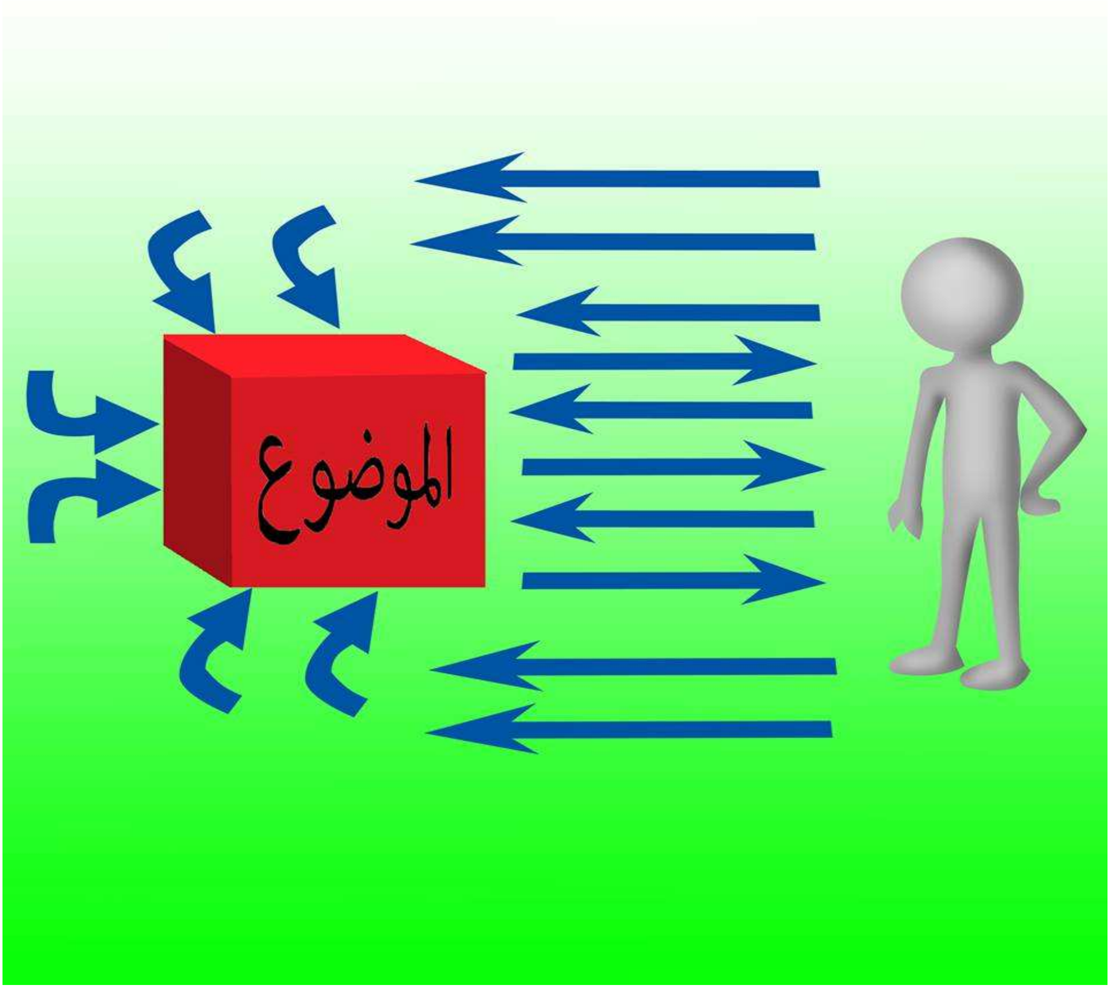
فالسّعادة والشّقاء، والسّرور والحزن، والانفتاح على الدّنيا أو الانغلاق عليها، والضّحك والبكاء..... الخ، كل ذلك نتيجة مفاهيم، يحملها الإنسان في نفسه، وهو الذي يختار الوضع النّفسي الذي يريده، فهذه الصّور، هي اختيار من داخل الإنسان لا تُملى عليه من الخارج. انظر المُصور (8)



رقم (8)

9. أسلوب التّفكير المتنوع :

هو أسلوب، يعتمد على تناول الموضوع من عدة وجهات نظر، سلبية وإيجابية، ناقدة وناقضة، وهذا الأسلوب مهم جداً، في التّعامل مع الأمور وإيجاد حُلُول للمشاكل، ودراسة المشاريع، على مختلف أنواعها. انظر المُصور (9)

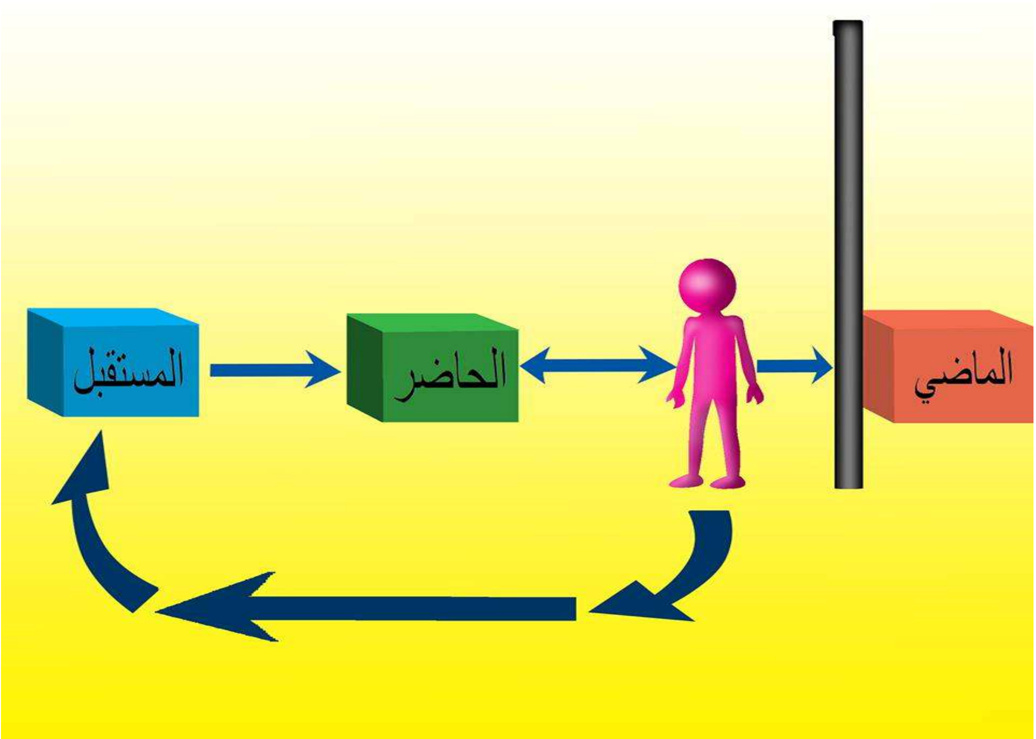


رقم (9)

10 . أسلوب التّفكير الأمامي المستقبلي :

هو أسلوب، تفكير يعتمد على النّظر إلى الأمام، والاتجاه إليه، وعدم العيش في الماضي، أو سحبه للحاضر؛ وذلك يكون بدراسة الماضي، كيف حدث وتجنب الأشياء السّلبية، والتّخطيط للمستقبل، والانطلاق من الحاضر وفق النّظرة المستقبلية، وذلك كي نحقق ما نريد أن نكون؛ لنكون على أرض الواقع، بصُورة فاعلة وناجحة.

فالحزن أو البكاء، هو شُعُور يصيب الإنسان بالاكتئاب، والإحباط، ولا يغير واقعاً حدث، فما مضى من الأحداث، قد مضى وانتهى، وأنت ابن اليوم، والغَد؛ فلا تعش في الأمس! انظر المُصور (10)



رقم (10)

الفصل التاسع

أســاليب ســلبية للتّفكيـر والحـوار

1 ـ أسلوب التّفكير الانتقالي القفزي

2 ـ أسلوب التّفكير العاطفي الوعظي

3 ـ التّفكير الآبائي

4 ـ التّفكير السّلفي (النّموذج)

5 ـ أسلوب التّفكير الصّدامي

6 ـ أسلوب التّفكير الاستعراضي

7 ـ أسلوب التّفكير العضلي

8 ـ أسلوب التّفكير الأحول

9 ـ أسلوب التّفكير التّجزيئي

10 ـ أسلوب التّفكير القهري

11 ـ أسلوب التّفكير الإلزامي الشّخصي

12 ـ أسلوب التّفكير الطّفولي

13 ـ أسلوب التّفكير الاسترسالي

14 ـ ـ أسلوب التّفكير البطيء الجزئي

15 ـ أسلوب التّعقل السّطحي

16 ـ أسلوب التّفكير الخيالي

17 ـ التّفكير المنغلق

18 ـ التّفكير الاجتراري

أساليب سلبية للتّفكير والحوار

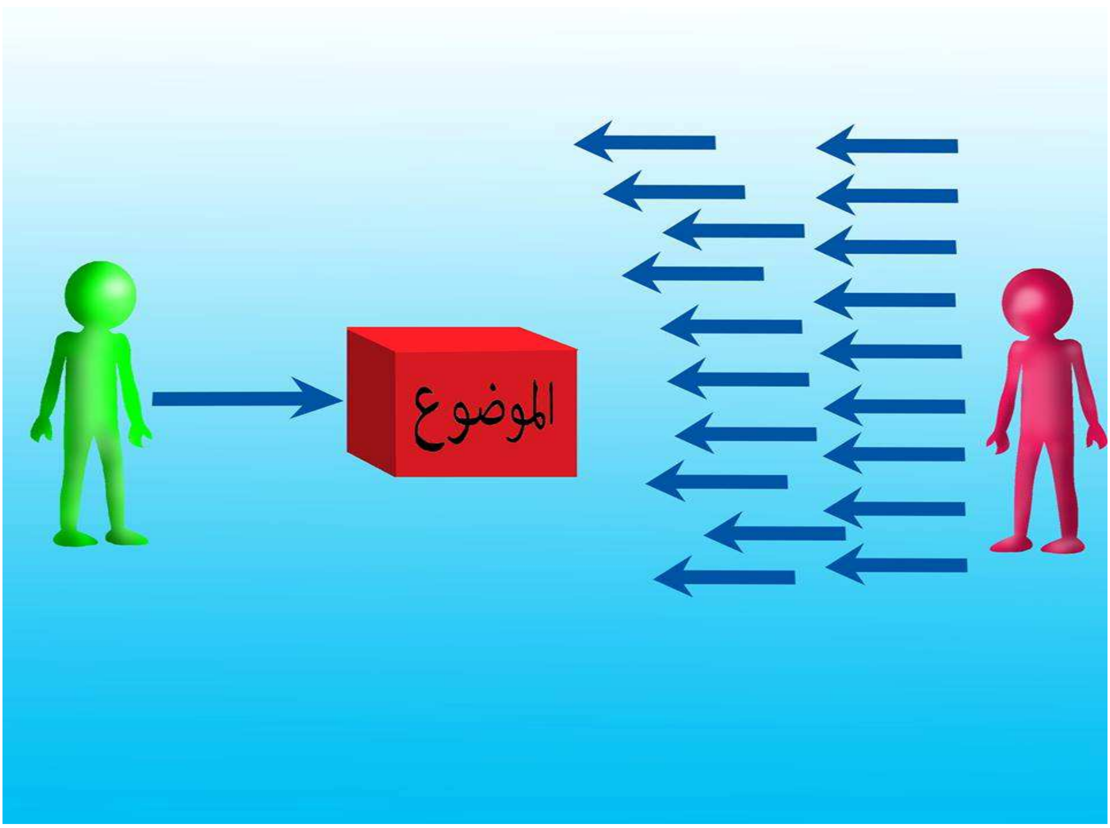
إن كثيراً من أساليب التّفكير السّلبية، شائعة بين المثقفين، أو الخطباء، حتَّى بين الباحثين ـ أحياناً ـ، فتجدهم يمارسونها، سواء أكان ذلك عن قصد منهم، أم دون وعي، فكلا الأمرين سواء.

لذا؛ ينبغي الانتباه إلى هذه الأساليب، واجتنابها، وعدم السّماح للآخرين بُممارستها علينا؛ لأنها لا تجدي في الواقع، ولا ينتج عنها إلا الضّرر والجدال العقيم، وإضاعة الوقت وتفويت الفائدة المرجوة من الحوار.

ومن أجل ذلك، اخترت أكثر الأساليب شيوعاً، واستخداماً، محاولاً تسليط الضّوء عليها، كتعريف وبناء صُورة رمزية، تعبر عن ذلك من خلال المُصور.

1. أسلوب التّفكير الانتقالي القفزي:

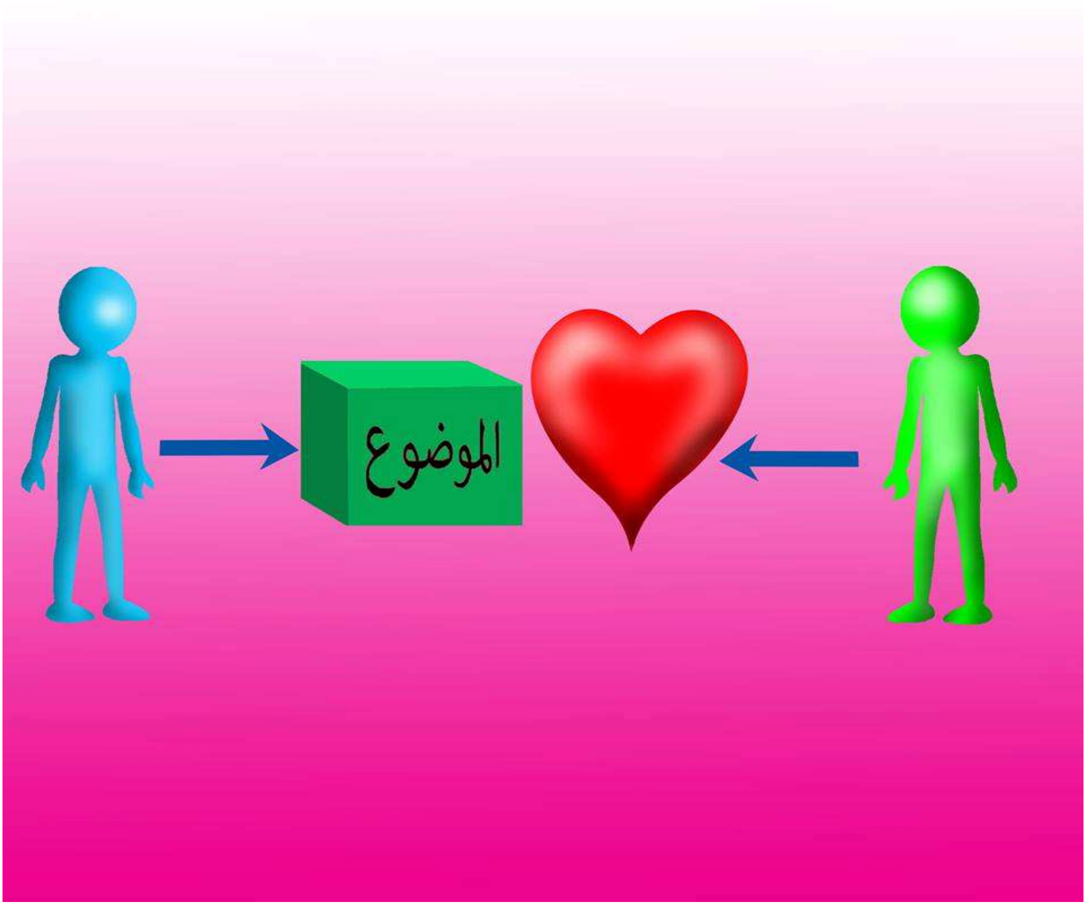
هو أسلوب، يعتمد على تسطيح الموضوع، وإضاعة الفكرة المعنية بالحوار، وذلك من خلال إقحام فكرة جديدة في الموضوع، وجر الطّرف الثّاني لمناقشتها، فإن وقع في الفخ؛ الذي نصب له، وبدأ في نقاش الفكرة الجديدة، يُسارع الآخر في إقحام فكرة أخرى، وهكذا، يستمر في الانتقال، والقفز من فكرة إلى أخرى؛ لمنع الطّرف الثّاني من النّقاش في الفكرة المعنية، أو لإظهاره أمام نفسه أو الآخرين، بموقف العاجز الضّعيف؛ من خلال انهمار سيل من الأفكار عليه، والانتقال والقفز من فكرة إلى أخرى. انظر المُصور (1)



رقم (1)

2. أسلوب التّفكير العاطفي الوعظي :

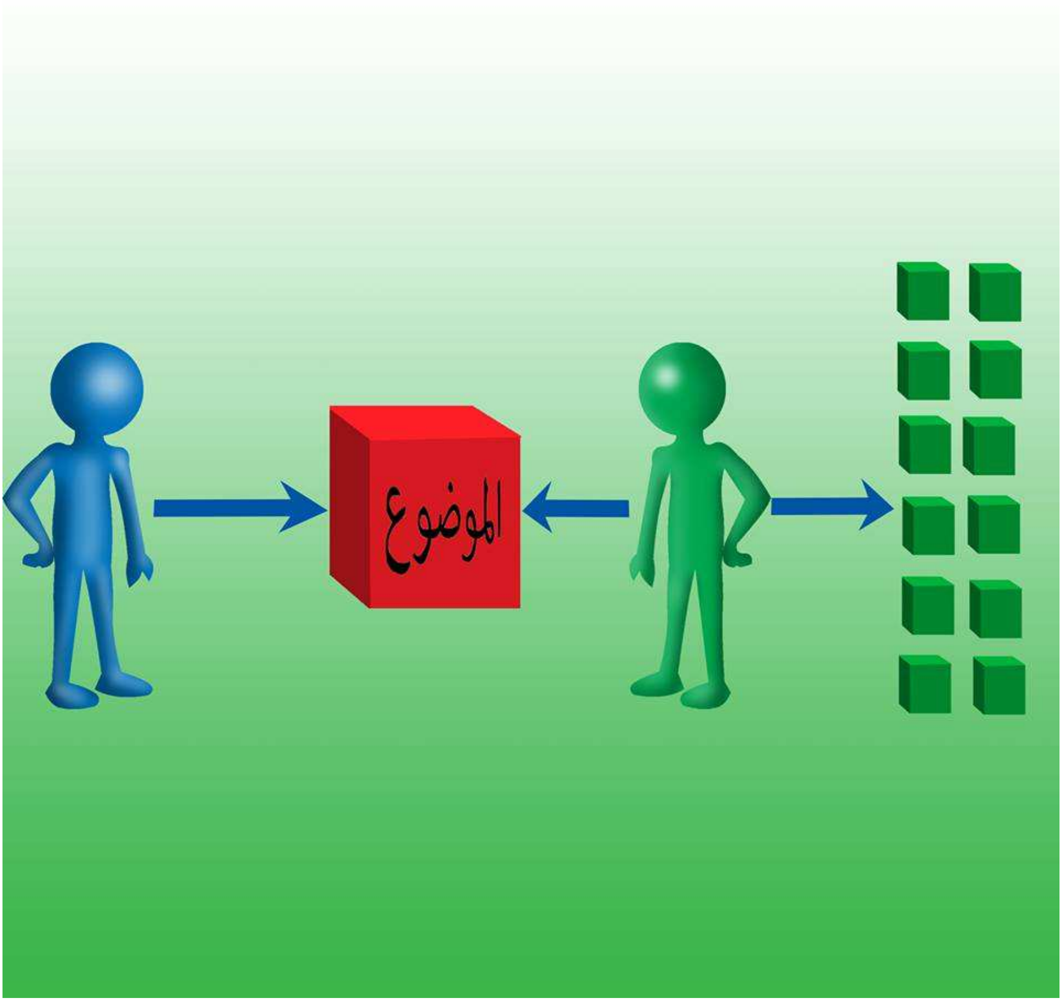
هو أسلوب، يعتمد على إظهار حرص الأول على النّصح والهداية، وأنه يريد الخير لك، فيناقش الفكرة ـ ابتداء ـ، من أنك على غلط وضلال؛ فيقوم بنصحك والدّعاء لك، وطلب الهداية لك من الله ﷻ، وينصحك بالتّوبة والرّجوع إلى الحق (ووجهة نظره هي التي تمثل الحق، طبعاً) مع العلم، أنه يستمر في طلب النّقاش، ويطلب منك عرض فكرتك لدحضها ، ولكن ذلك خدعة؛ ليستمر هو بأسلوبه الوعظي، ويُظْهِرُ أنك الإنسان الضّال العاصي (هداك الله يا بني) !. انظر المُصور (2)



رقم (2)

3. التّفكير الآبائي:

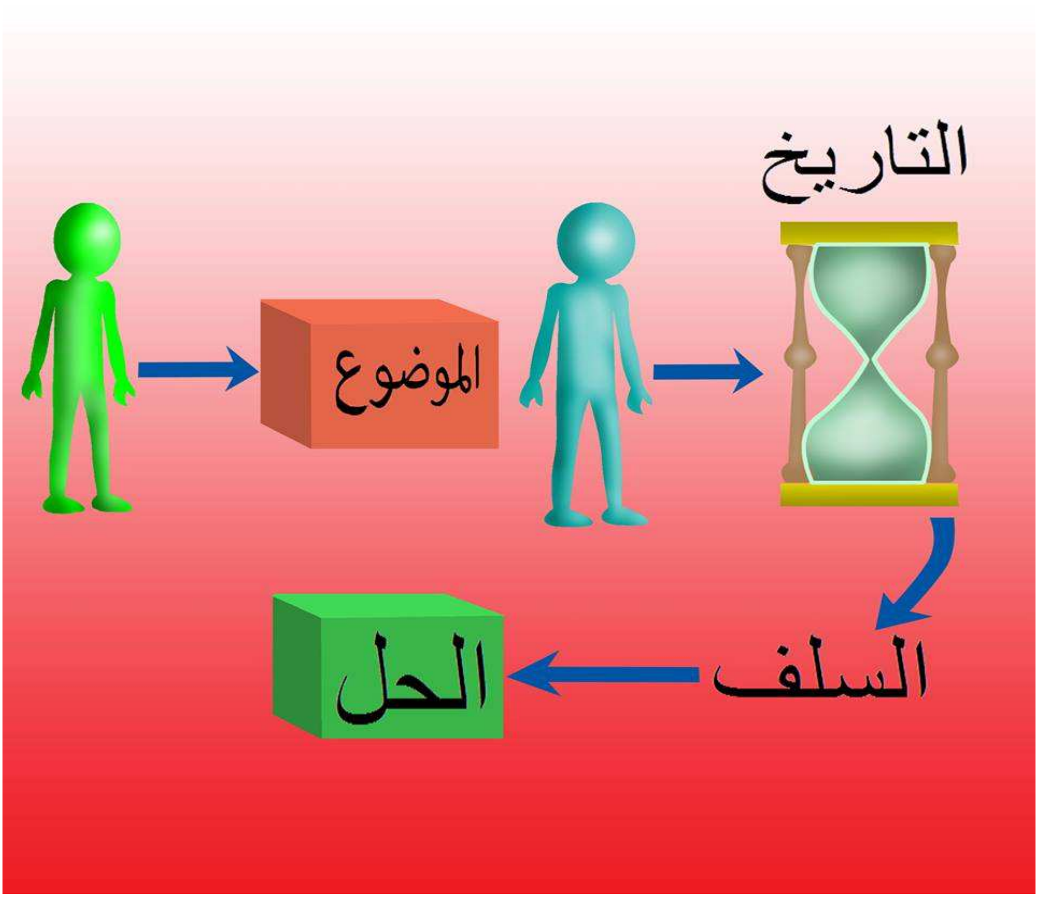
هو أسلوب، يعتمد على استحضار قول الآباء وآرائهم، المتعلقة بالموضوع، أو قريبة منه، ويشهر في وجهك، قولاً تلو آخر، مطالباً نقاشه وتبريره، أو دحضه؛ ليجعل أمامك سداً منيعاً من التّراث، وإن وقعت في الفخ، تكون قد غرقت في متاهة، لن تستطيع الخُرُوج منها، ويكون دوره ناقلاً ووسيطاً لفكر الآباء فقط، دون أن يعقل ما قالوا، أو ما تقول. انظر المُصور (3)



رقم (3)

4. التّفكير السّلفي (النّموذج) :

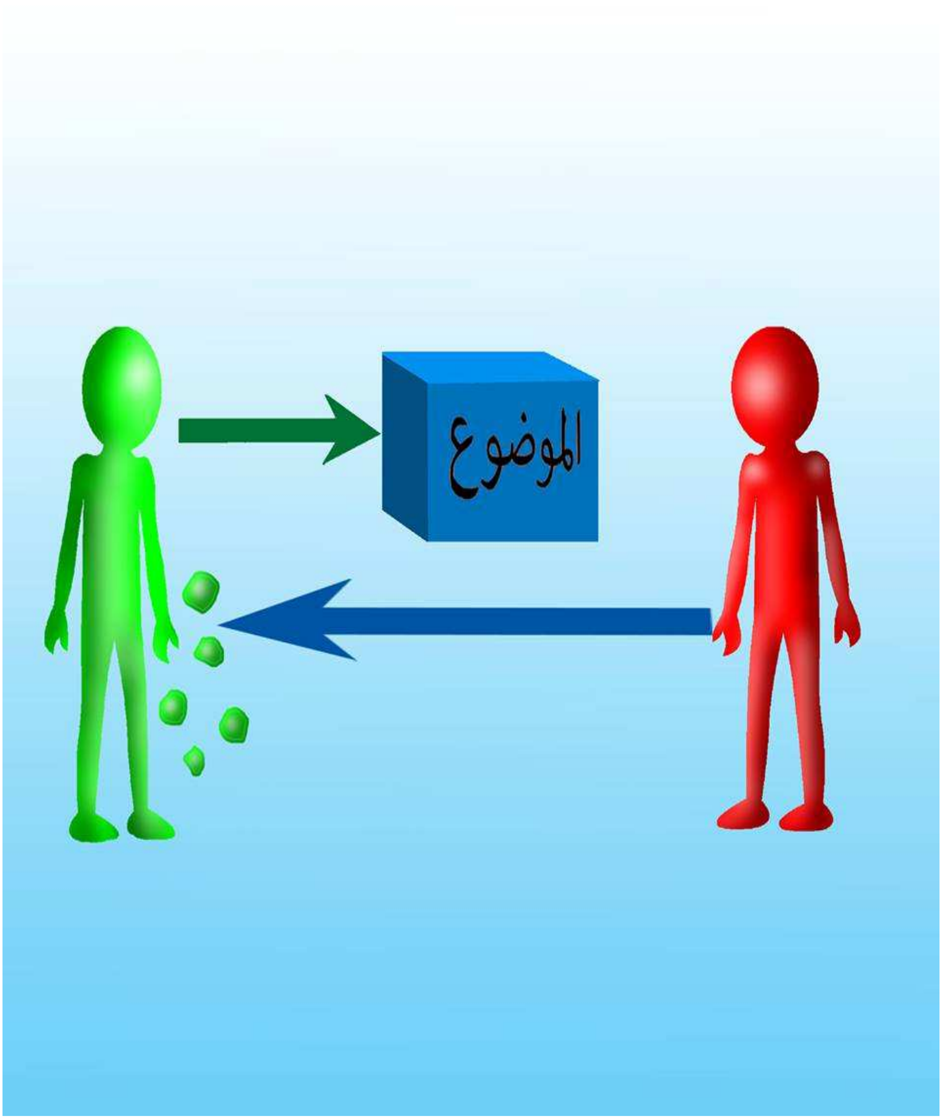
هو أسلوب، يعتمد على الذهاب في رحلة فكرية إلى الماضي، واستحضار فكرهم الذي أنتجوه لزمانهم، وحل مشاكلهم وشحنه إلى الحاضر، وتطبيقه كما هو، في الزّمن المعاصر، ويمكن أن يصنعوا نماذج وقوالب؛ حتّى لا يسافروا إلى الماضي، فيقومون بصب كل الأفكار المعاصرة والمستجدات، ضمن هذه القوالب السّلفية؛ فتخرج - أفكاراً سلفية عليها طابع - يدل على منشئها وتاريخ صنعها / 50 / هجري، / 100 / هجري، / 150 / هجري..... وهكذا. انظر المُصور (4)



رقم (4)

5. أسلوب التّفكير الصِّدامي :

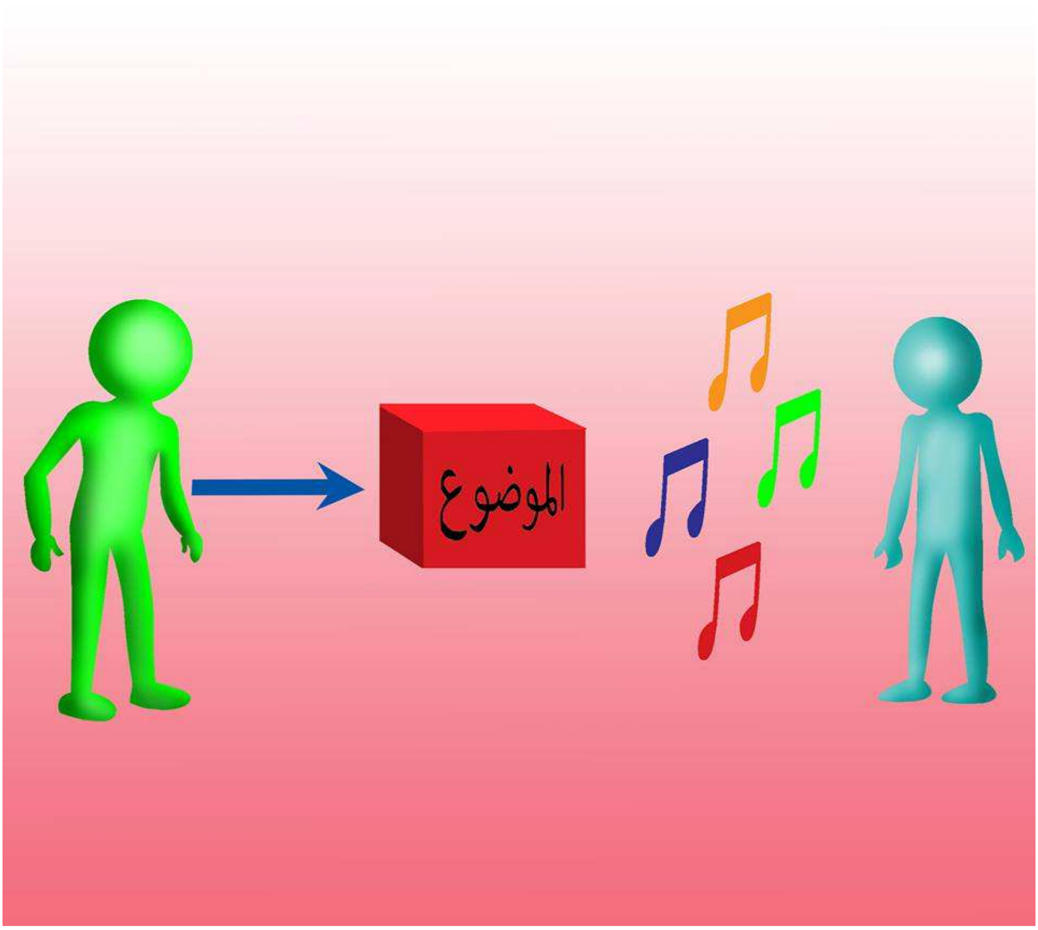
هو أسلوب، يعتمد على تغافل الموضوع الذي هو محل النّقاش، والحوار، والتّوجه إلى السّيرة الذّاتية للشّخص المحاور، سواء أكان ذلك صدقاً أم كذباً، فيقدح فيه ويجرحه، ويطعن في إخلاصه وولائه وفكره، انظر المُصور (5)



رقم (5)

6. أسلوب التّفكير الاستعراضي :

وهذا الأسلوب، غالباً ما يقع فيه الخطباء ، ويعتمد على النّاحية الأدبية والجمالية، فيكثر من تلاوة القصائد ، وعرض الشّواهد ونقل أقوال الحكماء ، ويصيغ الكلام بأسلوب السّجع والمطابقة، ويقطف من كل بستان وردة، ويقع فيه المحاور - أيضاً - وذلك بالخُرُوج عن الموضوع والاسترسال بما يحلو له، والانتقال بين بساتين المعرفة، ويلقي بظله الثّقيل على السّامع، وطالما تسمع منه قوله: أين كنَّا الآن، ولعلِّي أطلت، ولكن لا بأس؛ لتتم الفائدة لكم ؟! ويتابع استرساله السّمج الممل!! . انظر المُصور (6)

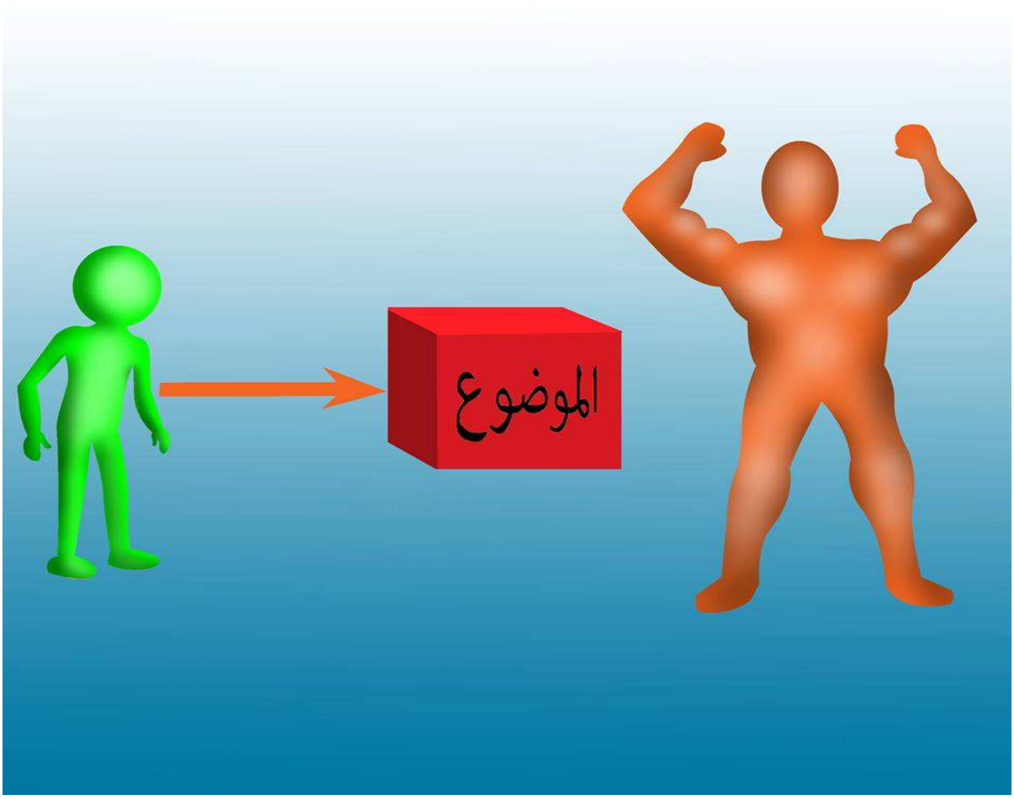


رقم (6)

7 . أسلوب التّفكير العضلي :

أسلوب شبيه بالأسلوب الاستعراضي، ولكن يقصد المتكلم عرض قوته الحفظية، والبلاغية، وفصاحته، وما شابه ذلك من أمور، يريد أن يرهب السّامع، ويشعره بضعفه، وكل ذلك على حساب الموضوع، ويستغل المستمع لإشباع رغباته، ونزواته النّرجسية.

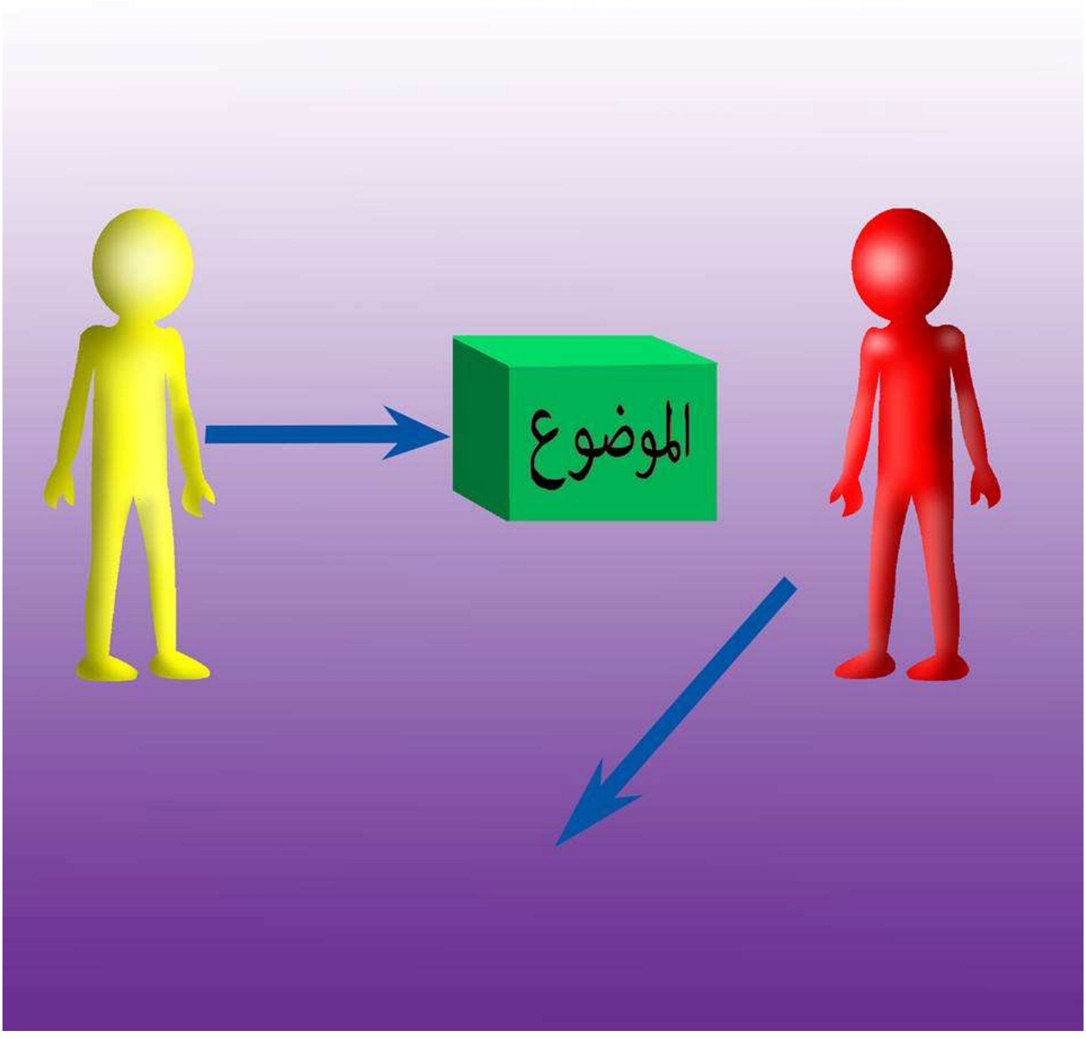
وفي النّهاية يخرج النّاس من الخطبة أو الحوار، غير فاهمين لشيء ولكنهم يقولون: ما شاء الله كم يحفظ !، ما شاء الله كم هو فصيح اللّسان !، ما شاء الله لم يدخل لسانه إلى حلقه ولا لحظة !، ولا وُجُود للفكر والمضمون، وإنَّما الوُجُود للشّخص. انظر المُصور (7)



رقم (7)

8. أسلوب التّفكير الأحول:

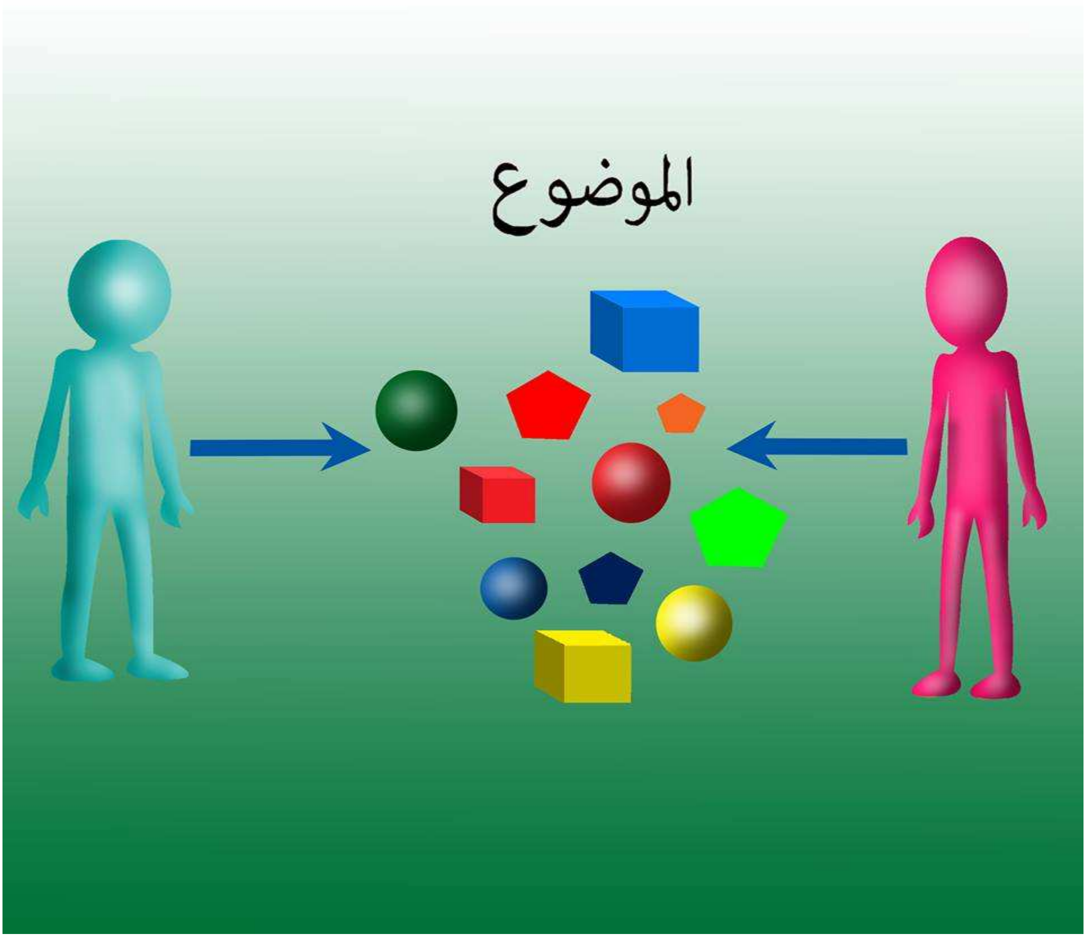
هو أسـلوب، يعتمد على نقاش ما هو بجانب الموضوع المعني بالدّراسـة، ويمكن أن يكون بالحوار، إذا تكلم عن شيء آخر، لا علاقة له بالموضوع، أو يجيب عن السّؤال، بجواب لا علاقة له بمضمون السّؤال؛ نحو أن يقوم الأب بسؤال ابنه عن أمر، قد كلفه به ماذا حدث له؟ فيجيب الابن: نعم لقد تغديت. انظر المُصور (8)



رقم (8)

9. أسلوب التّفكير التّجزيئي :

هو أسلوب، يعتمد على تجزيء الموضوع، وتمزيقه إلى قطع متناثرة، تضيع معها العلاقات التي كانت تجمعها، وفي النّهاية لا يصل إلى النّتيجة ويخسر الموضوع ذاته؛ لأنه لن يستطيع تركيبه وجمعه مرة أخرى، كما كان، لأنَّ الأصل في التّفكير التّحليلي، المحافظة على العلاقات بين الأجزاء؛ حتَّى يتم تركيبها مرة ثانية بصُورة جديدة، فكل عملية تحليل ينبغي أن يتبعها عملية تركيب. انظر المُصور (9)



رقم (9)

10. أسلوب التّفكير القهري:

هو أسلوب، يعتمد على الإرهاب والقهر، في عملية إدخال الأفكار إلى الآخرين، وذلك بالعصا مثلاً، ولن يجدي هذا الأسلوب - في الواقع - شيئاً إلا الدّمار، وصنع إنسان مقهور، مغلوب، انهزامي، سلبي، في حياته لا يتحرك إلا بالعصا. انظر المُصور (10)



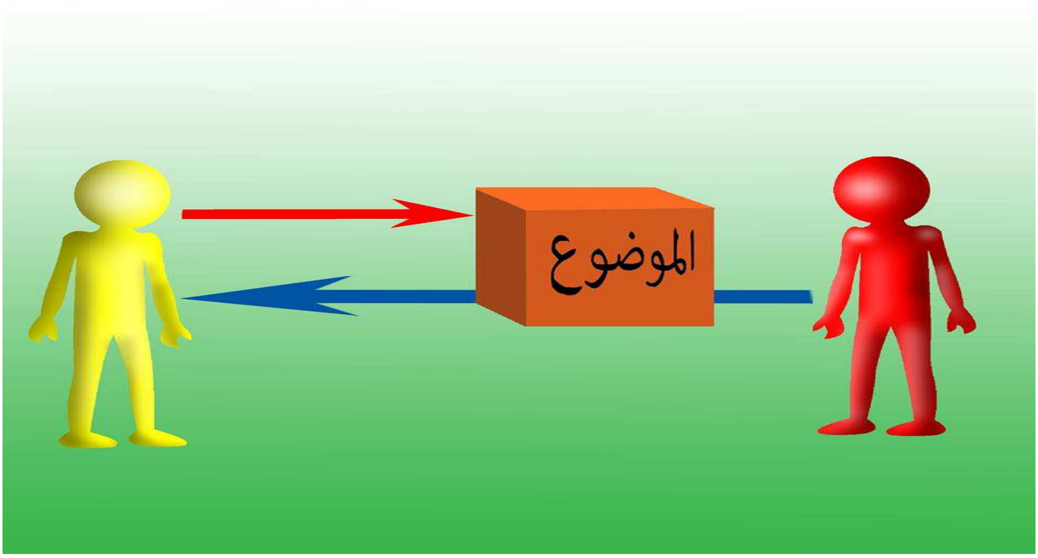
رقم (10)

11 . أسلوب التّفكير الإلزامي الشّخصي :

هو أسلوب، يعتمد على إلزام المحاور بتطبيق فكرته، على نفسه أو أهله، وذلك راجع إلى الخلط ما بين صحة الفكرة واختيار التّطبيق لها .

نحو أن يسأل رجل عن سيرة رجل آخر، لتقويمه لمسألة الزّواج أو العمل، وما شابه ذلك، فيقوم الرّجل بسرد سيرته، ويمدح أخلاقه ويزكيه، ويخبر بكل ما هو مطلوب منه بصدق، وإذا بالسّائل يقول: لو كان عندك أخت أو بنت هل تزوجه ؟! فهذا الأمر مختلف تماماً، ولا علاقة له بموضوع القَبول بتطبيق الفكرة عملياً؛ لأن لكل إنسان تصُورات، ومتطلبات نسبية خاصَّة به، فما يكون عندك مقبولاً، لا يكون عند الآخر كذلك، وهذا لا علاقة له بصواب الفكرة أو بتقويم الرّجل .

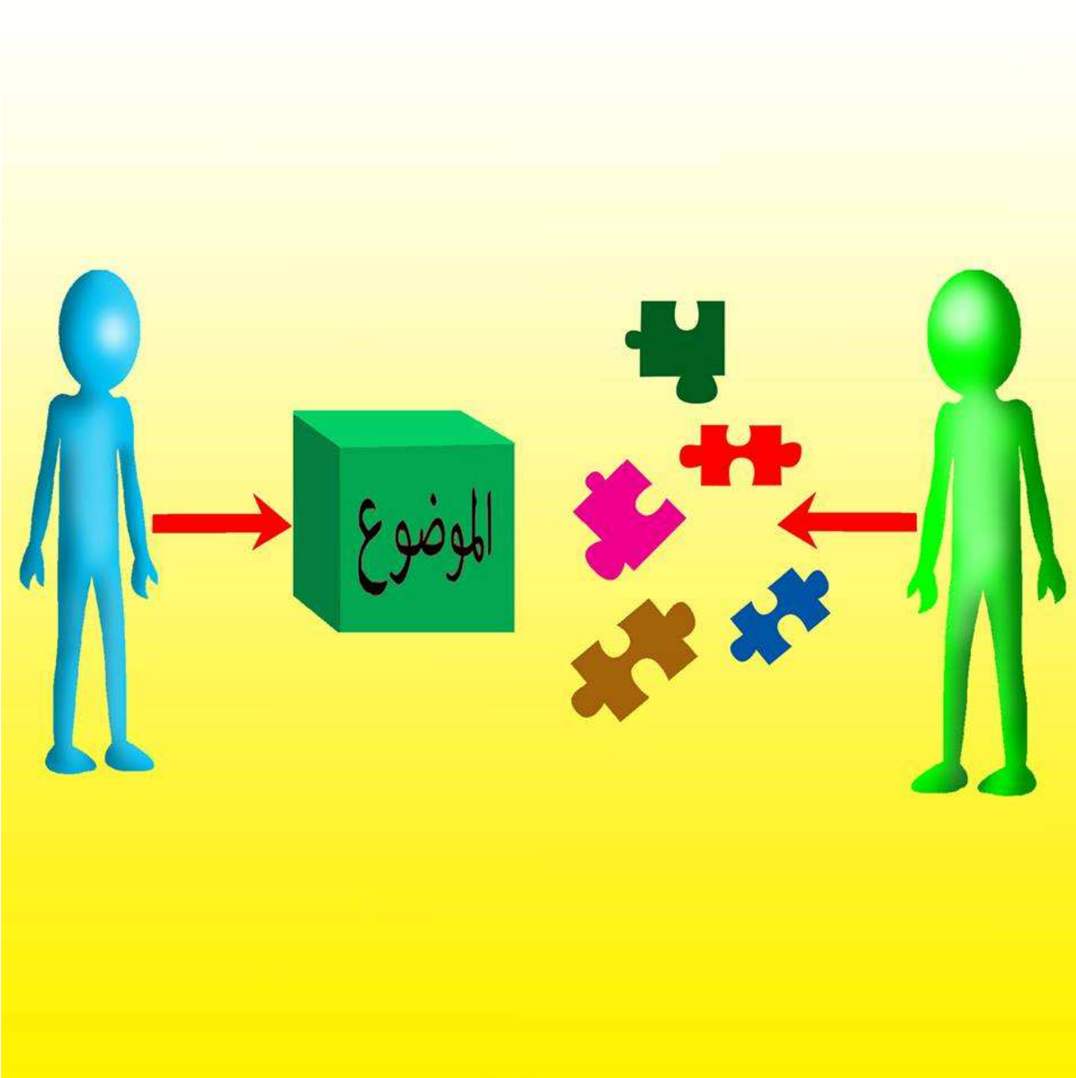
انظر مثلاً، إلى نكاح المتعة؛ فقد مارسه المجتمع الأول، بوُجُود النّبي وكبار الصّحابة، ومع ذلك فلم يمارسه النّبي، وكذلك الإمام علي، فهل نلزمهم بممارسة ما يرونه مباحاً ؟ انظر المُصور (11)



رقم (11)

12 . أسلوب التّفكير الطّفولي :

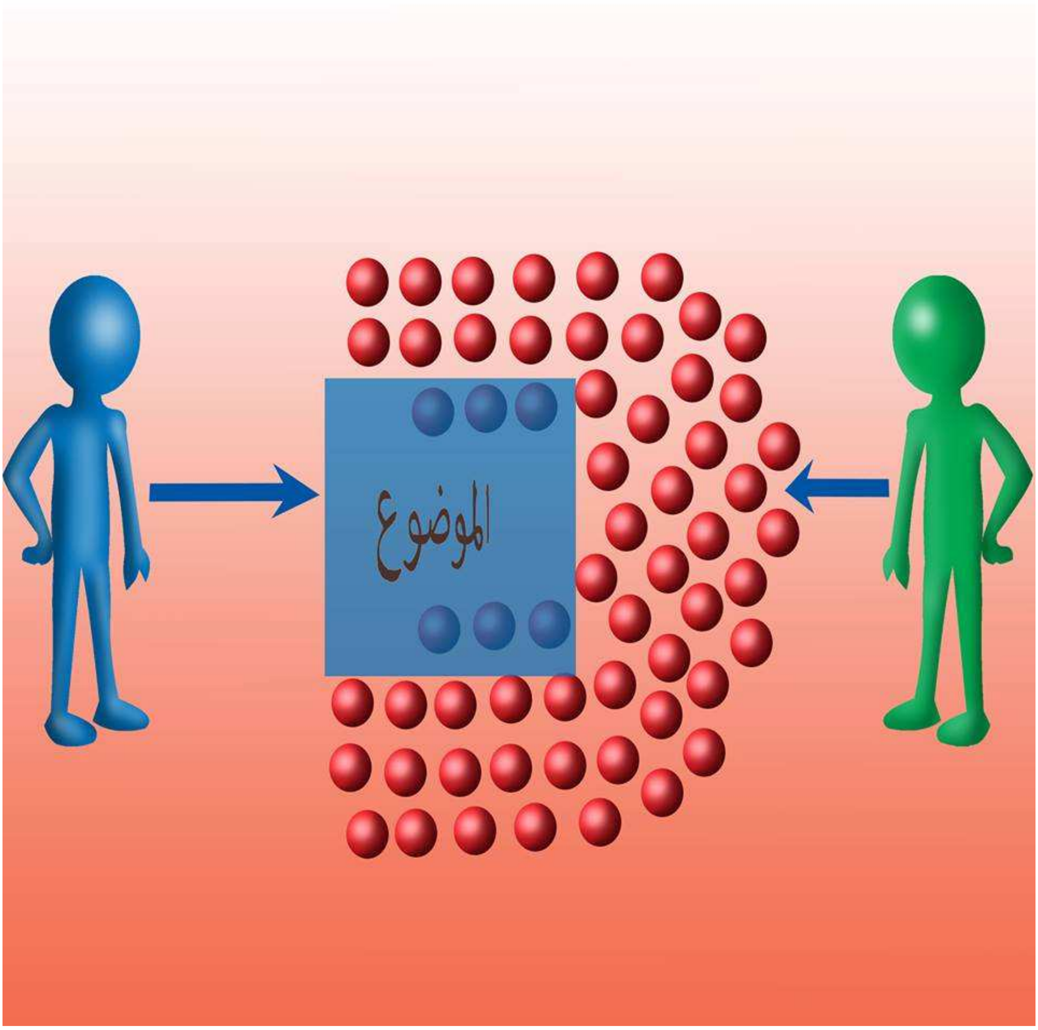
هو أسلوب، يهتم بالأشياء والأشخاص، دون الأفكار والمضمون، فلا يناقش الفكر أبداً، بل يعيش في هذا العالم الصّوري، من التّماثيل والأزياء . انظر المُصور (12)



رقم (12)

13. أسلوب التّفكير الاسترسالي:

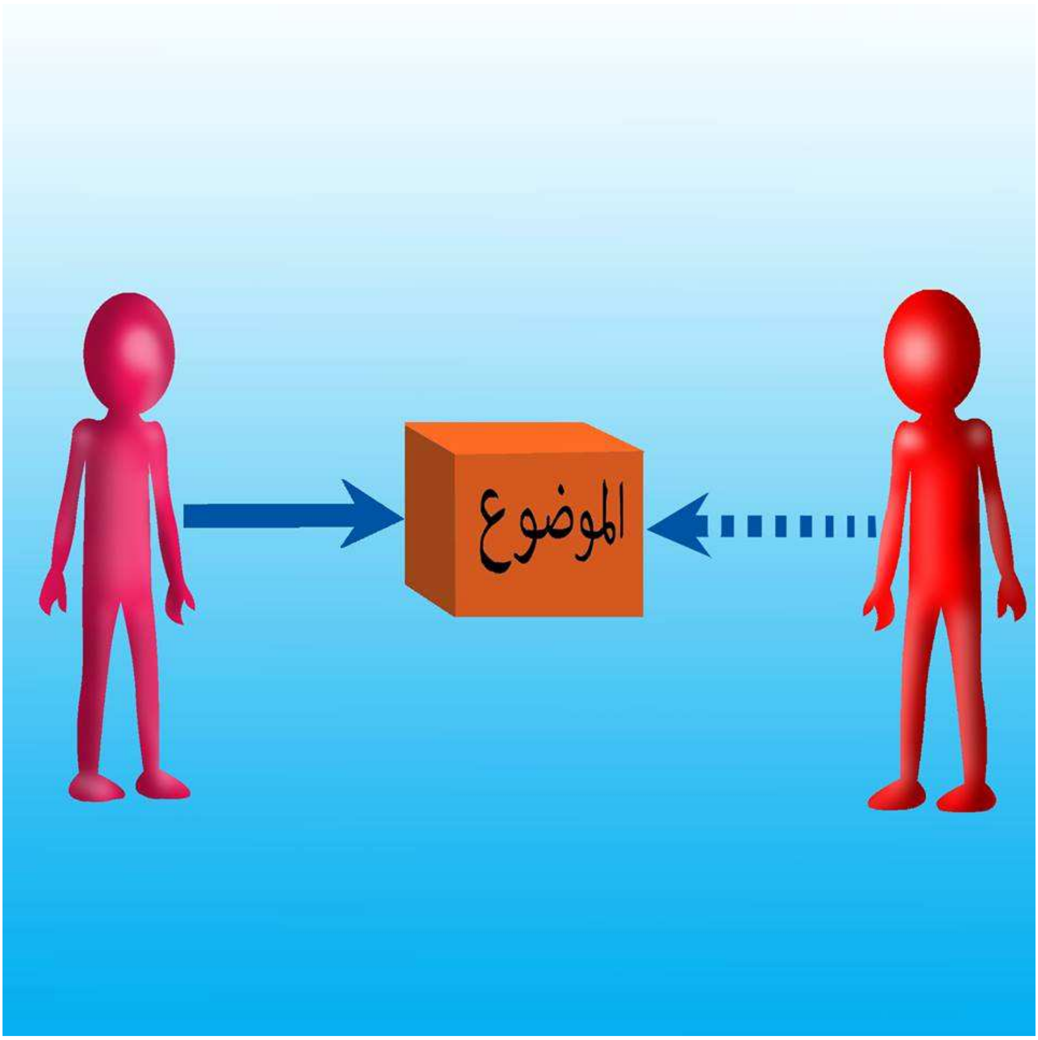
هو أسلوب، يعتمد على الاسترسال بالحديث عن الجزئيات، والتّفصيل الممل الذي لا يهم السّامع، ويصيبه بالملل والانزعاج والضّجر، لدرجة أنه يضطر للسّكوت، وعدم الاهتمام بالإجابة والحوار؛ حتّى لا يزيد المتكلم في استرساله، في الحديث بصُورة لا متناهية. انظر المُصور (13)



رقم (13)

14. أسلوب التّفكير البطيء الجزئي :

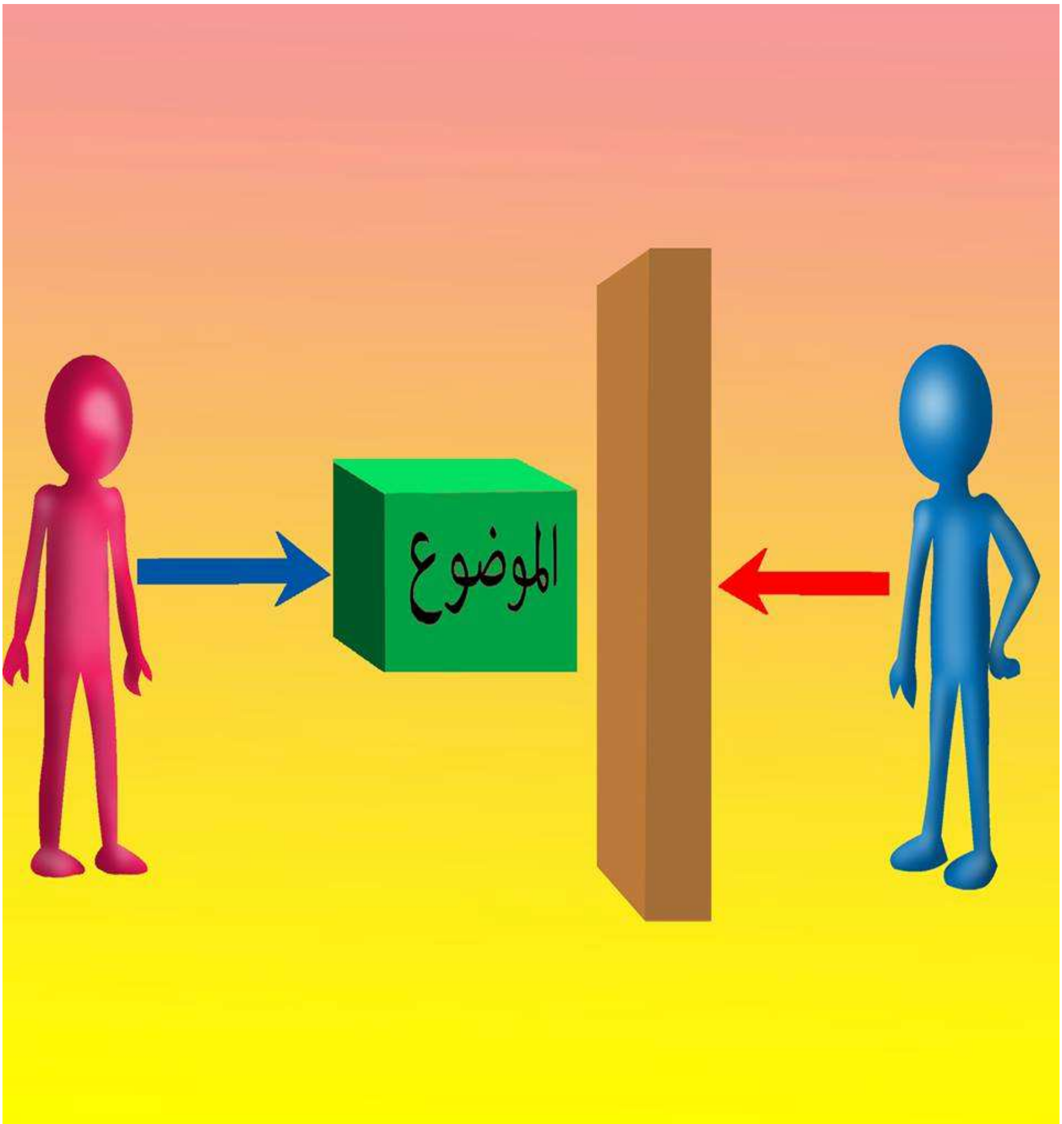
هو أسلوب، يعتمد على البدء من أول جزء لأصل الفكرة، ويسير خطوة خطوة، رغم أن ذلك موجود عند الطّرف الثّاني، وليست هي المشكلة أو محل الحوار، فلذلك سرعان ما يطلب الطّرف الثّاني، من الطّرف الأول، الدّخول في الموضوع بصُورة مُباشرة. انظر المُصور (14).



رقم (14)

15 . أسلوب التعقل السّطحي :

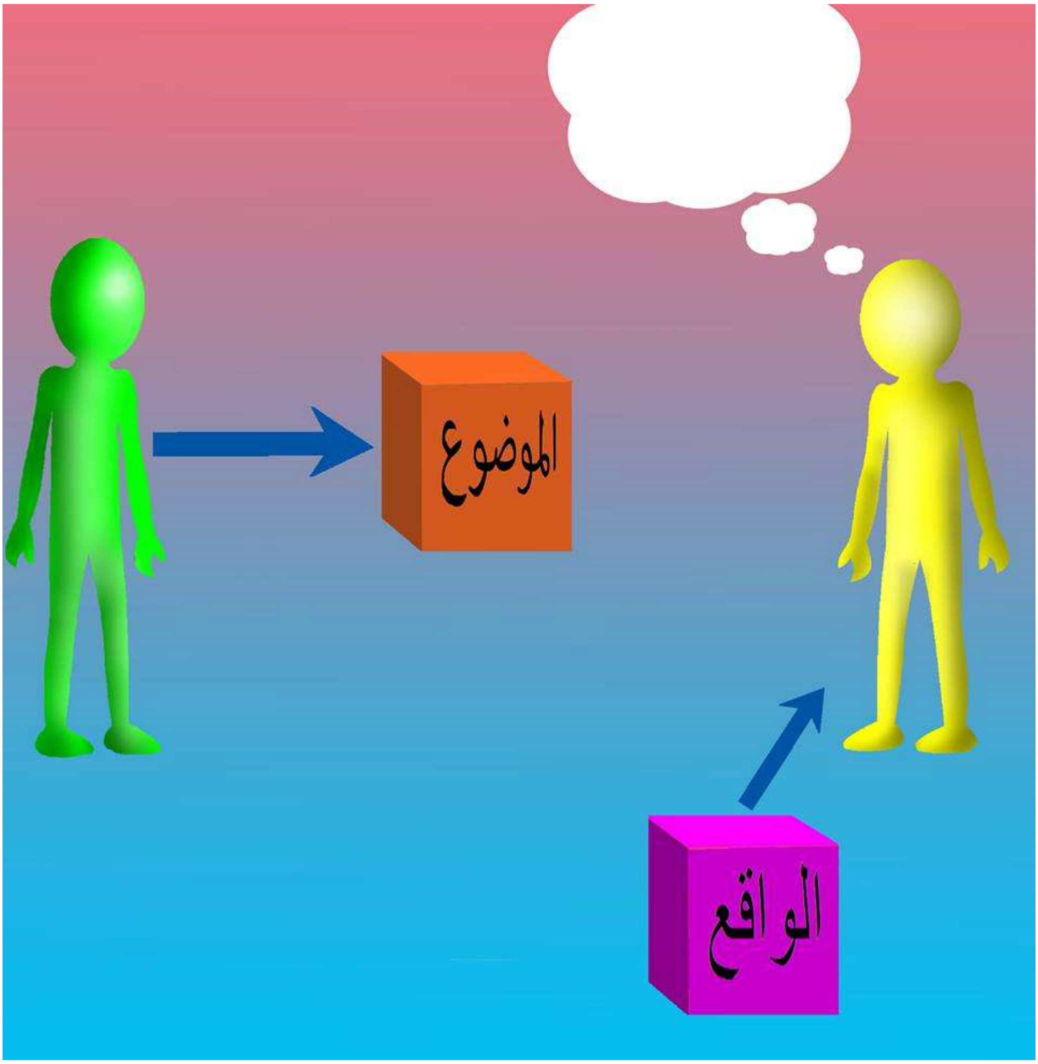
الوقوف في عملية الفهم قبل الموضوع ، أو على أبوابه ، دون الدّخول والتّعمق في صلب الموضوع ، والحكم عليه حسب هذه الرّؤية القاصرة . انظر المُصور(15)



رقم (15)

16. أسلوب التّفكير الخيالي :

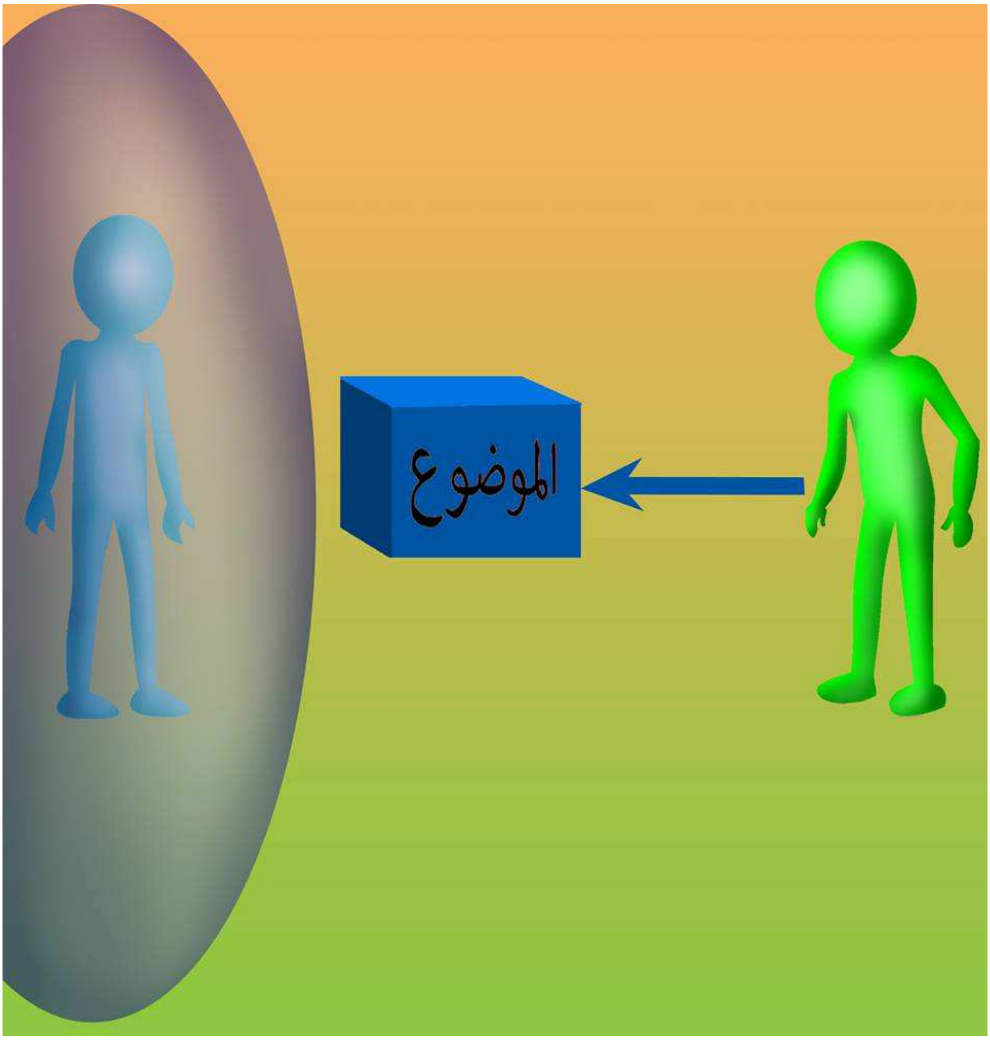
هو أسلوب، يعتمد على الصّعود من الواقع إلى الخيال، ويبتعد عن الواقع، ويسبح في عالم الوهم والتّخيل، وهو أسلوب يعتمد عليه مخرجو الأفلام المتعلقة بالأطفال، أو أفلام الخيال العلمي، ولكن من الخطأ أن يستخدم في السياسة، أو نهضة الشعوب. انظر المُصور (16)



رقم (16)

17. التّفكير المنغلق:

هو أسلوب، يعتمد على صد الطّرف الثّاني، وعدم سماعه، بحجة أن هذه الأفكار باطلة ـ سلفاً ـ، وأنه يعرفها ويسمعها، مئات المرات، فلا حاجة في أن يسمعها مرة أخرى. انظر المُصور (17)

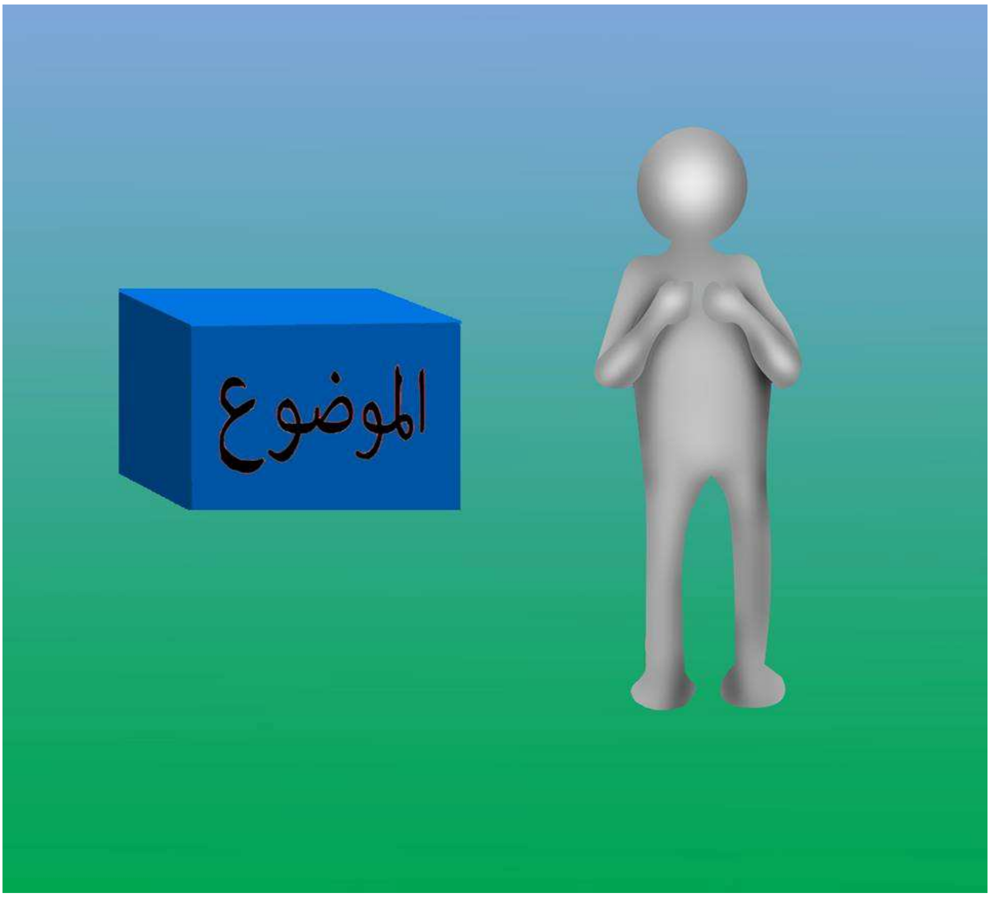


رقم (17)

18. التّفكير الإجتراري:

إن هذا الأسلوب، من التّفكير، هو أسلوب مرضي يُصيب الإنسان بحالة اكتئاب، ذلك لأن هذا الأسلوب، لا يتعامل مع الأحداث، كما هي عليه في الواقع ـ إيجاباً وسلباً ـ بل يتعامل معها بصُورة الانكفاء على النّفس، لوماً وتقريعاً، واستحضار المفاهيم السّلبية القابعة في النّفس،

واستخدامها في الحكم على الأحداث، بأنها قدر لازم لإنسان فاشل، ويستمر في اجترار هذه الأفكار، ويندب حظه ويلعن نفسه، فهو أشبه ما يكون بمن يقتل نفسه، غيظاً وكرهاً. انظر المُصور رقم (18)



رقم (18)

أهم المراجع

1 . القرآن الكريم، كتاب الله رب العالمين
2 . معجم مقاييس اللُّغة، ابن فارس
3 . جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادَّة، محمد عنبر
4 . الشّيء في ذاته، محمد عنبر
5 . التّفكير، تقي الدِّين النّبهاني
6 . الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د. محمد شحرور
7 . شروط النّهضة، مالك بن نبي
8 . مشكلة الثّقافة، مالك بن نبي
9 . مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي
10 . الصّراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن نبي
11 . حتَّى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد
12 . العمل قدرة وإرادة، جودت سعيد
13 . اقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد
14 . تكوين العقل العربي، د. عابد الجابري
15 . بنية العقل العربي، د. عابد الجابري
16 . العقل السّياسي العربي، د. عابد الجابري
17 . العقل الأخلاقي العربي، د. عابد الجابري
18 . مدخل إلى فلسفة العُلُوم، د. عابد الجابري
19 . الأعمال الكاملة 1 . 7، ندرة اليازجي
20 . البرهان في الفلسفة، د. بديع الكسم.
21 . العالمية الإسلامية الثّانية، محمد أبو القاسم حاج حمد
22 . تهافت الفلاسفة، محمد الغزالي أبو حامد

23. تهافت التّهافت، ابن رشد

24. اغتيال العقل، د. برهان غليون

25. إعمال العقل، د. لؤي صافي.

26. مأساة العقل، د. جمال الدِّين خضور

27. التّفكير العلمي، د. فؤاد زكريا

28. المنهج العلمي وتفسير السُّلُوك، د. محمد عماد الدِّين اسماعيل

29. التّخلف الاجتماعي سيكولوجية الإنسان المقهور، مصطفى حجازي

30. مغامرة العقل الأولى، فراس سواح

31. دين الإنسان، فراس سواح.

32. مدخل إلى النّظرية الرّوحية، د. راتب السّمان

33. قصة الإنسان. أصله، بنيته، دوره، د. عبد اللّطيف حموش

34. خارقية الإنسان الباراسيكولوجي من المنظور العلمي د صلاح جابر

35. الوعي والعالم السّيكولوجي الباراسيكولوجي، د.صلاح جابر

36. مقام العقل عند العرب، قدري حافظ طوقان

37. معرفة الذّات لبنائها من جديد، محمد تقي مصباح اليزدي

38. الأسس المنطقية للاستقراء، محمد باقر الصّدر

39. فلسفتنا، محمد باقر الصّدر

40. درء تعارض العقل والنّقل، ابن تيمية

41. الرّد على المنطقيين، ابن تيمية

42. الرّوح، ابن القيم

43. تحليل علمي للإيديولوجية الإسلامية، د. محمد بهشتي

44. من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، د. محمد أركون

45. ضوابط المعرفة، عبد الرّحمن حسن حبنكة الميداني

46 . العودة إلى الذّات، د. علي شريعتي

47 . الإنسان والإسلام، د. علي شريعتي

48 . نقد العقل الإسلامي، الشّيخ الرّكابي

49 . تحرير العقل من النّقل، سامر إسلامبولي

50 . القرآن بين اللُّغة والواقع، سامر إسلامبولي

51 . علمية اللسان العربي وعالميته. سامر إسلامبولي

52- دراسات في النّفس الإنسانية، محمد قطب

53 . آفاق بلا حدود بحث في الهندسة الإنسانية، د. محمد تكريتي

54 . مهارات الحياة في البرمجة اللُّغوية العصبية، جوزيف أوكونور

55 . البرمجة اللُّغوية العصبية وفن الاتِّصال اللامحدود، د. ابراهيم الفقي

56 . سيكولوجية المرأة، بيير داكو

57 . من السّجون إلى الحُرِّيَّة، بيير داكو

58 . انتصارات علم النّفس المذهلة، بيير داكو

59 . نشوء الأمم، أنطون سعادة

60 . تفسير الأحلام، فرويد.

61 . الإنسان ذلك المجهول، د. الكسيس كاريل

62 . العادات السّبع، د. ستيفن كوفي

63 . القبعات السّت للتّفكير، د. أدوارد دي بونو

64 . آلية العقل، د. أدوارد دي بونو

65 . تعليم التّفكير، د. أدوارد دي بونو

66 . الإنسان يبحث عن نفسه، كارل يونغ

67 . العقل واستخدام طاقته القصوى، توني بوزان، ترجمة إلهام الخوري

68 . على حافة العالم الأثيري، آرثر فندلاي، ت: أحمد فهمي أبو الخير

69 . ارتقاء الإنسان. برونو فسكي، ت: د. موفق شخاشيرو
70. الدّقائق الثّلاث الأولى من عمر الكون، ستيفن وينبرغ
71 . موجز في تاريخ الزّمن، ستيفن هوكنغ
72 . موضع الإنسان في الطّبيعة، تياردة شاردان، ت: ندرة اليازجي
73 . لغز العقل، سرجيو مورافيا
74 . العقل في القرن العشرين، برتران سان . سرنان
75 . هكذا أرى العالم، ألبرت أنشتاين
76 . الذّكاء العاطفي، دانييل جولمان، عالم المعرفة
77 . العودة من مجاهيل القلق أندريه روغوفيتش، تعريب د مطاع بركات
78 . احترام الصّراع، فويتشيخ هامان ويجي غوت، ت د. مطاع بركات
79 . العجز المكتسب، د. مطاع بركات
80 . فلسفة العُلُوم الاجتماعية مجموعة من المؤلفين، وزارة الثّقافة في دمشق
81 . مدارس التّحليل النّفسي مجموعة من المؤلفين، وزارة الثّقافة في دمشق
82 . أسطورة الإطار . في دفاع عن العلم والعقلانية.كارل بوبر، ت: د.يمنى الخولي منشورات عالم المعرفة 292
83 . بيان الفرق بين الصّدر والقلب والفؤاد واللّب، التّرمزي
84 . التّصوف النّفسي، د. عامر النّجار
85 . الرّعاية لحُقُوق الله، المحاسبي
86 . المنطق والإبْستيمولوجيا منشورات وزارة الثّقافة، د. هاني يحي نصري
87 . سيكولوجية الجماهير غوستاف لوبون، ت: هاشم صالح دار السّاقي



لمحة عن المُؤلِّف

سامر بن محمد نزار إسلامبولي

- تولُّد : دمشق، سورية/ 1963/م.
- باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي.
- عُضو في اتِّحاد الكُتَّاب العرب.
- نُشر له مقالات في مجلَّة العالم، ومجلَّة إسلام 21، ومجلَّة شباب لك، وجريدة الوقت البحرينية، وجريدة المثقف، وجريدة الأسبوع الأدبي، وبعض الصُّحُف الدورية،

مُؤلّفاته:

1- علْم الله وحرية الإنسان، دمشق، دار الأهالي، ط1 /1994 /م.
2- الآحاد الإجماع النسخ دراسة نَقْدية لمفاهيم أصولية، دمشق، دار الحكمة،ط1 /1995/م، دار الأوائل، ط 2 /2002/م.
3- الألوهية والحاكمية، دراسة علمية من خلال القرآن الكريم، دار الأوائل، دمشق، ط1 /2000 /م.
4- تحرير العقل من النقل قراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، دار الأوائل، دمشق، ط1/2000/وط2 / 2003/م.
5- المرأة مفاهيم ينبغي أن تُصحَّح، دار الأوائل، دمشق، ط1/1999/وط2 / 2002م.
6- ظاهرة النصّ القرآني تاريخ ومعاصرة (ردّ على كتاب: النصّ القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة للطيب تيزيني)، دار الأوائل، دمشق، ط1/2002/م.
7- القرآن بين اللُّغة والواقع. د. سمير إبراهيم حسن، عميد كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانية في دمشق، والأستاذ: د. محمد الحبش، مدير مركز الدراسات الإسلامية في دمشق.
8- القرآن من الهجر إلى التفعيل، دار الأوائل، دمشق، ط1/2008/م.
9- غطاء رأس المرأة أو شعرها حكم ذكوري وليس قرآنياً.2008م
10- مفهوم السنة غير الحديث 2008م.

11- علْمية اللسان العربي وعالميّته، تقديم الأستاذ : د . مازن الوعر .

12- دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير. تقديم الأستاذ : جودت سعيد ، والأستاذ : ندرة اليازجي .

13- فتاوى أزهرية وأفكار فلسفيَّة (مجموعة قَصَص).

14- حوارات ثقافية.

15- مفاهيم ثقافية (الله، الشيء ، العدم، الموت، الثالوث، التقمص)

16- اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي

17- نبي الإسلام غير نبي المسلمين

18- ميلاد امرأة (قصة نَفْسية واجتماعية)، تقديم الأستاذ : ندرة اليازجي .

19- مسودة مشروع ثقافي راشدي، ويليه (الإرهاب إيدز العصر)

عنوان الباحث

مصر – القاهرة

00201141025253 MOB

إميل: s.islambouli@gmail.com